المنهل العذب
في
تاريخ طرابلس الغرب



المنهل العذب
في
تاريخ طرابلس الغرب

تأليف

حضرة صاحب السعادة أحمد بك النائب الأنصاري
الطرابلسي أحد أعضاء مجلس "شهر أمانت"
الجليلة بدار السعادة

منشورات
مكتبة الفرجاني
طرابلس الغرب - ليبيا

مقدمة الناشر

هـــذا الكتاب من أهم المصادر التي يرجع اليها المؤرخون للعهود الاسلامية في ليبيا ، وقـــد عاشت كثير من الدراسات التي جاءت بعده عـــلى المعلومات التي تضمنها ، واستمدت كثيراً مـــن اخباره واحداثه . وهو يحوي كثيراً من الوقائـــع ويترجم لعدد كبير من الشخصيات السياسية والعلمية ويلقي اضواء على فترة غامضة من تاريخ هذه الرقعة الأسلامية العربية .

مؤلفه السيد أحمد النائب الانصاري من اعيان طرابلس في القرن التاسع عشر في عهـــد السلطان عبد الحميد خان الثاني وصدرت طبعته الاولى في الآستانة عام ١٨٩٩ .

واسلوبه واضح في الدلالة على عقلية مؤلفه وعلى طريقة ذلك العصر في الترجمة والتأليف وتفسير الوقائع والاحداث والسير وفـــق المناهج القديمة للتاريخ العربي الاسلامي .

ويكاد يجمع الباحثون على أن هذا المؤرخ اسدى خدمة جليلة للتاريخ الليبي بهـــذا الكتاب الذي مـــا يزال حتى الان مصدراً هاماً في المكتبة التاريخية الليبية .

وقـــد رأينا — بعد ان نفذت طبعته الاولى القديمـــة — ان نعيد

طبعه ونضعه بين يـــدي القارىء المهتم بالتاريخ الليبي في العهــود الاسلامية .

وقـد دفعنا الى ذلك ايماننا بفائدة هـذا الكتاب للمشتغلين بالتاريخ وللمثقفين بصفة عامة .

وقـــد التزمنا في اعادة طبعه التقيد بالاصل دون ان نجري عليه تعديلاً او تحويراً او تلخيصاً تاركين للباحثين والدارسين مهمة تحقيقه ودراسته والنظر فيما تضمنه من احداث ووقائع وتراجم وتفسير النهج الذي سار عليه المؤلف وصلته بالعصر الذي عاش فيه .

والله نسأل ان تكون الفائدة منه عامة .

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . الحمد لله الذي لا أولية لأوليته ، ولا آخر لأزليته وسرمدانيته ، ولا نهاية لكلماته . وهو القديم الأول ، مالك الملك الذي لا يزول ملكه ولا يتحول ، وأشهد ان لا آله الا الله وحده لا شريك له الذي ابتدأ الخلق من غير مثال ، وقسم العباد لحاضر وباد ، وظاهر وخامل ، وقاصر وكامل . وأبدع في اختلاف ذواتهم وأعراضهم ، وتغاير ألسنتهم وأمكنتهم وأزمنتهم وألوانهم ، ما فيه ذكر لأولي الأبصار ، وارشاد لمعرفة الديان وعبرة لذوي الأفكار . وأصلي أزكى الصلاة والسلام ، هدية لحضرة سيد الأنام ، الذي نزل عليه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وانشق القمر له ونبع الماء من بين اصابعه الشريفة زيادة في الايقان ، وأتاح بنوره الظلام الحالك ، حتى أضاءت بوسمه المسالك ونجا من المهالك ، شفيعنا ومولانا ووسيلتنا الكبرى ، وعمدتنا العظمى ،

في الاولى والأخرى ، غوثنا ونبينا (محمد صلى الله عليه وسلم) والرضا عن آله وصحبه الذين تجلت بأنوارهم المسالك . (أما بعد) فيقول العبد الحقير ، المذنب الذي هو الى ربه الغني فقير ، احمد ابن حسين بن محمد الأوسي الانصاري الشهير بالعسوس نزيل دار الخلافة العلية ايام الخليفة الأعظم ، الملك الهمام ، والقمر التمام ، مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ، الخليفة الامام ، الذي استبشر به الاسلام ، وخفقت بعزه الاعلام ، ولاح بدر محياه فانقض الظلام ، امير المؤمنين ، عظيم الخلفاء ، وستر الله تعالى المسدول على الضعفاء ، المحفوظ بسر السبع المثاني ، مولانا وسيدنا السلطان الغازي (عبد الحميد) خان الثاني لا زالت اركان مجده راسية راسخه ، وغرر عزه بادية باذخه ، وآيات سعده محكمة راسخه ، وابقاه الله تعالى يجري بسعده الفلك ، ويسطر حسنات ملكه الملك ، ويشهد بفضل باسه ونداه النادي المعترك — هذه وريقات جمعت فيها ما وقفت عليه بغاية الاختصار من اخبار « طرابلس الغرب » من ابتداء الفتح ونبأ من تولاها من الولاة وسميتها « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ، ومن الله استمد الصواب واستغفره من الخطأ في الخطاب . وابتدأت بوصفها وحسن هوائها واعتدال مزاجها .

وصف طرابلس الغرب

فأقول انها بلدة كريمة البقعة ، طيبة التربة ، مختصبة القاعة ،

بسواحـــل قطعة افريقية الشمالية . ويحدهـــا من الجنوب الصحراء الكبرى ، وشرقا الحدود المصريـــة ، وشمالا البحر الرومي ، وغربا تونس وارض قبائـــل الشعابنة التي بين طرابلس والجزائر . وضبط اسمها على ما في القاموس طرابلس (بفتح الطاء وضم الباء واللام) بلد بالمغرب او رومية معناهـــا ثلاث مـــدن ، انتهى . وذكر البكري وغيره انها بزيادة الف قبل الطاء . وانشد احمد بن يحيى من قدماء شعرائها : (١)

لقـــد طال شوقي الى فتيـــة
حسان الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبري فما مسعدي
على الشوق الا دموعي الحبس

وقال التيجاني في رحلته واختار بعضهم في الغربية زيادة الالف وفي الشامية اسقاطها وعكس صاحب القاموس فجعل الهمزة للشامية وهي منقسمة على خمسة ألوية متصرفية المركز ، والخمس ، والجبل الغربي ، وفزان ، وبنيغازي ، وهذه الأخيرة تارة تكون ملحقة بالولاية واخرى يكون تفريقها عنها . وعرضها اثنان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، معتدلة الهواء والجو والنسيم ، ربيعها وخريفها ومشتاهـــا ، ومصيفها على قدر من الاعتدال ، ووسط من الحال . والسور محيط

(١) قال متصفحه : مـــن المتقارب وعروضه الثانية المحذوفـــة وضربها المماثـــل . صح

بهـــا ، حصينة معاقلها ، منيعة قلاعها ، حريزة استحكاماتها — ولم تخـل من اشرافٍ اماثل وعلماء اكابر — محدقة ببساتين ذات بهجـة واجنة نضرة كثيرة الفواكه والنخل والزيتون وفيهـــا شجر الليمون السكري البديـع والرمـــان التاجوري الياقوتي الذي لا نظير له والبطيخ الاخضر كبير الحجم زنـــة الواحـــدة قنطار والزعفران الغرياني :

ويجبالها معادن الفضة ، والحديد ، والفحم ، والكبريت ، وانواع الاملاح ، ومن آثارها القديمة مدينة لبده .

وقال في وصفها عند شوقه لهـــا الاريب اللبيب والشاعر الاديب احمد بن حسين بن الشيخ احمد البهلول رحمه الله ايام هجرته عنهـــا بالجامع الازهر .

طرابلس الغرا ! ترى لي عودة
اليك ، وهل يدنو الذي كان قد ذهب

سقا الجانب الشرقي منك سحابـة
ولا زال فيك من رياح الصبا يهب

بلاد لهـــا بالخلد آيـــة شبهـة
فمنها نبات الزعفران ، كذا العنب

ترى سوحها من فضة فاذا اكتست
بشمس الضحى اضحت لجينتها ذهب

وفي كل حول حولهـــا حلة حلتْ
برؤيتها خضراء من سندس القصب
وفيهـا نخيـل باسقات اذا الصبـا
تهب عليها اسقطت يانع الرطب
وفيها من الأشجار ما جل وصفه
باوراقهـا الورقاء غنت من الطرب
وفي ثغرهـا ظفر الرضاب وعينهـا
التي قـد سمت من فضة آية العجب
فيـا حبذا ثغر ، له النصر خادم
ويا حبذا عين ، بها الماء قد عذب
أمثل شوقاً شكلها ، في ضمايري
فيسقط دمعي الشكل من شدة التعب
بديعـة حسن زادهـــا الله بهجة
وآمن أهليها من الخوف والشغب
لقد اعجزت اوصافهـا كل معرب
وكل الذي املى ، وكل الذي كتب
ولكن قصارى مطنب القول أنهـــا
تفوق بلاد الغرب طراً ولا عجب
وناهيك بالبئر الجديـــد وسده
وجيرتـه دار بهـــا القلب ملتهب

فلا تلحني ان أرق البين مقلتي
وكادت بي الأشواق تفضي الى العطب
فان من الايمان ، والنص شاهد ،
« محبتك الأوطان عن سيد العرب »
وكيف بدار قد حوت كل رفعة
بقوم لهم في العلم باع وفي الأدب
ومن فضله بحر طويـــل ووافر
مديد مدى الأيام لا يعتريه غب
هو الوالد المفضال لا زال كاسمه
حسين أخا الحسنى لأحمد ينتسب
امام من الاحسان أحيا مآثراً
ومن قبله البهلول ذو الفخر والحسب
فيا فالق الأصباح ، والحب والنوى ،
تمـــد له عمراً طويلاً بلا وصب
سقيت أيا ربع الأحبة ديمـــة
تدوم ولا زالت بك المزن تنسكب
فيا لك من ربع اذا ما ذكرته
أهيم كما الثكلى أو شارب الحبب

ا هـ

ذكر مدينة لبده ونعتها

وضبط هـذا الاسم (لبـده) lébdé وإلا (لبـده) lébidé أو هي (لبده) lébédé ومعناه بلسان الفنيكيين الصحراء الخالية من العمران وتعـرف بلسان اللاطين (لبتيس مانيـا) léptis mania وهي مدينة عظيمة وهياكل جسيمة كائنة شرقي طرابلس وبعدهـا عنهـا خمسون ميلا قـد أسست مـن طرف الفنيكيين ولم يعلم تاريخ تأسيسها. ولكن لا يشك بأنهـا قـد بنيت في الزمن الذي اسست فيه قرطاجنة ، وقـد خلت في العصور الأوائل. وبقية آثارهـا ورسومهـا قـد أكل البحر كثيراً منهـا وفيهـا مبان عظيمة وأبراج خارجها مبنية بالحجر المنحوت في غاية الاتقان قد هدم الدهر ومـا هدمت ، وتعاقبت عليها الأزمنة ومـا ثلمت ، فترى الابنية متقابلة على رؤوس الجبال مـد البصر ، بحيث يقضي الحدس أن كل مـا كان داخلها كان مدينة واحـدة الى البحر. وترى أعمدة الرخام وغيرهـا واقفة في وسط البحر وقـد أحاط بهـا الماء بحيث لا يرتاب أن البحر قـد أكل الكثير منها. ومن هـذه المدينة ينقل كثير مـن أعمدة الرخـام الى طرابلس والى مصر والى غيرهما مـن البلدان ويقال إن بانيها الملك (دقينوس) . وبعد وفاته تملكتها امرأة اسمها (رومية) . وبعدهم ذكر أن « دمشق بن نمرود » لما بنى دمشق بقي ثلاث سنين وبعث ولده وأمره أن يبني مدينة بالمغرب فبنى هذه المدينة

وجلب اليها الماء من عين يقال لها (عين كعام) بوادي (تارغلات) بقنوات وفيها ، صنعة عجيبة وأبنية غريبة بحجارة منحوتة عظيمة تحار فيها العقول منها أحجار من أربعة اذرع فأكثر ، منقورة في وسطها نقراً متقناً . والحجر في غاية الصلابة قريب من حجر الصوان ، والحاصل أن من رأى ذلك استغرب . وأثر البناء ومجرى الماء باق الى الآن متصل من جوف الوادي الى أطراف المدينة الا أن ماء هذا الوادي الآن قليل أجن . ويزعم أهل البلد أن ماء هذا الوادي كان حلواً غزيراً أيام عمارة المدينة . وكان مما يؤثر عند اهلها أنه اذا بدت الملوحة في ماء الوادي فذلك علامة خرابها ، فلما بدت فيه الملوحة أخذ اهلها في الانتقال منها والله أعلم . وقال فيها (اميانوس) الروماني المؤرخ الشهير « إن موقعها وشكلها شبيه بقرطاجنة وكانت من مستعمرات الفنيكيين . والآثار القديمة فيها بثلاث لغات ، اليوناني ، واللاتيني ، والفينيكي ، وان الذي خربها قبيلة ليبية من البربر وذلك في سنة (٣٧٠) سبعين وثلثمائة مسيحية » . وقال غيره « ان هذه البلدة كانت من أعظم المدن وأعمرها بنواحي أفريقية الشمالية . وقد هاجمتها حكومة قرطاجنة فاستمد أهلها بملك الروم فأمدهم بالعساكر وقهر عدوهم وأعانهم على عمران البلد . ولاستعدادها الطبيعي بلغت لأقصى درجة من العمران في مدة وجيزة . ثم هدم أسوارها وخربها قوم (الوندال) عندما طردهم الروم من أراضي الأندلس وهاجروا لممالك البربر . وفي سنة (٢٠٠) مائتين قبل الهجرة نهض (يوستيانوس . أو زوستيانوس) ايمبراطور القسطنطينية الى قوم الوندال الذين نزلوا بشمال أفريقية وضايقهم وقهرهم وقرض حكومتهم وأبعدهم عن تلك النواحي وعمر مدينة لبده

ثانياً سنة (١٨٨) قبل الهجرة واتخذها مقر ولاية القوماندان (سرجيوس) سردار جيشه . واما الآن فهي خراب وطرابلس الجديدة مبنية بانقاضها » . انتهى .

وذكر العبدري هذه المدينة في رحلته انه وجدها خالية والذي يظهر انها خلت قبل الاسلام اذ لم يذكرها أحد ممن ذكر فتوح أفريقية والله أعلم بغيبه . وأخبر بعضهم « ان الملك الذي بنى هذه المدينة وقع موتان في عسكره حتى تفانوا ولم يدر ما سببهم **فأمر بشق بطن واحد منهم وشق قلبه فوجد فيه دودة فعلم ان ذلك سبب موته وامر بصب جميع الادوية عليها واحداً فواحداً فلم تمت حتى أخرج زيتاً كان عنده في قارورة جاء به من ارض الشام فصب عليها قطرة من الزيت فماتت فعلم ان دواء ذلك المرض بأكل الزيت فبعث الى الشام وجاء بغرس الزيتون فأمر بغرسه في تلك الاوطان من مسراتة الى سوسة تونس** واعمالها ومن تلك الساعة بقي الزيتون » والله أعلم . وقال في وصف طرابلس الاستاذ الفاضل أبو سالم (عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي) المغربي في رحلته « انها مدينة مساحتها صغيرة ، وخيراتها كثيرة ، ونكاياتها للعدو شهيرة ، ومآثرها جليلة ، ومعايبها قليلة ، أنيقة البنا ، فسيحة الفنا ، عالية الأسوار ، متناسبة الأدوار ، واسعة طرقها ، الى ما جمع لأهلها من زكي الأوصاف ، وجميل الانصاف ، وسماحة عن المعتاد زائدة ، وعلى المعافين بأنواع المبرات عائدة . لا تكاد تسمع من أحد من أهلها لغوا الا سلاما ، ولو لمن استحق ملاماً ، سيما مع الحجاج الواردين ، ومن انتسب الى الخير من الفقراء

العابرين ، فانهم يبالغون في اكرامهم ، ولا يألون جهـــداً في افضالهم عليهم وانعامهم ، فجزاهم الله خيراً ، وأعانهم وسائر بلاد المسلمين أجمعين » . انتهى .

ذكر أول من سكن طرابلس في قديم الزمان

وأول مـــن سكنها في قديم الزمان على مـــا نقله الاخباريون **أمم من الفينيكيين ثم الرومان** في اوائل القرون المسيحية ثم الوندال **وهم مـــن جنس الجرمان وفي** سنة (**٥٣٠**) ثلاثين وخمسماية استولى عليها أمم مـــن اليونان حتى تغلبت عليهم البرابرة واستوطنوهـــا الى أن جـاء الله بالاسلام والفتح . وأن هؤلاء البرابر جيـــل وشعوب وقبائـــل أكثر من أن تحصى . وكان سبب مسيرهم اليهـــا والى غيرهـــا مـــن المغرب أنهم كانوا بنواحي فلسطين مـــن الشام وكان ملكهم **جالوت** ، فلما قتل سارت البرابرة وطلبوا المغرب وانتهوا الى « لبية » و « مراقية » كورتان من كور مصر . فسارت (زناته) و (مغيله) وهما قبيلتان من البربر الى المغرب وسكنوا الجبال . وسكنت قبيلة (لواتة) برقـــة وتعرف قديماً انطابلس وانتشروا فيها حتى بلغوا السوس الأقصى . ونزلت (هواره) مدينة لبدة . ونزلت (نفوسه) مدينة صبره ، وجلا من كان بها من الروم لذلك . وأقام (الأفارق) وهم خدمـــة الروم وبقيتهم على صلح يؤدونه إلى مـــن غلب عليهم الى أن كان صلح عمرو بن العاص . وامـــا نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواتـــة يزعمون انهم من (حمير)

ومثل هواره يزعمون انهم من (كندة) ، ومثل زنانـة يزعم نسابتهم أنهم من (العمالقة) . ومنهم مـن يزعم أنهم من بقايا (التبابعة) وكان منهم قبل الاسلام وبعده رؤساء وفضلاء وحكماء وعلماء وأولياء وأفاضل . قال الفاضل ابن خلدون « ومن بطون (زناتة) زواوه ، وزواغـه وزواره ، ودمر ، وهراطيل ، وبني توجين ، وبني مغرا وبني يفرن ، وبني ورشفانـه ، وبني باذين ، ويضليتن . وكانت مدينة صبره قبـل الفتح من مواطنهم وتعزى اليهم وتعرف الى هـذا العهد بزواغه ، وهي على مسيرة يوم من غربي طرابلس . وهي كانت باكورة الفتح لأول الاسلام وخربهـا العرب بعد استيلائهم عليهـا فلم يبق منهـا الا أطلال ورسوم خاويـة . واما (نفوسه) فهم بطن واحـد تنسب اليه نفوسه كلها وكانوا من اوسع قبايـل البربر . فيهم شعوب كثيرة مثل بني زمور ، وبني مكسور ، وكانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما اليها . وهناك الجبل المعروف بهم وهو على ثلاثة مراحـل من قبلة طرابلس يسكنه الان بقاياهم ومـن اخوتهم بنو ضرا ، وبنو ولوا ، ويقال لجميعهم البربر البتر . ومن بطون (هواره) مغرا ، وزمور ، وكاباو ، وفساطو ، ومعدان ، ونداوه ، ومليله ، وغريان ، ومسلاته ، وترهونه ، وتاورغا ، وزكاره ، وسيلين ، ويقال لجميعهم (لهانه بنو لهان) . وكانوا ظواعن واهلين توزعهم العرب من ذباب فيما توزعوه من الرعايا وغلبوهم على اوطانهم فتملكوهم تلك العبيد ، للجبايـة منهم والاستكثار منهم في الانتجاع والحرث . ومن هواره هولاي ، مما يلي بلدسرت وبرقة ، قبيلةٌ تعرف بمسراتـه لهم كثرة واعتزاز ووضايع العرب عليهم قليلة ويعطونها من عزة . وكثيراً ما ينتقلون في سبيل التجارة ببلاد مصر والاسكندرية . ومن (هواره)

هولاي بقصور غدامس على عشرة مراحل من قبلة طرابلس وكانت مختطة منذ عهد الاسلام وهي خطة مشتملة على قصور وآطام عديدة بعضها لبني (ورتاجين) وبعضها لبني (وطاس) من احيا بني مرين ، ويزعمون ان اوليتهم اختطوها . وهي لهذا العهد قد استبحرت في العمارة ، واتسعت في التمدن بما صارت محطاً لركاب الحج من طرف السودان وقفل التجار الى طرابلس عند اراحتهم من قطع المفازة ذات الرمال المعترضة امام طريقهم دون الارياف والتلول ، وباباً لولوج تلك المفازة . ومنهم من قطع الرمال فيما يلي بلاد (كوكوا) من السودان تجاه افريقية ويعرفون بنسبتهم (حكاره) بكاف معجمة تخرج بين الكاف العربية والقاف . ومنهم بمصر اوزاع متفرقون اوطنوا بها وآخرون موطنون ما بين برقة واسكندرية يعرفون بالمثانية ظواعن مع عرب بني سليم في اللغة والزي قد نسوا رطانة البربر واستبدلوها بفصاحة العرب .

يقال ان (افريقس) بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وافريقية وقتل الملك (جرجيس) وبنى المدن والامصار وباسمه زعموا سميت افريقية لما رأى هذا الجيل من الاعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلاطها وتنوعها تعجب من ذلك وقال « ما اكثر بربرتكم » فسموا (بالبربر) . والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الاصوات غير المفهومة ، ومنه يقال بربر الاسد اذا زأر باصوات غير مفهومة . و (أفريقي) بفتح الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت وسكون القاف وفتح الياء المثناة من تحت وهي

اخرها . وقال ابن خلكان : « (افريقية) بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء وسكون الياء المثناة التحتية وكسر القاف وفتح اليـــاء المثناة التحتية وبعدها هـــاء آخر الكلمة : اسم لارض من اراضي المغرب تشتمل على مـــدن وقصبات وقرى كثيرة اكثرها من اوسط المغرب وبعضها من اوايلها، قاعدتها في الاسلام القيروان ومدنها المشهورة طرابلس الغرب . **وقصر احمد آخرها مـــن جهة الشرق** واول حدها برقة . » ولم تزل بلاد المغرب الى طرابلس بل والى الاسكندرية عامرة بهذا الجيل من بين البحر الرومي وبلاد السودان منذ ازمنة لا يعرف اولها ولا مـــا قبلها . وكان دينهم دين المجوسية الا في بعض الاحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الامم اهل الدول العظيمة الذين كانوا يتغلبون عليهم . فقد غزتهم ملوك اليمن مراراً على ما ذكر مؤرخوهم فاستكانوا لغلبهم ودانوا بدينهم . ذكر ابن الكلبي : ان حميراً أبا القبائل اليمانية ملك المغربماية سنة وقد صبحهم الإسلام وكانوا تحت ملك الافرنج وعلى دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم **وكان اصحاب طرابلس ولبده وبرقه يؤدون الجباية لهرقل ملك القسطنطينية** حتى كان الفتح . وفي انقطاع بعض الاخبار وعـــدم الوقوف على تفاصيل بعضها دليل واضح على حدوث حوادث حدثت من الحروب والتغلب بالقوة والمـــال المفضي الى التفريط في الضبط والحفظ ووقوع الخلاف والتغيير والتبديـــل بحسب الاغراض الموجبة للخلل .

(ثم بدأت بمن كان سبباً لظهور كل موجود ، صاحب المقام)
(المحمود ، واللواء المعقود ، سيدنا ونبينا) .

محمد صلى الله عليه وسلم

ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن **قصي** بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن **مالك** بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، الى هنا بالاتفاق . ولد صلى الله عليه وسلم في شعب (بني هاشم) وقيل (بعسفان) يوم الاثنين بلا خلاف ليلة الثاني عشر من ربيع الاول على [1] الاصح لعشرين من شهر نيسان عام الفيل **بعد قدوم الفيل مكة بخمسين يوماً** ، وقيل غير ذلك وهذا اشهر ، **في ولاية الملك العادل** كسرى **انوشروان** . وسنة (٥٧٨) ثمانية وسبعين وخمسماية من رفع عيسى بن مريم عليه السلام الى السماء وكان له من المعجزات ما لا يحصى وعاش صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة وتوفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول [2] بالمدينة الشريفة صلى الله عليه وسلم .

خلافة سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه

اسمه عبد الله بن ابي قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن

(١) قال متصفحه : والاشهر ثامنه .

(٢) قال متصفحه : والأقوى ثانية .

كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب يلتقي نسبه مع نسب النبي (صلى الله عليه وسلم) في مرة بن كعب . وولادته بعد عام الفيل بثلاث سنين على الصحيح ، بويع له في ربيع الاول سنة احدى عشرة وقام سنتين وثلاثة اشهر وتسعة ايام وتوفي ليلة الجمعة لسبع بقين من جماد الآخر سنة (١٣) ثلاث عشرة .

خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

هو ابو حفص سيدنا عمر بن الخطاب بن نفيل بن مصغرا بن عبد العزى بن رياح – بكسر الراء وفتح المثناة – بن عبد الله بن قرط – بضم القاف – بن رزاح – بفتح الراء – بن عدي بن كعب بن لؤي . يلتقي نسبه مع نسب النبي (صلى الله عليه وسلم) في كعب ابن لؤي . ولادته بعد ولادة النبي (صلى الله عليه وسلم) بثلاث عشرة سنة . بويع له يوم مات ابو بكر رضي الله تعالى عنه **وفي خلافته صار فتح طرابلس الغرب** .

ابتداء فتح طرابلس الغرب

لما ان كانت سنة (٢٢) اثنتان وعشرون من الهجرة ، على صاحبها افضل الصلاة واتم التسليم – سار سيدنا عمرو بن العاص [1] من

---

(١) قال متصفحه : ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن هصيص بن كعب ابن لؤي .

مصر الى برقة فصالحه اهلها على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها جزية ، وشرطوا **ان يبيعوا من اولادهم** من ارادوا بيعه في جزيتهم . فلما فرغ من برقة سار الى طرابلس فحاصرها شهرا فلم يظفر بها ، وكان قد نزل شرقيها بقربة من المكان الذي فيه ضريح الشيخ الشعاب الان ، فخرج رجل من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غربي المدينة ، فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فاخذوا على جانب البحر . ولم يكن السور متصلاً بالبحر ، وكانت سفن الروم في مراسيها مقابل بيوتهم ؛ فرأى المدلجي واصحابه مسلكاً بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا ، فلم يكن للروم ملجأ الا سفنهم لانهم ظنوا ان المسلمين قد دخلوا البلد . ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت الروم الا بما خف معهم في مراكبهم .

وكان اهل حصن (صبره) قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس ، فلما امتنعوا عليه بطرابلس امنوا واطمأنوا . فلما فتحت طرابلس جند عمرو عسكراً كثيفاً وسيره الى (صبره) ، وتعرف الآن (بزواغه) غربي طرابلس على مسيرة يوم منها ، فصبحوها وقد فتح اهلها الباب ، واخرجوا مواشيهم لتسرح ، لانهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس . فوقع المسلمون عليهم ودخلوا عليهم البلد مكابرة ، وغنموا ما فيه وعادوا الى عمرو . ثم سار عمرو بن العاص الى برقة وبها لواته من البربر .

خلافة امير المؤمنين سيدنا عثمان عفان
رضي الله تعالى عنه

وفي ثلاثة عشر من شهر ذي الحجة سنة (٢٣) توفي سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه . وفي اول المحرم سنة (٢٤) اربع وعشرين بويع لسيدنا عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، يلتقي نسبه مع نسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عبد مناف . ولادته بعد ولادة النبي (صلى الله عليه وسلم) بست سنين وكنيته ابو عبد الله .

انتقاض طرابلس الغرب ونهبها وفتح افريقية

وفي سنة (٢٥) خمس وعشرين امر عثمان رضي الله عنه **عبد الله ابن سعد بن ابي سرح بغزو** افريقية وقال له ان فتح الله عليك فلك خمس الخمس من الغنائم ، **وأمر عقبة بن نافع بن عبد القيس** على جند **وعبد الله بن نافع بن الحرث على آخر** وسرحها فخرجوا الى افريقية في عشرة آلاف ، وصالحهم اهلها على مال يؤدونه ، ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة اهلها . ثم ان عبد الله بن ابي سرح استأذن عثمان رضي الله عنه في ذلك واستمده ، فجهز العساكر من المدينة ،

وفيهم جماعة من اعيان الصحابة رضي الله عنهم ، منهم عبد الله بن عباس وغيره . وساروا مع عبد الله بن ابي سرح سنة (٢٦) ست وعشرين الى افريقية . فلما وصلوا برقة لقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ، وكانوا بها ، وساروا الى طرابلس الغرب ، فنهبوا من عندها من الروم وساروا نحو افريقية وبعث السرايا في كل ناحية . وكان ملكهم اسمه (جرجر) وملكه من طرابلس الى طنجه . وكانت دار ملكه (سبيطله) وكان هرقل ملك الروم قد ولاه افريقية فهو يحمل اليـه الخراج كل سنة ، فصالحه اهلهـا على الف الف وخمسمائة الف دينار . ثم ان عبد الله بن سعد عاد من افريقية الى مصر . وكان مقامه بافريقية سنة وثلاثة اشهر ، ولم يفقد من المسلمين الا ثلاثة انفار .

انتقاض افريقية وفتحها مرة ثانية

وفي سنـة (٢٩) تسع وعشرين زحف المسلمون الى افريقيـة وعليهم عبد الله بن سعيد بن نافع بن عبد قيس بن ابي سرح من بني عامر بن لؤي — فجمع لهم جرجر ملك الافرنج يومئذ بافريقية من كان بأمصارها من الافرنج والروم ، ومن بضواحيها من جموع البربر ، فلقوا المسلمين في زهاء مائة وعشرين الفاً ، والمسلمون يومئذ في عشرين الفا . فكان من هزيمة العرب لهم وفتحهم لسبيطله وتخريبهم اياها وقتلهم جرجر ملكهم وما نفلهم الله من اموالهم وبناتهم ما هو كله مذكور مشهور . وانساح المسلمون في البسائط بالغارات ووقع بينهم

وبين البربر اهل الضواحي زحوف وقتل وسبي ؛ ثم لاذ الافرنج بالسلم وشرطوا لابن ابي سرح **ثلثمائة قنطار من الذهب على** ان يرحل عنهم بالعرب ، ويخرج من بلدهم ، فقبل ورجع المسلمون الى المشرق .

خلافة امير المؤمنين سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه

وفي الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة (٣٥) خمس وثلاثين استشهد سيدنا عثمان بن عفان وبويع لسيدنا علي بن ابي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب جد النبي (صلى الله عليه وسلم) واسمه شيبة يلتقي نسبه مع نسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عبد المطلب ، واقام اربع سنين وتسعة اشهر ، وتوفي ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين ، ودفن بالكوفة .

خلافة امير المؤمنين سيدنا الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه

امير المؤمنين سيدنا الحسن بن سيدنا علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وامه سيدتنا (فاطمة الزهراء) رضي الله عنها بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورضي عنهم . بويع له يوم

مات ابوه ، واقام ستة اشهر ونزل رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه في ربيع الاول سنة (٤١) احدى واربعين ففيه تصديق لقوله صلى الله عليه وسلم : « ان ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . وبايع معاوية وبايعه ايضاً الصحابة وبقية الناس ، واجمعوا على صحة هذا النزول وصحة البيعة ، وسموا عامهم ذلك عام الجماعة . وتسلم معاويـة الخلافة في ربيع الاول سنة (٤١) احدى واربعين ، ومات الحسن رضي الله عنه سنة خمسين ، ودفن بالبقيع .

دولة بني أمية

كانت بالشام ، وعدة الخلفاء منهم اربعة عشر نفرا ، وكانت عمالهم بمصر وغيرهـا ومدتهم اثنتان وتسعون سنة ، واولهم معاوية رضي الله عنه

خلافة امير المؤمنين سيدنا معاوية رضي الله عنه

ابن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقي نسبه مع نسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عبد مناف . ولد رضي

الله عنه قبل الهجرة بسبع سنين وبويع له في خمسة وعشرين من شهر ربيع الاول سنة (٤١) احدى واربعين ببيت المقدس .

ولاية عقبة بن نافع طرابلس وافريقية

وكان عمرو بن العاص على مصر فولي سنة (٤١) احدى واربعين من قبله على طرابلس وافريقية (عقبة) بن نافع بن عبد القيس الفهري ، وهو ابن خالته ، فانتهى الى لواته ومزاته ببرقة فأطاعوه ثم كفروا فغزاهم وقتل وسبى . ثم فتح سنة (٤٢) اثنتين واربعين بعدها (غدامس) [١] من عمل طرابلس وقتل وسبى . وافتتح سنة (٤٣) ثلاث واربعين بعدها بلد (ودان) واثخن في تلك النواحي ، وكان له فيها جهاد وفتوح ، واقام ببرقة وزويلة من عمل طرابلس . وقال ابن الاثير في الكامل : «كان هرقل ملك القسطنطينية يؤدي اليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقية والاندلس وغير ذلك ، فلما صالح أهل افريقية عبد الله بن سعد ؛ ارسل هرقل الى اهلها بطريقاً له ، وأمره ان يأخذ منهم مثل ما اخذ المسلمون ، فنزل البطريق في قرطاجنة وجمع اهل افريقية واخبرهم بما أمره الملك فأبوا عليه وقالوا : نحن نؤدي ما كان يؤخذ منا للمسلمين وقد كان ينبغي له ان يسامحنا لما ناله المسلمون

---

(١) بضم الغين وفتح الذال المعجمة وكسر الميم .

منا . وكان قد قام بأمر افريقية بعد قتل جرجير رجـــل آخر من الروم فطرد البطريق بعد فتن كثيرة . فسار الى الشام وبه معاوية فوصف له امر افريقية وطلب ان يرسل معه جيشاً فسرح معه معاوية ابن ابي سفيان معاوية بن حديج [1] السكوني . فلما وصلوا الى الاسكندرية هلك البطريق ومضى ابن حديج فوصل الى افريقية وهي نار تضطرم وكان معه عسكر عظيم فنزل عند (قمونيه) . وارسل الرومي اليه ثلاثين الف مقاتل ، فلما سمع بهم معاوية سير اليهم جيشاً من المسلمين فقاتلوهم فانهزمت الروم وحصر حصن (جلولا) فلم يقدر عليه فانهدم سور الحصن فملكه المسلمون وغنموا ما فيه ، وبث السرايا فسكن الناس واطاعوا وعاد الى مصر .

وفي سنة (٥٠) خمسين اقتطع معاوية افريقية عن معاوية بن حديج بمصر ، وولى عقبة بن نافع الفهري ، وكان مقيماً ببرقة وزويلة كما ذكر ، وبعث اليه عشرة آلاف فارس فدخل افريقية ، وانضاف اليه مسلمو البربر ، فكبر جمعه ووضع السيف في اهل البلاد لانهم كانوا اذا جاءت عساكر المسلمين اسلموا فاذا رجعت عنهم ارتدوا . فرأى ان يتخذ مدينة يتعصم بها العساكر من البربر ، فاختط القيروان [2] وبنى بها المسجد الجامع وبنى الناس مساكنهم ومساجدهم

---

(١) بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم .

(٢) اختلف في لغة العرب في لفظة القيروان ، فقيل هي موضع اجتماع الناس اعني الجيش . وقيل : محط اثقال الجيش . وقيل هي الجيش نفسه . والمعنى متقارب . ا هـ : معالم الايمان .

وكملت في خمس سنين ، وكان يغزو ويبعث السرايا للاغارة والنهب ، ودخل كثير من البربر في الاسلام ، واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين ، وتفرق امر الافرنج وصاروا الى الحصون ، وبقي البربر بضواحيهم .

وقد ترجم له الامام السيوطي في حسن المحاضرة بقوله : « عقبة ابن نافع الفهري امير المغرب قال في التجريد ولد على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا تصح له صحبة .

وقد ذكره ابن الربيع فيمن شهد فتح مصر من الصحابة ولا يعرف له حديث » .

وقال الذهبي ايضاً : « عقبة بن رافع وقيل ابن نافع بن عبد القيس ابن لقيط القرشي الفهري الامير شهد فتح مصر وولي امرة المغرب واستشهد بافريقية » .

قال ابن كثير : اختط القيروان ولم يزل بها الى سنة (٦٢) اثنتين وستين فغزا قوماً من البربر فقتل شهيداً . قال ابن عبد الحكيم : حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد : ان عقبة بن نافع غزا افريقية فأتى وادي القيروان فبات عليه هو واصحابه حتى اذا اصبح ، وقف على رأس الوادي فقال « يا اهل الوادي ، اظعنوا ! فإنا نازلون » . قال ذلك ثلاث مرات [1] **فجعلت الحيات تنساب**

---

(١) روى عبد الله بن وهب عن ابي لهيعة ان عقبة قال ايضاً (وانا من وجدناه قتلناه) اهـ : معالم .

والعقارب وغيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون اليها من حين اصبحوا حتى اوجعتهم الشمس ، وحتى لم يروا منها شيئاً فنزلوا الوادي عند ذلك . قال في معالم الايمان « ذكره غيره بابسط من هذا وهو ان السبع يخرج اليهم من الغيظة وهو يحمل اشباله ، والذئب يحمل اجراءه ، والحية تحمل اولادها ، والعقارب تذب ذبيباً هاربة سمعاً وطاعة لرب العالمين .

ونادى عقبة في عسكره : كفوا عنهم حتى يرحلوا عنا . ! فأقام عقبة ثلاثة ايام كل يوم ينادي باعلى صوته (يا اهل الوادي قد اجلناكم ثلاثة ايام) وروى الليث بن سعد أن عقبة بن عامر الجهني هو الذي فعل هذا .

وروى ابو العرب احمد بن تميم عن احمد بن ابي سليمان عن عبد الله بن لهيعة مثله . عن عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد مثله . وروى عيسى بن محمد بن ابي المهاجر عن عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة مثله .

والصحيح . ! ان الذي دعا على وادي القيروان عقبة بن نافع الفهري . انتهى

قال الليث : فحدثني زياد بن عجلان ان اهل افريقية اقاموا بعد ذلك اربعين سنة ولو التمست حيةً او عقرباً بالف دينار ما وجدت . وبقي بها الى سنة خمس وخمسين ، وكان مقيما ببرقة وزويلة من عمل طرابلس . ثم استعمل معاوية على مصر

وافريقية مسلمة بن مخلد الانصاري واستعمل على افريقية مولاه ابا المهاجر فاساء عزل عقبة واستخف به ، وجاء عقبة الى الشام فاعتذر اليه معاوية ووعده بعمله .

ولاية رويفع بن ثابت

ثم ولى مسلمة بن مخلد الانصاري رويفـــع بن ثابت بن السكن النجاري الانصاري نزل مصر عـــلى طرابلس . قال ابن يونس : توفي ببرقـــة وهو امير عليها من قبل مسلمة بن مخلد سنة (٥٦) ست وخمسين وقبره مشهور بالجبل الاخضر [١] . وقال في التجريد : يعد في المصريين ، له صحبة ورواية ، روى عنه جماعة . وقال ابن الربيع : شهد فتح مصر واختط بهـــا ؛ ولأهل مصر عنه نحو عشرة احاديث [٢] .

خلافة يزيد بن معاوية

وفي شهر رجب سنة (٦٠) ستين توفي معاويـــة بن ابي سفيان

---

(١) قال متصفحه : قد زرته رضي الله عنه سنه ١٢٧٣ وعلى قبره من الهيبة ما هو اهله .

(٢) قال متصفحه : وروى عنه الترمذي في جامع حديث النبي عن وطاء الحبالى . حدث به لما فتح جربة الجزيرة المشهورة .

ودفن بدمشق وبويع ليزيد بن معاوية يوم مات ابوه . ولمـا استقل يزيد بالخلافة رجع عقبة بن نافع الى افريقية سنة (٦٢) اثنتين وستين فدخل افريقية وقـد نشأت الردة في البرابرة ، فزحف اليهم وجعل في مقدمته زهير بن قيس البلوي ، ثم استخلفه على القيروان واستفتح الحصون الافرنجية ، ولقبه ملوك البربر بالزاب ففضهم جمعا بعد جمع ، ودخـل المغرب الاقصى واثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الاسلام ، ودوخ بلادهم . ثم اجاز الى بلاد السوس لقتال من بهـا من صنهاجة ، وهم يومئذ عـلى دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية ، فاثخن فيهم وقفل راجعاً . فلما قفل من السوس سرح العساكر الى القيروان حتى بقي في خف من الجنود ، فانتهز كسيله الاوربي وقومه الفرصة فيه فاعترضوا له في (تهود) وقتلوه في ثلثمائة من كبار الصحابة والتابعين واستشهدوا كلهم . واسر في تلك الوقعة محمد بن اوس الانصاري في نفر فخلصهم صاحب قفصة ، وبعث بهم الى القيروان مـع من كان بها في المخلفين . ثم اعتزم (زهير بن قيس) على القتال وخالفه (حنش بن عبد الله الصنعاني[١]) ، وارتحـل الى مصر واتبعه الناس ، فاضطر (زهير) الى الخروج معهم ، وانتهى الى برقة فأقام بها مرابطاً . واستأمن من كان بالقيروان الى كسيله ملك اوروبة والبرانس من البربر فأمنهم ودخل القيروان وأقاموا في عهده . وملك كسيله افريقية خمس سنين ونزل القيروان واعطى الأمان لمن بقي بها ممـن تخلف من العرب اهل الدراري والاثقال وعظم سلطانه على البربر .

---

(١) قال متصفحه : هو احد الاحناش الاربعة الذين رووا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

وذكر الواقـــدي ان عقبة ولي افريقية سنة (٤٦) ست واربعين فاختط القيروان ثم عزله يزيد بابي المهاجر سنة (٦٢) اثنتين وستين ، فحينئذ قبض على عقبة وضيق عليه ، فكتب اليه يزيـــد ببعثه اليه واعاده والياً عـــلى افريقية ، فحبس ابا المهاجر الى ان قتلهم جميعاً كسيله المذكور في (تهود) مـــن ارض الزاب . قال ابن خلدون : واجداث الصحابـــة رضي الله عنهم اولئك الشهداء اعني (عقبة) واصحابه بمكانهم مـــن ارض الزاب لهذا العهد . وقد جعل على قبورهم اسمنة ، ثم جُصصت واتخذ على المكان مسجد عرف باسم (عقبة) وهو في عدد المزارات ، ومظان البركات . بل هو أشرف مَزور مـــن الاجداث في بقاع الارض لما توفر فيه من عـــدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه .

ذكر من دخل افريقية من الصحابة
رضي الله عنهم

تيمناً بسردهم ، واعظاماً لمقدمهم ، ملخصاً من كتاب (الاستقصاء) مرتبة اسماؤهم على حروف المعجم .

« بلال » بن حارث بن عاصم المزني ابو عبد الرحمن . « جرهد » ابن خويلد الأسدي ، او الاسلمي . « جبلة » بن عمرو بن ثعلبة بن أسد الانصاري أخـــو ابي مسعود البدري . « الحسنان » رضي الله

عنهما على ما ذكره ابن خلدون وهما سيدا شباب اهـل الجنة وريحانتا « الرسول صلى الله عليه وسلم » . « الحرث » بن حبيب ابن خزيمة القرشي العامري . « حمزة » بن عمرو الاسلمي « حبان » – بكسر الحاء وموحدة – ابن ابي جبلة . « خالد » بن ثابت العجلاني الفهمي . « ربيعة » بن عباد الديلي . « رويقع » بن ثابت بن السكن الانصاري ثم النجاري . « زهير » بن قيس البلوي ابو شداد . « سفيان » بن وهب الخولاني أبو أيمن « سلكان » بن مالك . « سلمة » بن الاكوع الاسلمي الصحابي المشهور . ومنهم العبادلة الاربعة رضي الله عنهم : « عبد الله » ابن عباس ، « عبد الله » بن عمر بن الخطاب ، « عبد الله » بن الزبير بن العوام ، « عبد الله » بن جعفر بن ابي طالب ، فهؤلاء العبادلة الاربعة . « عبد الله » بن سعد بن ابي سرح . « عبد الله » ابن عمرو بن العاص . « عبد الرحمن » بن العباس بن عبد المطلب . « عبيد الله » بن عمر بن الخطاب . « عاصم » بن عمر بن الخطاب . « عبد الله » بن نافع بن الحصين . « عقبة » بن نافع الفهري الامير المشهور . « عثمان » بن عوف المزني على خلاف فيه . « مروان » بن الحكم بن ابي العاص الاموي . « مسعود » بن الاسود البلوي وقيل العدوي . « المسيب » بن حزن بن ابي وهب المخزومي والد سعيد بن المسيب . « المطلب » بن ابي وداعة القرشي السهمي . « معاوية » بن حديج السكوني . « معبد » ابن العباس بن عبد المطلب . « المقداد » بن الأسود الكندي – وليس الأسود أباه وانما تبناه الاسود بن عبد يغوث وهو صغير فعرف به – وانما اسم أبيه عمر بن ثعلبة الكندي . « المنيذر »

الاسلمي ، ابو ذؤيب الهــذلي الشاعر المشهور واسمه « خويلد » ابن خالد . ابو رمثة البلوي قيــل اسمه « رفاعة » بن يثربي وقيــل بالعكس . ومنهم ابو زمعة البلوي ، قال الذهبي : اسمه « عبد » وقيل « عبيد » بن أرقم . أبو ضبيس البلوي ، ابو المبتذل « خلف » وقيل ابو المنيذر كذا في التجريــد وغير هؤلاء ممن لم يحضرنا ذكرهم .

اخرج « ابن عبــد الحكم » عن سليان بن يسار قال : غزونا « افريقية » مع ابن حديج ومعنا بشر كثير من اصحاب « رسول الله صلى الله عليه وسلم » من المهاجرين والانصار . اه

رضي الله عنهم ونفعنا بهم وحشرنا في زمرتهم آمين آمين .

•

خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية

وفي الرابع عشر من شهر ربيع الاولى سنة (٦٤) اربع وستين توفي يزيــد بن معاوية وبويع لابنه معاوية الاصغر بن يزيد واقال نفسه بعد ثلاثــة اشهر وقيل اربعين يوما ثم مات بعد اربعين يوما ودفن بدمشق .

خلافة امير المؤمنين سيدنا عبد الله بن الزبير

وبويـــع لأمير المؤمنين سيدنا عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي ، يلتقي نسبه مع النبي (صلى الله عليـــه وسلم) في قصي . وأم ابن الزبير اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه . وولد ابن الزبير في السنة الاولى من الهجرة وهـــو أول مولود ولد للمهاجرين وأول شيء دخل جوفه ريق النبي (صلى الله عليه وسلم) لمـــا حنكه . وبويع له بمكة تاسع يوم من شهر رجب سنة (٦٤) اربع وستين[١] .

خلافة مروان بن الحكم بن ابي العاص بن أميـــة

وبويع لمروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبـــد مناف سنة (٦٤) اربع وستين بالشام وكان كرسي ملكه ومُلك بنيه الشام . ثم توفي لعشرة اشهر من خلافته .

(١) قال الامام مالك رضي الله عنه : هو اولى بالخلافة من عبـــد الملك وابيه مروان . قاله متصفحه .

خلافة عبد الملك بن مروان

بويع لعبد الملك بن مروان يوم مات ابوه ، وبعث الى (زهير) ابن قيس بمكانه من (برقة) المـــدد وولاه حرب البرابرة للثأر بدم عقبة بن نافع .

فزحف سنة (٦٧) سبع وستين ودخـــل افريقية وجمع له (كسيلة) ساير البربر ولقيه بجيش من نواحي القيروان ، فاشتد القتال بين الفريقين ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم واتبعهم الى الغرب الى (ملويه) .

وفي هـــذه الوقعة ذل البربر وفنيت رجالهم وخضدت شوكتهم واضمحل امر الافرنج فلم يعودوا . وخاف البربر من (زهير) بن قيس ومـــن العرب خوفاً شديـــداً فلحقوا بالقلاع والحصون . ثم ذهب زهير بعـــد تلك المحاربـة وقفل الى المشرق زاهـــداً في الملك وقال : « انمـــا جئت للجهاد واخاف ان تميل نفسي الى الدنيا » . وسار الى مصر واعترضه بسواحل (برقة) اسطول صاحب القسطنطينية . جاؤوا لقتاله فقاتلهم ، واستشهد رحمه الله تعالى ودفن ببلد (درنه) من برقة . وقبره لدى أهلها مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه .

وترجم له الامام السيوطي في المحاضرة بقوله « زهير بن قيس ابو

شداد . قال ابن يونس : يقال له صحبة ، شهد فتح مصر . قال في التجريد : بايع . وحديثه في الاذان في جامع الترمذي » انتهى .

ثم بعد استشهاده ببرقة اضطرمت افريقية ناراً وافترق امر البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم ، وكان من اعظمهم شأناً الكاهنة (داهيا) الزناتية ثم الجراوية بنت ماتيا بن تيفان ملكة جبل اوراس . فبعث عبد الملك الى (حسان) بن النعمان الغساني عامله في مصر ان يخرج الى جهاد افريقية ، وبعث اليه بالمدد فزحف اليه سنة (٧٩) تسع وسبعين ودخل القيروان وغزا قرطاجنة وفتحها عنوة ، وذهب من كان بقي بها من الافرنج الى صقلية والى الاندلس .

ثم سأل عن اعظم ملوك البربر فدلوه على الكاهنة وقومها ، فمضى اليها حتى وصل الى (وادي مسكيانه) وزحفت اليه فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير واسر خالد ابن يزيد القيسي .

ولم تزل الكاهنة والبربر في اتباع حسّان والعرب حتى اخرجوهم من عمل قابس ، ولحق حسان بعمل طرابلس ، ولقيه (كتاب عبد الملك بن مروان) بالمقام ، فاقام وبنى قصوره بسراتة وتعرف بهذا العهد .

ثم رجعت الكاهنة الى مكانها واتخذت عهداً عند اسيرها خالد بالرضاع مع ابنتها ، واقامت في سلطان افريقية والبربر خمس سنين .

ثم بعث عبد الملك الى حسان بالمدد فرجع الى افريقية سنة (٨٤) اربع وثمانين وخربت الكاهنة جميع المدن والضياع ، وكانت من طرابلس الى طنجه ظلا واحدا في قرى متصلة ؛ وشق ذلك على البربر فاستأمنوا لحسان ، ووجد السبيل الى تفريق امرها وزحف اليها وهي في جموعها من البربر فانهزموا وقتلت الكاهنة واستأمن اليه البربر على الاسلام والطاعة ، وعلى ان يكون منهم اثنا عشر الفا مجاهدين معه . فاجابوا واسلموا وحسن اسلامهم . وعقد للأكبر من اولاد الكاهنة على قومهم من جراوة [1] .

وانصرف حسان الى القيروان فدون الدواوين وكتب الخراج على عموم افريقية ومن اقام معهم على النصرانية من البربر ، ورجع الى عبد الملك واستخلف على افريقية رجلا اسمه (صالح) من جنده ، فاختلف ايدي البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب فخلت اكثر البلاد .

خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان

وفي سنة (٨٦) ستٍ وثمانين توفي عبد الملك بن مروان وبويع

---

(١) قال متصفحه : وعلى ذكر جراوة فاني قرأت في تاريخ ابن خلكان في ترجمة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي انه سأل عمن بالباب . فقيل : الطبيب الغماري ، والشاعر الجراوي . فقال من عجائب الدنيا طبيب غماري ، وشاعر جراوي . فسمعها الجراوي فدخل وهو يقول (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) اعجب منها خليفة من كوميه . الخ .

لابنه الوليد بعهد ابيه . وكان (فتح الاندلس) في خلافة الوليد . وفتح في مدته كثيراً من الفتوحات . وعمر في مدته مسجد (النبي صلى الله عليه وسلم) مسجد بيت المقدس .

وفي سنة (٨٨) ثمان وثمانين ولى الوليد بن عبد الملك (موسى بن نصير) مولى عمه عبد العزيز على افريقية وما خلفها ؛ فخرج في نفر قليل من المطوعـــة فيهم (سيدي المنيذر) الصحابي ، فلما ورد الى مصر اخرج معه من جندها بعثا وقدم القيروان ، ورأى ما فيها من الخلاف فاثخن في البربر ودوخ المغرب . وادى اليه البربر الطاعة وولى على طنجة (طارق بن زياد) وانزل معه سبعة وعشرين الفاً مـــن العرب واثني عشر الفاً من البربر ، وامرهم ان يعلموا البربر « القرآن العظيم ، والفقه » واجاز البلاد والبحر الى بـــلاد الاندلس وفتحها سنة (٩٢) اثنتين وتسعين ، واجاز موسى بن نصير على اثره فكمل فتحها .

ولاية بكر بن عيسى القيسي

في خلال سنة (٩٦) ست وتسعين ولي على طرابلس الغرب بكر ابن عيسى القيسي وارتحل موسى بن نصير الى المشرق واستخلف على افريقية ابنه عبد الله وعلى الاندلس عبد العزيز .

ذكر المنيذر الصحابي رضي الله عنه

وقفل المنيذر الصحابي رضي الله عنه من الاندلس الى طرابلس الغرب وتوفي بها وقبره لدى اهلها مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه .

وقد ترجم له الاستاذ العلامة احمد المقري في كتابه (نفح الطيب) بقوله « فمن الداخلين الى الاندلس المنيذر الصحابي الذي يقال إنه رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

قال ابن الابّار في التكملة : المنيذر الافريقي له صحبة ، وسكن افريقية ودخل الاندلس فيما ذكره عبد الملك بن حبيب قاله ابو محمد الرشاطي . ولم يذكره احد غيره روى عنه ابو عبد الرحمن الحبلي انتهى .

وانكر غير واحد دخول احد من الصحابة الاندلس وذكر بعض الحفاظ المنيذر المذكور . وقال ، انه المنيذر اليماني .

وذكر الحجاري انه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وانه دخل الاندلس مع موسى بن نصير غازياً . ا هـ . وقال ابن بشكوال : يقال فيه المنيذر لكونه من احداث الصحابة رضي الله عنهم وقد حكى ذلك الرازي . ا هـ

وذكره ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب في الصحابة وسماه بالمنيذر الافريقي . وقال ابن بشكوال : ان ابن عبد البر روى عنه حديثاً واحداً سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وذكره ابو علي ابن السكن في كتاب الصحابة وقال روى عنه حديثاً واحداً وارجو ان يكون صيححاً . اه

وذكره ابن قانع في معجم الصحابة له . وذكره البخاري في تاريخه الكبير اذ قال : ابو المنيذر صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان قد حدث بافريقية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال « من قال رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا ، فانا الزعيم لآخذن بيده فأدخله الجنة » . كذا ذكره البخاري بالكنية . وهذا الحديث هو الذي روي عنه لا يعرف له غيره . وذكره ابو جعفر احمد بن رشد في كتاب (مسند الصحابة) له فقال : « المنيذر اليماني اما من مذحج او غيرها وذكر الحديث سوى . » انتهى .

وقد وجد منقوشاً على قبر عتيق بمقبرة لهذا الصحابي الجليل هذان البيتان احببت ذكرهما وهما :

هي في جوارك يا منيذر فاحمها
ومن المروءة ان يعز الجار
حاشا لفضلك يا رفيق محمد
من ان تمس مجاوريك النار

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

وفي نصف جماد الآخر سنة (٩٦) ستٍ وتسعين توفي الوليد ابن عبد الملك بن مروان ودفن بدمشق ، وبويع لاخيه سليمان يوم مات الوليد بعهد من ابيهما عبد الملك لانه اوصى ان الخليفة بعده الوليد ثم سليمان .

وفي سنة (٩٧) سبع وتسعين عزل سليمان بن عبد الملك هذا موسى بن نصير عن افريقية وولى مكانه (محمد بن يزيد القرشي) واوصى بالخلافة بعده لابن عمه (عمر بن عبد العزيز) واقام سنتين وثمانية اشهر وتوفي في شهر صفر سنة (٩٩) تسع وتسعين .

خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان
بن الحكم

بويع لعمر بن عبد العزيز بالخلافة يوم مات ابن عمه سليمان ابن عبد الملك بعهد منه ، واظهر العدل . وألحقه العلماء بالخلفاء الراشدين وعدّوه منهم رضي الله عنه ، وعزل محمد بن يزيد القرشي عن افريقية وولى مكانه (اسماعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم) وعلى الاندلس (السمح بن مالك الخولاني) واقام عمر بن عبد

العزيز سنتين وخمسة اشهر وتوفي في شهر رجب سنة (١٠١) احدى ومائة ودفن بدير سمعان بارض حمص وقبره يزار .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة يوم مات عمر بن عبد العزيز ابن عمه بعهد من سليمان بن عبد الملك ، فانه عهد بالامر لعمر بن عبد العزيز ثم من بعده ليزيد بن عبد الملك تطييباً لقلوب بني عبد الملك ولو لم يفعل ذلك ما امضوا خلافة عمر بن عبد العزيز .

وفي هذه السنة عزل اسماعيل بن عبد الله عن افريقية وولاها (يزيد بن ابي مسلم) كاتب الحجاج واساء السيرة في البربر ووضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة منهم تأسياً بما فعله الحجاج بالعراق . فقتله البربر لشهرين من ولايته ورجعوا الى (محمد بن يزيد القرشي) ، الذي كان عليهم قبل اسماعيل بن ابي المهاجر ، وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك بالطاعة والعذر عن قتل عاملهم يزيد بن ابي مسلم ، فأجابهم بالرضا واقر محمد بن ابي يزيد القرشي على عمله .

ثم ولى يزيد على افريقية (بشر بن صفوان الكلبي) فقدمها سنة ثلاثة ومائة وسكن ارجاءها واقام يزيد بن عبد الملك بن مروان اربع سنين وشهراً وتوفي بنجران في شهر شعبان سنة (١٠٥) خمس ومائة .

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

ولي هشام بن عبـــد الملك الخلافة يوم مات اخوه يزيد بن عبد الملك بعهد منه اليه . وكان عمره لما ولي الخلافة اربعاً وثلاثين سنة وشهراً وكان هشام بالرصافة لمـــا مات يزيد بن عبد الملك في دويرة له صغيرة ، فجاءته الخلافة على البريد فركب من الرصافة وسار الى دمشق .

وكان هشام هذا حازماً شديد الرأي غزير العقل عالماً بالسياسة ، ويقال ان فحول ملوك بني امية « معاوية ، وعبد الملك بن مروان ، وهشام بن عبد الملك » .

وفي سنة (١٠٩) تسع ومائة مات عامـــل القيروان بشر بن صفوان فولى هشام مكانه (عبيدة بن عبد الرحمن بن الأغر السلمي) فعزل عبيدة يحيى بن سلمة الكلبي عن الاندلس واستعمل (حذيفة ابن الاحوص الاسجعي) ثم عزل لستة اشهر ووليها (عثمان بن ابي تسعة الخثعمي) .

وفي سنة (١١٠) عشر ومائة عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية عثمان بن ابي تسعة عن الاندلس وولى مكانه (الهيثم بن عبيدة الكناني) .

وفي سنة (١١٢) اثنتي عشرة وماية مات الهيثم عامل الاندلس وولوا على انفسهم مكانه (محمد بن عبد الله الاسجعي) شهرين وبعده (عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي) من قبل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية . وغزا افرنجة فاستشهد فولى عبيدة مكانه (عبد الملك بن قطن الفهري) ثم عزل هشام بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن السلمي وولى مكانه (عبد الله بن الحباب) مولى بني سلول وكان والياً على مصر فأمره ان يمضي الى افريقية واستخلف على مصر ابنه (ابا القاسم) وسار الى افريقية فقدمها سنة اربع عشرة وماية .

وبعث الى طنجة ابنه (اسماعيل) وجعل معه (عمر بن عبد الله المردي) وبعث على الاندلس (عقبة بن حجاج القيسي) وبعث (حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع) غازياً الى المغرب فبلغ السوس الاقصى وارض السودان واصاب من مغانم الذهب والفضة والسبي كثيراً ، ودوخ بلاد المغرب وقبايل البربر ورجع .

ثم اغزاه ثانية في البحر الى (صقلية) سنة ثنتين وعشرين وماية ومعه عبد الرحمن بن حبيب فنازل (سرقوسه) اعظم مدائن صقلية وضرب عليهم الجزية واثخن في سائر الجزيرة . وكان (اسماعيل بن عبد الله بن الحباب) بطنجة قد اساء السيرة في البربر واراد ان يخمس من اسلم منهم ، وزعم انه الفيء فاجمعوا على الانتقاض . وبلغهم مسير العساكر مع حبيب بن ابي عبيدة الى صقلية فسار (ميسرة المظفري) بدعوة الصفرية من الخوارج وزحف الى طنجة ، فقتل اسماعيل بن عبد الله بن الحباب وملكها ، واتبعه البربر وبايعوه بالخلافة . ثم ساءت

سيرته فنقم عليه البربر ماجاء به فقتلوه ، وقدموا على انفسهم (خالد ابن حميد الزناتي) فقام بأمرهم وزحف الى العرب ، وسرح اليه عبد الله ابن الحجاب العساكر في مقدمته ومعهم (خالد ابن ابي حبيب) فالتقوا (بوادي شلف) وانهزم العرب ، وقتل خالد بن ابي حبيب ومن معه ، وانتقضت البلاد ومرج امر الناس وتوفي عقبة بن الحجاج امير الاندلس وولى مكانه (عبد الملك بن قطن) ولايته الثانية .

ولما انتهى الخبر الى هشام بن عبد الملك بهزيمة العساكر بالمغرب استنقص ابن الحباب وكتب اليه يستقدمه وولى على افريقية (كلثوم ابن عياض القشيري) في اثني عشر الفاً من اهل الشام وكتب الى ثغور (مصر) و (برقة) و (طرابلس) ان يمدوه فخرج الى افريقية والمغرب حتى بلغ (وادي طنجة) فزحف اليه خالد بن حميد الزناتي فيمن معه من البربر وكانوا خلقاً لا تحصى ولقوا كلثوم بن عياض من بعد ان هزموا مقدمته ، فاشتد القتال بينهم وقتل كلثوم واخرمت العساكر ، فمضى أهل الشام الى الأندلس مع (فلح بن بشير القشير) وتغلب فلح على الاندلس ومضى اهل مصر وافريقية الى القيروان ثم مات وولي (ثعلبة بن خزامة بن سلامة الجرالي) بعده .

وبلغ الخبر الى هشام بن عبد الملك فبعث (حنظلة بن سفيان الكلبي) وامره ان يولي (ابا الخطار حسام بن ضرار الكلبي) على الاندلس فولاه وقدم حنظلة القيروان سنة (١٢٤) اربع وعشرين وماية ، و (هوارة) يومئذ خوارج على الدولة منهم (عكاشة بن ايوب) و (عبد الواحد بن يزيد) في قومهما فثارت

هوارة ومن تبعهم من البربر ، فهزمهم حنظلة وظاهر القيروان بعد قتال شديد وقتل عبد الواحد الهواري واذا عكاشة أسيراً وأحصي القتلى في هذه الواقعة فكانوا مائة وثمانين ألفا وكتب حنظلة بذلك الى هشام .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة لستة خلون من شهر ربيع الآخر سنة (١٢٥) خمس وعشرين ومائة لتسع عشرة سنة وتسعة أشهر من خلافته ، وولي الخلافة بعده الوليد بن يزيد بن عبد بن مروان بعد وفاة عمه هشام بعهد من أبيه يزيد .

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك

وفي سنة (١٢٦) ست وعشرين وماية قتل الوليد . قتله اليزيد ابن الوليد بن عبد الملك الذي يقال له (يزيد الناقص) وكان مقتله في شهر جماد الثاني من هذه السنة بسبب كثرة مجونه ولهوه وشربه الخمر ومنادمة الفساق فثقل ذلك على على الرعية والجند .

واستقر يزيد الناقص في الخلافة لليلتين بقين من شهر جماد

الثاني سنة (١٢٦) ست وعشرين ومائة وسُمي (يزيد الناقص) لأنه نقص الزيادة التي زادها الوليد في أُعطيات الناس وقررهم على ما كانوا عليه ايام هشام .

وفيهـــا اجاز البحر (عبد الرحمن بن حبيب) من الأندلس الى أفريقية فملكها ، وغدا (حنظلة) عليها . وانتقض البربر من أطراف البقاع وتواثبوا من كل مكان داعين الى بدعتهم .

وتوفي يزيد الناقص لعشر بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة لستة أشهر من خلافته .

خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك

ولي ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخلافة يوم مات أخوه يزيد وأقـــام سبعين يوما وأقال نفسه في شهر صفر سنة (١٢٧) سبع وعشرين ومائة .

خلافة مروان بن محمد بن مروان الأول

بويع لمروان بن محمد بن مروان الأول بالخلافـــة يوم اقالة ابراهيم بن الوليد بعد قتال وفتنة هائلة ، كان فيهـــا تفرق كلمة

بني مروان . وكان حينئذ (بكر بـــن عيسى القيسي) واليـــا بطرابلس .

استيلاء عبد الجبار

وفي هـــذه السنة ثار بطرابلس رجلان اسمها (عبد الجبار) و (الحرث) من هوارة وكانا يدينان بمذهب الأباضية [١] من الخوارج فقتلا عامل طرابلس (بكر بن عيسى القيسي) لما خرج اليهم يدعوهم الى الصلح ، واستولى عبد الجبار على طرابلس وبقي الامر عـــلى ذلك مدة . وفيها استقل (عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة بن نافع) بملك افريقية فكتب له مروان بن محمد بن مروان بولايتهـــا وولي (يوسف بن عبد الرحمن الفهري) على الاندلس بعـد (ابي الخطار حسام بن ضرار الكلبي) سنة (١٢٩) تسع وعشرين وماية .

ولاية حبيب بن عبد الرحمن

وفي سنة (١٣١) احدى وثلاثين وماية زحف عبـــد الرحمن ابن حبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع الى عبد الجبار بطرابلس فظفر بـــه وقتله وتبوأ البلد وعمر سورها سنة (١٣٢) اثنتين

---

(١) قال متصفحه : الاباضية هم أخف الخوارج بدعة :

وثلاثين ومابة ، واستعمل عليها حبيب بن عبد الرحمن وانقلب راجعاً الى القيروان .

ثم خفت الخلافة بالمشرق والتأب امرها لمـا كان بين بني امية من الفتنة وما كان من امر الشيعة والخوارج مـع مروان بن محمد بن مروان ، وافضى الامر الى ادالة (بني العباس) من (بني امية) وانقرض امر بني امية وعاد الامر والخلافة لبني العباس .

وقتل مروان بن محمد بن مروان في ثالث ذي الحجة سنة (١٣٢) اثنتين وثلاثين ومابة ، وجاءت الدولة العباسية ، والملك لله يؤتيه مـن يشاء مـن عباده . وكانوا بالعراق وعدتهم (سبعة وثلاثون نفراً) ومدتهم (خمسمائة واربع وعشرون سنة) اولهم ابو العباس عبد الله السفاح .

- « دولة بني العباس » -

خلافة أبي العباس عبد الله السفاح

بويع بالخلافة لعبد الله السفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في الكوفـة رابع عشر ربيع الاول سنة (١٣٢) اثنتين وثلاثين ومابة .

ثم لحق بالاندلس من فلّ من بني أمية من ولد هشام بن عبد الملك حافده (عبد الرحمن بن معاوية بن هشام) فاجاز البحر ودخل الاندلس فملكها من يد يوسف بن عبد الرحمن الفهري وخطب للسفاح فيها حولاً . ثم لحق به اهل بيته من المشرق فعذلوه في ذلك فقطع الدعوة عنهم وبقيت بلاد الاندلس منقطعة من الدولة الاسلامية عن بني العباس .

واقام السفاح أربع سنين وثمانية اشهر وتوفي في المحرم سنة (١٣٦) ست وثلاثين وماية .

خلافة أبي جعفر عبد الله المنصور

بويع لابي جعفر عبد الله المنصور بالخلافة يوم مات اخوه ابو العباس عبد الله السفاح .

وفي سنة (١٣٧) سبع وثلاثين ومائة قتل (عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع) وتولى ابنه (حبيب) .

وفي سنة (١٤٠) ماية واربعين قتل (عبد الملك بن ابي الجعد الورفجومي) (حبيب بن عبد الرحمن) واستولت قبائل ورفجومه على افريقية، وساروا في اهل القيروان بالعسف والظلم والاساءة، وقتلوا من كان بها من قريش وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع . واشتد البلاء على

اهل القيروان . وافترق اهـــل القيروان بالنواحي فراراً بانفسهم وشاع خبرهم بالآفاق . وانكرت ذلك من فعل (ورفجومه) برابر طرابلس (الاباضية) من (هواره) و (زناته) .

وفي سنة (١٤١) احدى واربعين ومابة خرج بنواحي طرابلس (عبد الاعلى) ابو الخطاب ابن عبد الرحمن بن السمح المعافري من وجوه العرب واجتمع اليـــه سائر البربر الذين كانوا هنالك وقصد طرابلس وملكها .

ولاية عبد الله رحيم أبي الخطاب

وفي صفر من السنة المذكورة ولى عبد الخطاب عبـــد الاعلى ابن السمح المعافري رحيمه عبد الله على طرابلس وزحف الى القيروان بما كان معه من البربر فخرجت عليهم ورفجومه واقتتلوا واشتد القتال فانهزم اهل القيروان الذين مع ورفجومه وخذلوهم ، وتبعهم في الهزيمة وكثر القتل فيهم ، وقتل عبد الملك الورفجومي . وتبعهم ابو الخطاب يقتلهم حتى اسرف فيهم . واستولى على القيروان واستخلف عليه (عبد الرحمن بن رستم الفارسي) وعاد الى طرابلس للقاء العساكر القادمة من ناحية (أبي جعفر المنصور) .

وكان الخليفة المنصور لمـــا وقع بأفريقية مـــا وقع من الفتنة وملك قبائل ورفجومه القيروان وفد عليه رجيلات من جند افريقيا يشكون

مـا نزل بهم من ورفجومه ويستصرخون . فولى على مصر (محمد بن الاشعث الخزاعي) . فنزل مصر وبعث على افريقيا ابا الاحوص (عمر ابن الاحوص العجلي) وسار في مقدمته فلقيه ابو الخطاب عبد الاعلى ابن السمح المعافري بسرت ودهمه بالعساكر وهزمه . ثم سار اليه محمد ابن الاشعث ومعه (الاغلب بن سالم بن عقالة بن خفاجه بن سواده التميمي) فلقي ابا الخطاب بسرت ثانية . فانهزم عبد الاعلى وقُتل عامة اصحابه ، وذلك سنة (١٤٤) اربـع واربعين وماية .

وبلغ الخبر الى عامله عبد الرحمن بن رستم بالقيروان ففر عنها الى تاهرت .

ولاية المخارق بن غفار الطائي

وقدم محمد بن الاشعث طرابلس فقتحها واستعمل عليها المخارق بن غفار الطائي واقام بأمر افريقيا وضبطها ، ثم قفل محمد بن الاشعث الى المشرق سنة (١٤٨) ثمان واربعين وماية .

واستعمل ابو جعفر المنصور (الاغلب بن سالم بن عقاله بن خفاجه التميمي) على افريقيا فقدم القيروان فخرج عليه (ابو قرة اليفرني[1])

---

(١) قال متصفحه : (اليفرني ، بفتح الياء المثناة وسكون الفاء وضم الراء المهملة وكسر النون بعدها ياء .

في جموع من البربر . فهرب (الاغلب بن سالم) وخالفه الجند ، وكان (الحسن ابن حرب الكندي) بقابس فكاتب الجند وثبطهم عن الاغلب فلحقوا به واقبل بهم الى القيروان فملكها . ولحق (الأغلب بن سالم) بقابس ثم رجع الى قتال الحسن بن حرب سنة (١٥٠) خمسين ومائة فاقتتلوا وهزمه ، وسار الى القيروان فكر عليه الحسن بن حرب دونها واقتتلوا ، واصاب الاغلب بن سالم سهم فقتله . وقدم اصحابه عليهم المخارق بن غفار الطائي عامل طرابلس وحملوا على الحسن فانهزم امامهم الى تونس وقام بامر افريقيا المخارق بن غفار الطائي .

ولما بلغ ابا جعفر المنصور قتل الاغلب بن سالم بعث على افريقيا مكانه (عمر بن حفص بن هزارمرد) ، فقدمها سنة (١٥١) احدى وخمسين ومائة .

ولاية الجنيد بن بشار الاسدي

وولي على طرابلس الجنيد بن بشار الاسدي واستقامت امور عمر ابن حفص ثلاث سنين . ثم ثار البربر ، واجتمع البربر (الاباضية) بضواحي طرابلس وولوا عليهم (ابا حاتم يعقوب بن حبيب الاباضي) فأمد عمر بن حفص بن هزارمرد الجنيد بن بشار عامل طرابلس بالعساكر وقاتلوا ابا حاتم ، فهزمهم وحصرهم بقابس ، وانشقت افريقيا من كل ناحية .

ثم قدم ابو حاتم الى القيروان ، وكان بها عمر بن حفص هزارمرد فحاصروه الى ان اجهده الحصار وخرج لقتالهم مستميتاً فقتل سنة (١٥٤) اربع وخمسين وماية . وولي مكانه اخوه لأمه (حميد بن صخر) فوعد ابا حاتم ان يقيم دعوة العباسية بالقيروان .

ولما بلغ ابا جعفر المنصور انتقاض افريقيا على عمر بن حفص هزارمرد وحصاره بالقيروان بعث اليه (يزيد بن حاتم بن قبيصه بن مهلب ابن ابي صفرة) في ستين الف مقاتل . وبلغ خبره (عمر بن حفص هزارمرد) فحمله ذلك على الاستماتة حتى قتل كما ذكر .

وسار (يزيد بن حاتم) يؤم القيروان و (أبو حاتم يعقوب بن حبيب) الاباضي مستول عليها . ثم سار الى طرابلس للقاء يزيد ابن حاتم بن قبيصة واستخلف علـى القيروان (عبد العزيز بن السمح المعافري) وسار يزيد بن حاتم الى طرابلس فلحق أبو حاتم جبل نفوسه .

ذكر جبل نفوسه

وهو قبلة طرابلس على ثلاث مراحـل منها وفي طوله سبع مراحل ويتصل بـه من الجانب الشرقي (جبل مسلاته) وكان يعمره قبائل (هواره) الى بلد (مسراته) و (برقه) وهو آخر جبال طرابلس .

وكانت هذه الجبال مواطن (هواره ، ونفوسه ، ولواته) ثم انتقلت (هواره) بعد خراب (زويله) [١] الى فزان واوطنوها ، وكان لهم بها ملك ودولة حتى جاء (قره قوش) [٢] وافتتح اوجله وفزان بعدها وتقبض على عاملها (محمد بن خطاب) وعذبه الى ان مات .

وقال الاستاذ ابو سالم عبد الله بن محمد العياشي في رحلته عند ذكره لهذا الجبل : « وهذا الجبل لا نظير له في الدنيا طولا وعرضا وخصبا وماء وقرى متصلة وعمراناً متراكباً وقبائل وافرة غالبها بربر . اوله من البحر المحيط اطراف السوس الاقصى ثم يمتد كذلك الى ان يمر قبلي مراكش وهو المسمى (جبل درن) ثم يمتد كذلك الى بلدنا ثم الى ان يقارب البحر قرب (تلمسان) ثم لم يزل يساير البحر وان كان يبعد عنه في بعض المواضع ، ويسمى في كل بلد باسم . وربما تعددت اطرافه فيسمى كل طرف باسم ، الى ان ينتهي هنا باطراف برقه » .

وقال صاحب تقويم البلدان انـــه يمتد من أطراف السوس الاقصى من البحر المحيط الى ان يبقى بينه وبين الاسكندرية خمس مراحل .

قلت وكأنه جعل بلاد (برقه) كلها و (الجبل الاخضر) منه ، لان

---

(١) قال متصفحه : زويله بفتح الزاء وكسر الواو .

(٢) اسم تركي ؛ معناه « العقاب » الطائر المعروف .

ارض برقه مرتفعة على ما يجاورها من بلاد فزان ونواحيها والبحر من من الناحية الاخرى الى (العقبة الصغيرة) وبينها وبين الاسكندرية خمس مراحل . فقرى هذا الجبل في كل البلاد بلاد مخصبة ذات انهار وعيون واشجار . وقبلته صحراء ذات نخيل ورمال من البحر المحيط من اطراف السوس الاقصى الى برقة انتهى .

(رجع) واتبعته عساكر اليزيد فهزمهم ، فسار اليه يزيد بنفسه وقاتله قتالا شديدا فانهزم البربر وقتل (أبا حاتم) في ثلاثين الفا من اصحابه . ثم انتقل (يزيد بن حاتم) الى القيروان فدخلها منتصف سنة (١٥٥) خمس وخمسين وماية فمهد البلاد وقمع المفسدين وقطع دابرهم .

وفي سنة (١٥٦) ست وخمسين وماية خرج على يزيد بن حاتم (يحيى بن فانوس) من بربر (هكار) واجتمع اليه كثير من قومه وزحف اليه قائد عساكر عمر بن حفص هزار مرد بطرابلس (عبد الله ابن السمط الكندي) على شاطىء البحر فانهزم وقتل عامة هواره وسكن الناس بافريقية وصفت ليزيد بن أبي حاتم .

خلافة محمد المهدي بن المنصور

وفي شهر ذي الحجة سنة (١٥٨) ثمان وخمسين وماية توفي ابو جعفر المنصور وهو محرم قريب (مكة)، وهو الذي بنى (بغداد)،

وبويع لابنه محمد المهدي بن المنصور وكان من صالح الخلفاء ، خرج في ايامه خوارج كثيرون فظفر بهم وقتلهم وكان كريماً وله خصال حميدة وأقام عشر سنين وشهراً وتوفي في المحرم سنة (١٦٩) تسع وستين وماية .

خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي

بويع لموسى الهادي بن محمد المهدي يوم مات ابوه واقام سنة وشهراً ونصفاً ومات في ربيع الاول سنة (١٧٠) سبعين وماية .

خلافة هارون الرشيد

بويع لهارون الرشيد بن محمد المهدي يوم مات موسى الهادي اخوه .

[رجع] ثم ان (يزيد) بن حاتم لم يزل مستمراً على ساعد الجد الى ان مات سنة (١٧٠) سبعين وماية واقام ابنه (داود) فخرج عليه البربر وأوقع فيهم .

ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم ولى اخاه (روحا) على افريقيا فقدمها منتصف سنة (١٧١) احدى وسبعين وماية ، ثم هلك روح بن حاتم في رمضان سنة (١٧٤) اربع وسبعين ومايـــة

وولي ابنه (الفضل) ، فاضطرمت افريقية سنة (١٧٧) سبع وسبعين ومابة وقتل الفضل بن روح في منتصف سنة (١٧٨) ثمان وسبعين ومايــة .

ولما بلغ الرشيد مقتل الفضل بن روح وما وقع بافريقيا من الاضطراب ولى مكانه (هرثمة) بن أعين فقدم القيروان فأمن الناس وسكنهم .

ولاية سفيان بن أبي المهاجر

وولى على طرابلس سفيان بن ابي المهاجر فقدمها وبنى السور على طرابلس مما يلي البحر ، ثم خرج على (هرثمة) بن أعين (عياض) ابن وهب الهواري وجمع الجموع . ولما رأى هرثمة كثرة الثوار والخلاف استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه لسنتين ونصف من ولايته .

وبعث الرشيد على افريقيا (محمد بن مقاتل العكي) وكان محمد هذا رضيع الرشيد فقدم القيروان اول رمضان سنة (١٨١) احدى وثمانين ومابة فكان سيىء الاخلاق والسيرة فاختلف عليه الجند .

ثم خرج عليه بتونس (تمام) بن تميم التميمي سنة (١٨٣) ثلاث وثمانين ومابة ، واجتمع عليه الناس وساروا الى القيروان ودخلوا على محمد بن مقاتل العكي فيها . فأمنه تمام بن تميم التميمي على ان يخرج

عن افريقيا فسار محمد بن مقاتل الى طرابلس .

وبلغ الخبر الى (ابراهيم بن الاغلب) بمكانه من (الزاب) فانتفض لمحمد بن مقاتل وسار بجموعه الى القيروان فهرب تمام بن تميم التميمي بين يديه . وملك ابراهيم بن الاغلب القيروان واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس وأعاده الى إمارته بالقيروان آخر سنة (١٨٣) ثلاث وثمانين ومائة .

ولما استقر الأمر لمحمد بن مقاتل العكي ببلاد افريقيا واطاعه تمام التميمي كره اهل البلاد ذلك وحملوا ابراهيم بن الاغلب على ان يكتب الى الرشيد يطلب منه ولاية افريقيا ، فكتب اليه في ذلك . وكان على ديار مصر ماية ألف دينار تحمل الى افريقيا معونة فنزل ابراهيم عن ذلك وبذل ان يحمل كل سنة اربعين ألف دينار . فاحضر الرشيد ثقاته واستشارهم فيمن يوليه افريقيا وذكر لهم كراهة اهلها ولاية محمد ابن مقاتل . فأشار (هرثمة) بابراهيم بن الاغلب وذكر له ما رآه من عقله ودينه وكفايته ، وأنه قام بحفظ افريقيا على ابن المقاتل ، فولاه الرشيد في المحرم سنة (١٨٤) أربع وثمانين وماية فقام بالولاية وضبط الامور وسكنت البلاد .

ثم خالف اهلُ طرابلس على ابراهيم بن الاغلب سنة (١٨٩) تسع وثمانين وماية وثاروا بعاملهم (سفيان) بن أبي المهاجر وأخرجوه من داره الى المسجد وقتلوا عامة أصحابه ثم أمنوه على أن يخرج من طرابلس فخرج .

ولاية ابراهيم بن سفيان التميمي

واستعملوا عليهم (ابراهيم بن سفيان التميمي) فبعث اليهم ابراهيم ابن الاغلب العساكر وهزمهم ودخل عسكره طرابلس ، ثم استحضر ابراهيم بن سفيان التميمي الى القيروان فحضر ، ثم عفا عنه وأعاده الى ولاية طرابلس .

خلافة محمد الامين بن هارون الرشيد

وفي شهر جماد الآخر سنة (١٩٢) اثنتين وتسعين ومائة توفي هارون الرشيد لعشرين سنة وتسعة عشر يوماً من خلافته وبويع لابنه محمد الامين صبيحة الليلة التي توفي فيها الرشيد .

ولاية عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب

وفي سنة (١٩٦) ست وتسعين ومائة بعث ابراهيم بن الاغلب ابنه (عبد الله) الى طرابلس والياً عليها ، فثار عليه الجند وحاصروه بداره ثم آمنوه على ان يخرج منها ، فخرج . واجتمع عليه الناس ، وبذل العطاء ، وأتاه البربر من كل ناحية ، وزحف الى طرابلس فهزم جندها ودخل المدينة واستولى عليها ثم عزله ابوه .

ولاية سفيان بن أبي المهاجر

وولي سفيان بن المهاجر ولايته الثانية فثارت عليه هواره ، فخرج الجند عليهم والتقوا واقتتلوا فهزم الجند الى المدينة فتبعهم هواره ودخلوا المدينة وهدموا اسوارها . ولحق الجند بالأمير ابراهيم بن أغلب فأعاد معهم ابنه (عبد الله) في ثلاثة عشر الفاً من العساكر ففتك وأثخن فيهم وضبط البلد وجدد سورها .

وبلغ الخبر الى (عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم) فجمع البربر وجاء الى طرابلس فحاصرها . وسد عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب (باب زناتة) وكان يقاتل من (باب هواره) المعروف الآن (بباب المنشية) . ثم جاء الخبر بوفاة أبيه فصالحهم على ان يكون البلد والبحر لعبد الله بن ابراهيم بن الأغلب وأعمالها لعبد الوهاب .

ولاية سفيان بن أبي المهاجر

واستعمل عليها عاملها الأول سفيان بن ابي المهاجر ولايته الثالثة وسار الى القيروان وكانت وفاته في شوال سنة (١٩٦) ست وتسعين ومائة . وعهد لابنه (عبد الله) وكان غائباً بطرابلس والبربر يحاصرونه كما ذكر ، فقدم عبد الله بن ابراهيم القيروان سنة (١٩٧) سبع

وتسعين ومائة وبويع له بالامارة ولم يكن في ايامه فتنة بما وطد له ابوه .

ذكر العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب القيسي

هو العارف بالله تعالى الناسك العابد ، الورع الزاهد ، الجامع للأخلاق المحمدية ، والنائل لأسرار المعارف القدسية ، الشيخ عبد الوهاب القيسي عروس الصوفية . كان رحمه الله تعالى من اجلّ الشيوخ واكابر العلماء العاملين ، وعباد الله الصالحين ، له كرامات كثيرة ، ومآثر شهيرة . رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) نحو اربعماية مرة وكان لا يفعل فعلا الا باشارة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) كما ذكره في كتابه . مات رحمه الله في حدود المائتين وضريحه بداخل مسجده الكائن بطرابلس معروف تقصده الزوار ، من جميع الأقطار ، ولوايح الانوار عليه ظاهرة ولا يجحد ما يشاهد عند قبره من الأحوال الباهرة ، رحمه الله تعالى ونفعنا به وأمدنا بأسراره آمين .

خلافة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد

وفي محرم سنة (١٩٨) ثمان وتسعين ومائة مات محمد الأمين شهيداً وبويع بالخلافة لعبد الله المأمون . وكان الوالي بأفريقيا حينئذ عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب .

ثم في ذي الحجة سنة (٢٠١) احـــدى ومائتين توفي عبد الله ابن ابراهيم بن الأغلب وسبب وفاته أنه زاد على الناس في الخراج فنهوه فلم ينته . فقال رجل من الناس اسمه (حفص بن عمر الجزري) لو اننا نتوضأ ونصلي ونسأل الله ان يخفف عن الناس ؟.. ففعلوا فلم يلبث الا خمسة ايام حتى خرجت قرحة تحت اذنه فمات منها . وولي مكانه على افريقية اخوه (زيادة الله) وجاءه التقليد من قبل المأمون .

ثم وقعت بين زيادة الله وبين الجند محاربة وهاجت الفتن واستولى كل رئيس بناحية واضطربت افريقية ولم يبق على طاعة زيادة الله من افريقية الا « تونس ، والساحل ، وطرابلس ، ونفزاوه » ثم بعث اليهم العساكر فقاتلهم واستقام امره .

خلافة المعتصم ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد

وفي رجب سنة (٢١٨) ثمان عشرة ومايتين توفي عبد الله المأمون بارض الروم . وكان عالماً عاقلاً ذا حزم وقوة عزم ولا يعاب عليه الا ما كان منه من القول بخلق القرآن . وبويـع للمعتصم ابي اسحاق محمد بن هارون الرشيد وجرى على ما كان عليه المأمون من امتحان الناس بخلق القرآن .

وفي منتصف سنة (٢٢٣) ثلاث وعشرين ومايتين توفي زيادة الله ابن ابراهيم بن الاغلب وتولى اخوه (الاغلب) ويكنى بابي عقال ،

وخرجت عليه خوارج (زواغه ، ولواته ، ومسكاسه) من عمل طرابلس وقتلوا عامل طرابلس سفيان بن ابي المهاجر وبعث اليهم العساكر فقتلهم واستأصلهم .

ولاية ابو العباس عبد الله بن محمد بن الاغلب

وولي طرابلس ابو العباس عبد الله بن محمد بن الاغلب . وفي سنة (٢٢٦) ست وعشرين ومايتين توفي الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب وولي ابنه (ابو العباس محمد) ودانت له افريقية .

خلافة هارون الواثق بن المعتصم

وفي ربيع الاول سنة (٢٢٧) سبع وعشرين ومائتين توفي المعتصم ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد وبويع لابنـه هارون الواثق وجرى على مـا كان عليه ابوه المعتصم وعمه المأمون من القول بخلق القرآن واقام خمس سنين وتسعة اشهر وتوفي في ذي الحجة سنة (٢٣٢) اثنتين وثلاثين ومايتين .

خلافة جعفر المتوكل بن المعتصم

بويع لجعفر المتوكل بن المعتصم ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد

يوم مات اخوه هارون الواثق باتفاق اهل الحل والعقد ورفع الامتحان في القول بخلق القرآن .

وتوفي ابو العباس محمد بن الاغلب سنة (٢٤٢) اثنتين واربعين ومايتين وولي افريقية ابنه (ابو ابراهيم احمد) وخرج عليه بناحية طرابلس خوارج من البربر فقاتلهم عاملها وهو يومئذ اخوه عبد الله ابن محمد بن الاغلب وسرح اليه اخاهما (زيادة الله) يحاربهم فاستأصلهم وكتب الى اخيه ابي ابراهيم احمد بالفتح .

الشيخ عبد الله الشعاب

في سنة (٢٤٣) ثلاث واربعين ومايتين توفي العارف بالله تعالى قطب الاقطاب وكنز الطلاب الشيخ عبد الله الشعاب . ولد رحمه الله تعالى بطرابلس ونشأ بها واخذ عن جماعة من الفضلاء وكان رحمه الله تعالى من كبار الصوفية واحد الزهاد الورعين وعباد الله المتقين مشتغلاً بنفسه متخلياً عما في ايدي الناس . وكان نجاراً ولا يأكل الا من كسب يده . وكان شديد الزهد ملازماً للنسك والاعتكاف متمسكاً بطريق السلف وجرت منه دعوات مجابة وحفظت له كرامات ظاهرة وضريحه معروف يقصد للزيارة والدعوات فيه مشهورة الاجابة رحمه الله تعالى ونفعنا به ، آمين . اه

وفي شهر جماد الآخر من سنة (٢٤٥) خمس واربعين ومايتين كانت بين البربر وعسكر ابي ابراهيم احمد بن الاغلب وقعة عظيمة

وسببها : ان البربر امتنعوا على عامل طرابلس من اداء عشورهم وصدقاتهم وحاربوه فهزموه فقصد (لبده) فحصنها وسار الى طرابلس. فسير اليها الامير احمد بن محمد جيشاً مع اخيه زيادة الله فانهزم البربر وقتل منهم خلق كثير وسير اليهم زيادة الله الخيل في اثرهم فقتل من ادرك منهم واسر جماعة فضربت اعناقهم واحرق ما كان في عسكرهم فاذعن البربر بعدها واعطوا الرهن وادوا اطاعتهم .

خلافة محمد المنتصر بن جعفر المتوكل

وفي الرابع من شوال سنة (٢٤٧) سبع واربعين ومايتين استشهد المتوكل غدراً وبويع لابنه المنتصر في الليلة التي استشهد فيها ابوه .

خلافة احمد المستعين بن محمد المعتصم

وفي ربيع الآخر سنة (٢٤٨) ثمان واربعين ومايتين مات محمد المنتصر وبويع لاحمد المستعين بن محمد المعتصم .

وفي سنة (٢٤٩) تسع واربعين ومايتين توفي ابو ابراهيم احمد ابن ابي العباس محمد بن الاغلب . وولي افريقية اخوه (زيادة الله) فجرى على سنن سلفه وتوفي في السنة المذكورة . وولي بعده ابنه (زيادة الله الاصغر) فجرى على سنن ابيه وتوفي سنة (٢٥٠) خمسين

ومايتين . وولي بعـــده (ابو الغرانيق محمد بن احمد بن محمد بن الاغلب) وجرى سنن اسلافه . وكان اديباً عاقلاً حسن السيرة وبنى حصوناً ومحارس على ساحل البحر على مسيرة خمسة عشر يوماً من برقة الى جهة المغرب .

خلاقة محمد المعتز بن المتوكل

وفي محرم سنة (٢٥٢) اثنتين وخمسين ومايتين اقال المستعين احمد بن محمد نفسه ومات شهيداً في سنته ، وبويع لمحمد المعتز بن المتوكل في اليوم الذي استقال فيه المستعين .

ولاية محمد بن قهرب

وفي سنة (٢٥٥) خمس وخمسين ومايتين ولى (ابو الغرانيق محمد بن احمد بن الاغلب) على عمل طرابلس محمد بن قهرب ، وفيها فتح ابو الغرانيق (جزيرة مالطه) . واقام محمد المعتز بن المتوكل ثلاث سنين في الخلافـــة واقال نفسه ايضاً في شعبان سنة (٢٥٥) خمس وخمسين ومايتين .

خلافة محمد المهدي بن الواثق

وبويع لمحمد المهدي بن الواثق يوم استقال المعتز واقام احـــد

عشر شهراً واستشهد يوم الثلاثا الرابع عشر من شهر رجب سنة (٢٥٦) ست وخمسين ومايتين .

خلافة المعتمد على الله احمد المتوكل

وبويع للمعتمد على الله احمد بن المتوكل يوم مات عمه المهدي بن الواثق ولكن بقي الامر بيد اخيه طلحة .

وفي سنة (٢٦١) احدى وستين ومايتين توفي (محمد بن ابي ابراهيم احمد بن الاغلب ابو الغرانيق) وولي اخوه (ابراهيم) وقام بامر افريقية احسن قيام . وكان عادلاً حازماً . وعزم على الحج فرد المظالم وأظهر الزهد والنسك وعلم أنه ان جعل طريقه إلى مكة على مصر منعه صاحبها (ابن طولون) فتجري بينها حرب فيقتتل المسلمون فجعل طريقه على جزيرة (صقليه) ليجمع بين الحج والجهاد ويفتح ما بقي من حصونها وبنى الحصون والمحارس بسواحل البحر حتى كانت النار توقد في ساحل سبته للانذار بالعدو فيحصل ايقادها بالاسكندرية في الليلة الواحدة .

وفي ايامه كانت فتنة (العباس بن احمد بن طولون) صاحب مصر وقصده برقة مخالفاً لابيه صاحب مصر يريد تملك افريقية فأتاها من مصر سنة (٢٦٥) خمس وستين ومايتين في — ثمانماية فارس — و — عشرة ألاف راجل — من سودان أبيه على — خمسة آلاف

بعير – واتى من بيت مال مصر – بثمانماية بعير – محملة بالدنانير ذهبا . فبعث (ابراهيم) بن احمد بن الاغلب الخيل لطرابلس قبل وصول (العباس) لعاملها (احمد بن قهرب) فزحف بهم اليه وتواقعوا بموضع يعرف (بقصر حاتم) ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها ابن قهرب ونجا الى طرابلس منهزماً واستولى ابن طولون على (برقة) ثم ملك (لبده) بعدها وقال :

لله دري ! اذا اعـــدو على فرسي
الى الهياج ؛ ونار الحرب تستعر
وفي يدي صارم ، افري الرؤوس به
في حده الموت . لا يبقي ! ولا يذر
ان كنت سائلة عني ، وعن خبري
فها انا الليث ؛ والصمصامة الذكر
من آل طولون اما ان سألت فما
فوقي لمفتخر بالجـــود مفتخر
لو كنت شاهدت كري بلبدة ؟. اذ
بالسيف اضرب . والهامات تبتدر
اذاً لعاينت مني مـــا تبادره
عني الاحاديث ؛ والأنباء والخبر (١)

---

(١) قال متصفحه : من العروض الاول من البسيط وضربها المماثل .

ثم قدم في جموعه طرابلس وحاصرها ثلاثاً واربعين يوماً فتعدى بعض سودانه على حرم بعض البوادي وهتكوا الحجب فاستغاثوا (بالياس بن منصور) صاحب نفوسه ورئيس الاباضية . وقد كان خاطبه يتهدده على الطاعة .

وبلغ الخبر الى (ابراهيم) بن الاغلب فبعث العساكر مع خادمه (بلاغ) وكتب الى محمد بن قهرب عامل طرابلس بان يظاهر معه على قتال (العباس) . فسار ابن قهرب وناوشه القتال مـــن غير مسارعة .

ثم صبحهم (الياس ابن المنصور) وزحف الى ابن طولون في اثني عشر الفاً من رجال نفوسه فهزموه وعاثت ايدي البوادي في نهب أمواله وآلاته ، ولم يتلبس منها اهل نفوسه بشيء تورعاً منهم .

ولحق (ابراهيم) بن الاغلب فوجد (ابن طولون) منهزماً فتتبع الاموال التي عاثت فيها الايدي وانتزع ما قدر على انتزاعه وفر ابن طولون الى برقة في ضر وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه اصحابه فعقد ابوه (احمد بن طولون) على جيش وبعث به الى برقة في رمضان سنة (٢٦٧) سبع وستين ومايتين .

ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال انه بلغ –ماية الف – لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول سنة (٢٦٨) ثمان وستين ومايتين فأقام بالاسكندرية وفر اليه (احمد بن محمد الواسطي) من عنـــد ابنه (العباس) فصغر عنده امر (العباس) فعقد على جيش سيره الى (برقة) فواقعوا اصحاب (العباس) وهزموهم وادركوا (العباس)

لاربع خلون مـن رجب وعادوا الى احمد بالفسطاط لثلاث عشرة خلت منه وقدم (العباس) و (الاسرى) في شوال ثم اخرجوا اول ذي العقدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضربوا والقوا من اعلاها .

ثم في سنة (٢٦٧) سبع وستين ومايتين خالفت (هواره) و (لواته) وقتل محمد بن قهرب عامل ضرابلس في حروبهم .

ولاية عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب

فسرح اليهم ابراهيم بن ابي ابراهيم بن احمد بن الاغلب ابنـه ابا العباس عبد الله في العساكر سنة (٢٦٩) تسع وستين ومايتين فاثخن فيهم واستولى على طرابلس .

خلافة احمد بن المعتضد بن الموفق

وفي سنة (٢٧٩) تسع وسبعين ومايتين مات المعتمد عـلى الله (احمد بن المتوكل) وبويع لابن اخيه احمد بن المعتضد بن الموفق .

ابو حفص عبد الجبار بن خالد
بن عمران السرتي

قال الفقيه (أبو يزيد عبد الرحمن عرف الدباغ الانصاري)

في (كتاب معالم الايمان) ما نصه : سمع من (سحنون) و (ابي زكريا الحفري) و (ابن يحير) و (حماد بن يحيى السجلماسي) . كان فقيهاً ، فاضلاً ، زاهداً ، ثقة ، طويل الصلاة .

وقال (ابو العرب) : وكان كثير الدعاء مجتهداً ، ومن عقلاء شيوخ افريقية . وكان (سحنون) يقول : عبد الجبار تقي في بطن امه .! وفيما ذكره نظر .! اذ لم يحك (المالكي) الا (احمد بن معتب) لا عن (سحنون) . وكان قد نظر في العلم . والمراد بذلك المبالغة . والمعنى ! أنه تقي من صغره . وكان ايضاً لا يقرىء الناس حتى يحضر (عبد الجبار) . وكان قد اجاد في العلم حتى وازى (سحنون بن سعيد) . ثم غلبت عليه العبادة حتى وازى ابا براو (واصلاً الكبير) . وفيما ذكر نظر لقول (التجيبي) وقال (ابو عباس) : درس العلم حتى بلغ مبلغ سحنون او كاد . ثم قال « يا ابا عياش ! قد بلغنا من هذا العلم ما قد علمت ، وقد مالت نفسي للعبادة » فبلغ منها حتى لحق او كاد منزلة (البهلول) و (رباح) . ففيه المخالفة من وجهين : احدهما !. انه حكى على القطع انه وازى سحنون وهو خلاف . نقل التجيبي أو كاد . والثاني أنه وازى في العبادة (واصلاً) . وهو في التجيبي على الشك بمنزلة البهلول ورباح لا منزلة واصل . وكان كثير التهجد ، يختم كل ليلة من شهر رمضان القرآن . ومثله ذكر التجيبي .

وقال المالكي : حدث هشام بن مسرور قال : مضيت ليلة من من ليالي رمضان الى مسجد عبد الجبار لاصلي خلفه التراويح فصليت

معه صلاة العشاء الاخيرة فلما فرغ من الصلاة تنفل الناس ما شاء الله ان يتنفلوا . ثم قام المؤذن فقال : (الصلاة رحمكم الله . !) فقام الناس ودخل عبد الجبار المحراب وقرأ في الترويحة الاولى « البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة » . فلما قضاها انصرف كثير من الناس . ثم قام في الترويحة الثانية فقرأ (الانعام ، والأعراف ، والانفال ، وبراءة) فعهدي برؤوس الرجال اراها في ضوء القناديل تتمايل يميناً وشمالاً . ثم تمادى في الصلاة فكان يمر في القراءة مر الجواد . فاذا اشتبه عليه الحرف او تعايا فيه تركه وقرأ ما يليه ، فيقرأ العشرين آية ، والثلاثين آية والاقل والاكثر . ثم يتفكر في ذلك الحرف فيرجع اليه فيقرأه مفرداً . ثم ؛ يعود للموضع الذي كان فيه فيقرأ منه . قال : فما زال كذلك حتى تراجع الناس الى المسجد من آخر الليل وتمادى حتى ختم القرآن واتاه مؤذنه بقصعة فيها شيء من ثريد يسير فتسحر منه . ثم أذن المؤذن وطلع الفجر فصلى بهم الصبح .

قال عبد الله بن هاشم : فجهدت نفسي ان اقدر على ما قدر عليه عبد الجبار من مجاوزته الموضع الذي اشكل عليه . ورجوعه اليه . بعد ذلك ببرهة ، ورجوعه الى الموضع الذي كان فيه ، فما قدرت على ذلك الا بعد ثلاثين سنة . قال : وختم في مسجده نيفاً على اربعة الاف ختمة . قلت : في كلامه بتر لزيارة التجيبي في الفريضة . ولذلك قال غيرهما ختم في مسجده ثلاثين الف ختمة . وكان يختم في كل ليلة ختمة .

قال المالكي : حدث ابن هاشم المذكور قال : خرج عبد الجبار

من داره يوم الجمعة للرواح الى صلاة الجمعة فاذا شاب جميل له هيئة حسنة ولباس جميل وقد اتبع صبية يمشي خلفها فلما رآه عبد الجبار شق عليه ذلك فاتكأ برجله على رجله الاخرى فقطع شسع نعله وصاح يا شاب ؟ فالتفت اليه !. فمشى اليه عبد الجبار . فوقف الفتى وقال له : مالك ؟. قال : قد كبر سني ، وضعف بصري ، وقد انقطع شسع نعلي ، فاصلحه لي ؟. فاصلحه !. ثم نظر عبد الحبار الى الصبية وقد امسكت في مشيها فأخذ من الشاب النعل ، وأدخله في رجله ؛ وتمادى الشاب في أثر الصبية فاتكأ عليه عبد الجبار ثانياً فقطعه . ثم صاح : يا شاب !. يا شاب !. وكانت لعبد الجبار هيئة عظيمة فعاد اليه الشاب . فقال له : أصلح النعل يا مبارك ؟. فاصلحه اصلاحاً شديداً اظنك ما اصلحته الا وانت مستعجل ؟..

فاخذه الشاب واصلحه .

فعطف عبــد الجبار عليه وقال له يا شاب !. أنا قطعت النعل المرة الاولى والثانية . وانما فعلت ذلك اشفاقاً عليك . ورحمةً لك . وخفت والله يا بني على هذا الشباب الصبيح من لهيب النار وبكا عبد الجبار وبكا الشاب . ثم ، قال له : جزاك الله خيراً !. فوالله لا عدت الى ما كان منى أبداً . ثم ، صحب عبد الجبار الى الجامع . ثم تاب وحسنت توبته وانابته . وكان من فضلاء اهل وقته نفعه الله بنية عبد الجبار وبلطفه وبرفقه .

وذكر ان اولاد (ابراهيم بن احمد) الامير طهرهم فمضى اهل العلم ، والمشايخ ، مشايخ اهل القيروان لتهنيته وكان ممن مضى اليه عبد

الجبار بن خالد فلما اتى الى الامير أكبره وعظمه وسر برؤيته فأخرج اليه اولاده فدعا لهم وبرك عليهم . ثم قال : ايها الامير .! هل علمت مقدار هذه النعمة التي أنعم الله عليك بها .؟ أعطاك بنين مثل هؤلاء .! علمتهم كتاب الله ، وأحييت بهم سنـــة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وقد بلغني عنك أنك بالغت فيما عملت من الطعام للاغنياء .؟.

فقال له : أجل .!

فقال له عبد الجبار : لو استكملت هذه المرة بأن تذكر الفقراء ؟.

فقال : صدقت !. وبررت !.

ثم دعا بكيس فيه خمسماية دينار ... ودفعه الى عبد الجبار وسأله ان يفرقه على الفقراء والمساكين .؟ فأجابه عبد الجبار الى ذلك . فسر به الامير ، وخرج معه الى باب القصر . وقال : أحلموا الشيخ على دابته . وقال : والله لا برحت حتى تركب !. فركب عبد الجبار والامير قائم . فلما ركب واستوى على دابته ... واصلح الغلمان ثيابه وانصرف !. التفت الامير الى كاتبه رجاء بن محمد ... فقال :

– يا رجاء ؟. رأيت ما أعقله وما أظرفه ؟. أتعرف في رعيتي مثله ؟. أنه قضى ذمامنا !. وتعافى من طعامنا !. وأخرج مالنا فيما يرضينا !.

فتصدق عبد الجبار بالدنانير جميعاً على الفقراء والمساكين ! ولم يبق منها شيئاً .

وقال ابو جعفر بن ابي خالد الدباغ الفقيه : سمعت عبد الجبار يقول : كنت أخلو لأسلم ؛ ثم صرت أخلو لأغنم ؛ ثم صرت اخلو لأعلم ؛ ثم صرت اخلو لأفهم ؛ ثم صرت أخلو لأنعم .

قلت : زاد التجيبي عنه قال : دخلت على عبد الجبار فقال لي : يا ابا احمد ! لو رأيتني وقد أقامني ثم طهرني ثم اوقفني بين يديه ، فأتت سحابة فأبرقت ، وأرعدت ، وأمطرت ، وانبتت ، وتم النبات !. »

وله كلام حسن في المعرفة والحقيقة .

وقال عبد الجبار : من ترك رأيه ، واتبع السنن والآثار ! رجي له أن يلحق غـــداً بالابرار . ومن اتبع رأيه ... وترك السنن والآثار !. خفت عليه غداً !. ان يكون مأواه النار » .

قلت : قال التجيبي : كان ينبه بكلام قليل . يدل على معنى كثير مثل قوله !. « من قل كلامه ؟. قلت آثامه !. » وقوله « من كانت له وليه ؟. لم يعدم بليه » . وقوله « الصوم عن الكلام ؟. أفضل من الصوم عن الطعام » . وقوله « من زم لسانه ؟. كثر في الدنيا والآخرة أمانه » . وقال عياض : كان يقول « كل كلمة لم يتقدمها نظر ؟. فالكلام فيها خطر . وان كانت من اسباب النظر » .

قلت : ولعله وهم ؛ وانما هو من قول احمد بن متعب كما تقدم في نقل المالكي ...

وقال ابن اللباد : كنا نسمع على عبد الجبار بن خالد في جامع ابن وهب « من البر ألا يمشي الرجل امام والده » .

فقال : من بره ان يمشي أمامه في الظلام .

اراد انه عام مخصوص ، فيمشي امامه حيث الحاجة لذلك كظلام او طين او لص او غير ذلك ...

وتوفي سنة (٢٨١) احدى وثمانين ومايتين ودفن بباب سلم ، وصلى عليه حمديس القطان .

وفي كلامه بتر ، وقصور لقول التجيبي وغيره : توفي يوم الاربعاء لاول يوم من رجب . وقيل : يوم الاربعاء لتسع عشر بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . وبحمديس وعبد الجبار يضرب المثل في الفضل والدين بافريقية . الا ان عبد الجبار أنبه من حمديس !. رحمها الله امين اه

•

وفي سنة (٢٨٣) ثلاث وثمانين ومايتين تحرك ابراهيم ابن ابي ابراهيم بن احمد بن الاغلب الى مصر لمحاربة ابن طولون . ولما انتهى الى (سرت) بلد من عمل طرابلس أنفضت عنه الجنود فرجع .

ثم توفي ابراهيم بن ابي ابراهيم بن الاغلب آخر سنة (٢٨٩) تسع وثمانين ومايتين فولى حافده (أبا مضر زيادة الله) ليحفظ العساكر والاموال الى ان يحضر ابنه (ابو العباس عبد الله) وهو يومئذ بطرابلس كما ذكر .

وضعفت الدولة العباسية بعد الاستقلال وتغلب على الخليفة فيها

الاولياء والقرابة والمصطنعون وصارت تحت حجرهم من حين قتل المتوكل وحدثت الفتن ببغداد وسار (العلوية) الى النواحي مظهرين لدعوتهم فدعا (ابو عبد الله الشيعي) في هذه السنة بكتامه (بالرضي من آل محمد) ويبطن الدعوة (لعبيد الله المهدي) من ابناء (اسماعيل الامام) .

خلافة علي المكتفي بن المعتضد

وفي سنة (٢٨٩) تسع وثمانين ومايتين توفي (احمد المعتضد بن الموفق) وبويع لابنه (علي المكتفي) . ولم يزل امر الاسلام جميعاً دولة واحدة أيام (الخلفاء الاربعة) رضي الله عنهم و (بني أمية) من بعدهم حتى ظهرت من بعد ذلك (امراء الشيعة) وهم الدعاة لاهل البيت فعلت دعوة (بني العباس) على الامر واستقلوا بخلافة الملك . ولحق الفل من بني امية بالاندلس فقام بأمرهم من كان هنالك من مواليهم ومن هرب فلم يدخلوا في دعوة بني العباس .

وانقسمت لذلك دولة الاسلام بدولتين ثم ظهرت دعوة اهل البيت بالمغرب والعراق من (العلوية) ونازعوا (خلفاءبني العباس) واستولى على القاصية من النواحي ك (الادارسة) بالمغرب الاقصى . و (العبيديين) بالقيروان ومصر . و (القرامطة) بالبحرين . و (بني زياد) بطبرستان ، والديلم ، والاطروش . وانقسمت لذلك دول متفرقة .

التعريف بأصل العبيديين

أصل العبيديين من الاسماعيلية الشيعة الامامية البراء من الشيخين وسائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم جميعاً لعدولهم عن بيعة علي (رضي الله عنه) الى غيره مع وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) له بالامامة بزعمهم. وبهذا امتازوا على سائر الشيعة، والا فالشيعة كلهم مطبقون على تفضيل علي (رضي الله عنه). ونسبة هؤلاء العبيديين الى أول خلفائهم وهو (عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن اسماعيل الامام بن جعفر الصادق). قال الفاضل ابن خلدون في العبر « ولا يلتفت لانكار هذا النسب ». فكتب المعتضد الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة يغريهم بالقبض عليه لما سار الى المغرب شاهد بصحة نسبهم.

ابتداء ظهور دعاة الرافضة
وبيعة عبيد الله المهدي

وفي سنة (٢٨٦) ست وثمانين ومائتين ظهر بالمغرب من دعاة الرافضة [١] (أبو عبد الله الشيعي) في كتامة من قبائل البربر داعياً

---

(١) قال متصفحه : ليعلم الواقف هنا ان أصح المبتدعة عقيدة (الزيدية) من الشيعة . ثم (الخوارج) . =

لعبيد الله المهدي فظهر على الاغالبة بالقيروان وبايع لعبيد الله المهدي سنة ست وتسعين ومائتين فتم أمره وملك القيروان واستفحلت دولته بالمغرب ثم استولوا بعد ذلك علـــى مصر سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فملكها منهم المعز لدين الله معد بن اسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله المهدي وشيد القاهرة . ثم ملك الشام واستفحل ملكه الى ان انقرضت دولتهم على العاضد منهم عـــلى يد صلاح الدين بن أيوب ، وذلك سنة خمس وستين وخمسمائة .

[رجع] ثم ان (ابا مضر زيادة الله) حافـــد ابراهيم بن احمد قـــدم بالجيوش على أبيه ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن احمد سنة

= فهؤلاء يعتقدون لله الوحدانية ولمحمد الرسالة اما بقية فرق الشيعة فانما يدندنون حول الثنوية والتبطيل وانكار الصانـــع . وان كانوا لا يظهرون ذلك لعامتهم تقية من أن ينتفضوا عليهم . فتراهم يقولون : (علي) أفضل الصحابة . فاذا أذعن لذلك قالوا أفضل من « محمد » و « جبريل » غلط في النزول عـــلى « محمد » . فاذا أذعن لذلك قالوا : بل هو « الله » ، فاذا أذعن لذلك ؟. قالوا : يرجع العاقل الى عقله . فلا صانع ولا فاعل للخير والشر الا النور والظلمة . هذه حقيقة خاصتهم وان كانوا يصونون ذلك عن أتباعهم .

آمنت بالله وصدقت برسوله وكتبه واليوم الآخر . ومن هـــذه فانهم يزعمون أن الامامة لابن العسكري المفقود أواسط المابة الثالثة . وأن الناس مـــن فقده الى الان ليست بأيديهم أحكام . لأن الاحكام انما تؤخذ مـــن المعلم وهو مفقود فصموا وعموا عن كون المعلم الاكبر هو النبي « صلى الله عليه وسلم » وما مات حتى كمل الدين وبينت الاحكام أتم تبيين ونقلتها الينا الصحابة وما حرمت العلم طلابه والحمد لله رب العالمين . صح

(٢٨٩) تسع وثمانين ومائتين فقام بأمر افريقيا أتم قيام وعظم غناؤه وحسنت سيرته وبعث العمال .

ولاية أبي العباس أحمد بن الاغلب

وعقد لأخيه أبي العباس أحمد بن ابراهيم على طرابلس وجعل معه تمام ابن المبارك اميراً على الجند فيها ثم غدر به نائماً في شعبان سنة (٢٩٠) تسعين ومائتين .

وتولى ابنه (أبو مضر زيادة الله) واقتص مـن الغادرين بأبيه وأقبل على اللذات واللهو ومعاشرة المضحكين والصفاعين واهمل أمور الملك ، وقوي امر (أبي عبد الله الشيعي) واستولى على كافة انحاء افريقية .

ولما وصل الخبر الى (زيادة الله) بوصول الشيعي الى (قمودة) حمل امواله واثقاله ولحق بطرابلس عازماً الى مصر . واقبل عبد الله الشيعي على افريقية ووصل (رقادة) في رجب سنة (٢٩٦) ست وتسعين ومائتين ، وتلقاه اهل القيروان وبايعوا لعبيد الله المهدي .

واقـام ابو مضر زيادة الله بطرابلس سبعة عشر يوماً وانصرف . ووصل الى مصر فأصابته بهـا علة مزمنة ومات . وتفرق بنو الاغلب وانقضت ايامهم والبقاء لله الواحد القهار ، ومدة بني الاغلب اثنتا عشرة سنة ومائة . فسبحان من لا يزول ملكه .

البيعة العامة بالقيروان لعبيد الله المهدي

وفي سنة (٢٩٧) سبع وتسعين ومائتين حضر اهـــل القيروان وبويع لعبيد الله المهدي البيعة العامـــة واستقام أمره وبعث العمال على البلاد .

ولاية ماكنون بن ضباره اللحياني

فبعث عبيد الله المهدي ماكنون بن ضباره اللحياني على طرابلس .

ولمـــا استقام امر عبيد الله المهدي بأفريقية استبد بأمره وكفح (أبا عبد الله الشيعي) وأخاه (أبا العباس) عـــن الاستبداد عليه والتحكم في أمره ، فعظم ذلك عليهما . وصرح العباس بما في نفسه فنهاه أخوه عبد الله عن ذلك فلم يصغ اليه .

ثم استماله أبو العباس لمثل رأيـــه فأجابه واستفسدا « كتامة » وأغرياهم به والقيا اليهم أن هذا ليس هو الامام المعصوم الذي دعونا اليه ، حتى بعث الى المهدي رجل كان في كتامة يعرف بشيخ المشايخ وقال له : جئنا بآية على أمرك فقد شككنا فيك ؛ فقتله المهدي .

ثم عظمت استرابتهم واتفقوا على قتل المهدي ، وداخلهم في ذلك

« تمام بن معارك » وغيره من قبائـــل كتامة ، ونمي الخبر الى المهدي فتلطف في أمرهم ، وولى من داخلهم من قواد كتامة على البلاد ، فبعث « تمام بن معارك » عـــلى طرابلس ، وبعث الى عاملها ماكنون بقتله فقتله عند وصوله .

ثم ان المهدي طلب أبا عبد الله الشيعي وأخاه وقتلها في منتصف جمادى الاولى سنة «٢٩٨» ثمان وتسعين ومائتين . واستقام أمر المهدي بعد « الشيعي » وجعل ولاية عهده لابنه « أبي القاسم نزار » ، وولى على برقة وما اليها « حباسة بن يوسف » .

ثم انتقضت عليه أهل طرابلس سنة (٣٠٠) ثلثمائة وأخرجوا عاملهم « ماكنون » ، فبعث اليهم ابنه أبا القاسم فحاصرها حصاراً طويلاً ثم فتحها واثخن فيهم وأغرمهم ثلثمائة ألف دينار .

وفي سنة (٣٢٢) اثنتين وعشرين وثلثمائة غزا (عبد الله المهدي) المغرب وملكه .

ذكر خلافة القائم بن عبيد الله المهدي

وفي ربيع الأول من هذه السنة ، توفي عبيد الله المهدي الفاطمي بالمهدية ، وأخفى ولده القائم أبو القاسم محمد موته سنةً لتدبير مـــا كان له ، وكان عمر المهدي ثلاثا وستين سنة ، وكانت ولايته أربعاً وعشرين سنة .

ولما أظهر ابنه القائم وفاته ، بايعه الناس واستقرت ولايته . ثم ثار عليه جماعة فتمكن منهم . وكان من أشدهم رجل يقال له (ابن طالوت القرشي) في ناحية طرابلس ويزعم انه ولد المهدي ، فقاموا معه وزحف الى مدينة طرابلس فقاتله أهلها ثم تبين للبربر كذبه فقتلوه وحملوا رأسه الى القائم .

وفاة القائم وولاية ابنه المنصور

وفي سنة (٣٣٤) أربع وثلاثين وثلثمائة توفي القائم بأمر الله أبو القاسم بن عبيد الله المهدي العلوي لثلاث عشرة مضت من شوال وقام بالامر بعده ابنه (اسماعيل) وتلقب بالمنصور بالله وكتم موته خوفاً ان يعلم بذلك (أبو يزيد) وهو بالقرب منه على (سوسة) . وأبقى الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولم يغير السكة ولا الخطبة ولا البنود وبقي على ذلك الى أن فرغ من أمر أبي يزيد ؛ فلما فرغ منه أظهر موته وتسمى بالخلافة وعمل آلات الحرب والمراكب ، وكان شهماً شجاعاً وضبط الملك والبلاد وبعث العمال .

ولاية أبو الفتوح زيان الصقلي

وعقد لأبي الفتوح زيان الصقلي على طرابلس فقدمها وحسنت سيرته فيها ؛ وقد زاد في ارتفاع سورها وأتقنه من جميع جهاتها البرية والبحرية .

ذكر خلافة المعز بن المنصور العلوي

وفي شوال سنة (٣٤١) احدى وأربعين وثلثماية توفي المنصور بالله اسماعيل بن القاسم أبو القاسم ، وتولى الامر بعده ابنه المعز لدين الله ، وأقام في تدبير الامور الى سابع ذي الحجة ، فأذن للناس فدخلوا عليه ، وجلس لهم فسلموا عليه بالخلافة ، وبعث العمال على البلاد .

ولاية عبد الله بن يخلف الكتامي

وجعل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي وكان أسيراً عنده . ولما مات « كافور الاخشيدي » ممدوح « المتنبي » قدم (جوهر القائد) الى مصر من قبـــل (المعز) فملك مصر من غير ممانع (وأسس القاهرة) وذلك سنة (٣٦١) احدى وستين وثلثماية . وبنى (الجامع الازهر) .

ثم سار (المعز) من أفريقية يريد الديار المصرية في أواخر شوال من السنة المذكورة ؛ وكان أول رحيله من المنصورية فأقام بسردانية وهي قرية قريبة من القيروان ولحقه بها رجاله ، وعماله ، واهل بيته ، وجميع ما كان في قصره من الاموال ، والامتعة ، وغير ذلك . حتى ان الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين ، وحمل كل طاحونتين على جمل وسار عنها .

واستعمل على بلاد افريقية (يوسف بلكين بن زيري بلكين – بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ؛ وزيري : بكسر الزاء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الراء وبعدها ياء . – ابن مناد) الصنهاجي الحميري . الا انه لم يجعل له حكماً على مدينة (طرابلس) ولا (اجدابية) و (سرت) .

فأقام بسردانية أربعة أشهر حتى فرغ من جميع ما يريد . ثم رحـــل عنها ومعه (يوسف بلكين) وهو يوصيه بما يفعله . ثم رد يوسف الى أعماله وسار الى طرابلس ، ومعـه جيوشه وحواشيه ، فهرب منه بهـــا جمع من عسكره الى جبال نفوسه ، فطلبهم فلم يقدر عليهم .

ثم سار الى مصر فلما وصل الى « برقة » ومعه « محمد بن هاني » الشاعر الاندلسي قتل غيلةً ، فرئي ملقى على جانب البحر قتيلاً لا يدري من قتله . وكان من الشعراء المجيدين الا انه غلا في مدح المعز حتى كفره العلماء فمن ذلك قوله :

فكأنمـــا أنت النبي محمد   وكأنمـــا أنصارك الانصار
ما شئت لا ما شاءت الاقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار

ومما ينسب اليه :

حـــلّ برقـادةَ المسيح   حـــل بهـــا آدم ونوح

حـل بهـا الله ذو المعالي فكل شيء سواه ريح [1]

ثم سار المعز حتى وصل الاسكندرية في أواخر شعبان من سنة (٣٦٢) اثنتين وستين وثلثمائة ، وأتاه أهـل مصر وأعيانهم فلقيهم وأكرمهم وأحسن اليهم . وسار فدخل « القاهرة » خامس يوم من شهر رمضان هذه السنة ، وأنزل عساكره « مصر » و « القاهرة » وسكن بالقصرين وادعى الخلافة لنفسه دون العباسيين .

الشيخ أبو عثمان سعيد بن خلفون الحشاني

وفي هذه السنة توفي العارف بالله تعالى ، الناسك العابـد الورع الزاهد الشيخ (أبو عثمان سعيد بن خلفون الحشاني) .

ولد هذا الفاضل بطرابلس ونشأ بها واجتمع بكثير من الاولياء وأخذ عنهم . وكان رحمه الله تعالى من كبار الصوفية . حاوياً للعلوم اللدنية ، والمعارف القدسية ، والاسرار العرفانيـة ، منقطعاً للعبادة وظهرت بركته فاشتهر فضله ، وذاع أرجه ، وفشى خبره ، حتى عرف (بالمستجاب) رحمه الله ونفعنا به آمين .

---

(١) قال متصفحه : هـذا يدلك على صحة ما نسبته اليهم من الالحاد والزندقة وانحلال العقيدة ؛ فان شاعره ما قال ذلك الا علماً بأنه يرضاه ويعتقده . قبح الله المادح والممدوح .

ذكر خلافة العزيز بالله نزار بن المعز

وفي سنة (٣٦٥) خمس وستين وثلثمائة توفي المعز لدين الله ، وولي ابنه نزار بعهد أبيه ولقب (بالعزيز بالله) ، وأقر (يوسف بلكين ابن زيري) على ولاية أفريقية .

ولما كانت (طرابلس) من أعمال (مصر) ، وكان العامل عليها بعد رحيــــل المعز الى القاهرة (عبد الله بن يخلف الكتامي) رغّب يوسف بلكين الخليفة نزاراً العزيز بالله ، ابن المعز ، في سنة (٣٦٧) سبع وستين وثلثمائة ان يضيف اليـــه عمل (طرابلس ، وسرت ، وأجدابية) فأجابه لذلك وعقد له عليهـــا ، ورحل عنها عبد الله بن يخلف الكتامي .

ولاية عوصلة بن بكار

وولى (يوسف بلكين) على طرابلس عوصلة بن بكار من خواص مواليه .

وفي سنة (٣٧٣) ثلاث وسبعين وثلثمايـــة توفي يوسف بلكين بن زيرى بواركش ما بين (سجلماسة) و (تلمسان) .

فبعث مولاه (أبو زغبل) بالخبر الى ابنه (المنصور بن يوسف) وكان والياً بأشير ، وصاحب عهد أبيه . فأقام بأمر صنهاجة من بعده وقلده (العزيز بالله نزار بن المعز) أمر أفريقية والمغرب وكان على سنن أبيه ، وعقد لأخيه (حماد) على (أشير) .

الشيخ ابو نزار خطاب البرقي

وفي هذه السنة توفي الاستاذ الكبير الصوفي العارف بالله تعالى ، الشيخ أبو نزار خطاب البرقي .

ولد رحمه الله بطرابلس ونشأ بها ، وصحب العارفين من أهل زمانه وأخذ عنهم ، وكان من أجلاء الشيوخ وأكابر العلماء العارفين زاهداً فاضلاً . خاض في بحار الاحوال ونال اسرار المعارف ؛ وكانت له كرامات خارقة ويخاطب في المنام بما يكون في اليقظة . رحمه الله تعالى .

أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلي السرتي

قال الفقيه أبو يزيد (عبد الرحمن) عرف الدباغ الانصاري في (كتاب معالم الايمان) : سمع بأفريقية من (أبي عبد الله محمد بن مسرور العسال) و (أبي محمد بن الحجاج) و (أحمد بن نصر اللباد)

و (محمد بن أبي المنظور القاضي) و (أبي العرب ابن تميم) و أحمد ابن عبد الرحمن القصري) وغيرهم .

ورحل الى المشرق فسمع من (أبي اسحاق بن شعبان) وغير .

وكان من أهـــل العلم ، والقرآن ، والفرائض . وكان يجلس في مؤخر الجامع ويجتمع اليه الناس ويفتي في المسائل ومـــا تزوج قط ولا تسرى .

صحب (مروان العابد) وكان مروان يقدمه للصلاة بـــه . وكان يسرد الصوم حتى ذهب بصره . وكان فقيراً صابراً على البأساء والضراء .

ولمـــا احتضر رأى بعض الجيران في داره جواري يتلاعبن فقال : لمن أنتن ؟ قلن : لهذا الشيخ ، نؤنسه حتى يخرج من هـــذه الدار !.

توفي سنة (٣٨٣) ثلاث وثمانين وثلاثمائة ، وقد بلغ خمساً وثمانين سنة ودفن بباب سلم . انتهى .

أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمن
الأجذابي المؤرخ

كان عالماً فاضلاً عارفاً بالتاريخ . وكان في كل فن واحد وقته ، وتسبيح وحده ، مع صحبة للصالحين ، وكان ثقة .

توفي في السابع عشر مـن جمادى الاولى سنة (٣٨٤) أربع وثمانين وثلاثمائة ، ودفن بباب سلم . وقبره معروف رحمه الله تعالى . انتهى معالم الايمان .

•

(رجع) ثم توفي المنصور بن يوسف بلكين سنة (٣٨٥) خمس وثمانين وثلثمائة وقام بأمره ابنه (باديس) .

ثم اعترت العزيز بالله نزار الامراض ، واتصلت به الى ان مات آخر شهر رمضان سنة (٣٨٦) ست وثمانين وثلثمائة .

خلافة الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور

وتولى الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور فكتب (عوصلة بن بكار) عامل (باديس بن المنصور) على طرابلس الى الحاكم بأمر الله بمصر يرغب في الكون بحضرته وان يتسلم عمل طرابلس .

وكان (برجوان) الخادم يستبد عـلى الدولة ، وكان يغص بمكان (يانس الصقلي) منها . ولما تتابعت رغبة عوصلة صاحب طرابلس أشار (برجوان) ببعث يانس اليها .

ولاية يانس الصقلي

فعقد له الحاكم عـــلى طرابلس وامره بالنهوض الى عمله فوصل اليها سنة (٣٩٠) تسعين وثلاثمائة وأمكنه عامل باديس بن المنصور عوصلة بن بكار منهـــا ولحق بمصر . وجاء الى الحاكم بأهله وولده وماله ، واطلق يد يانس على ما خلفه بطرابلس .

يقال ، كان له من الولد نيف وستون بين ذكر وانثى ، ومن السراري خمس وثلاثون ، فتلقي بالمبرة وهيأ له القصور ورتب له الجراية ، وقلده دمشق وأعمالها ، فهلك بها لسنة من ولايته .

وبلغ الخبر الى (باديس) فأرسل الى يانس يسأله عـــن سبب وصوله الى طرابلس وقال له : ان كان الحاكم استعملك !. فارسل العهد لأقف عليه ... فقال يانس : انما ارسلني معيناً ونجدةً ان احتيج الي ومثلي لا يطلب منه عهد بولاية ، لمحلي من دولة الحاكم !.

فسرح باديس القائد (جعفر بن حبيب) في العساكر لقتاله ، وزحف اليه يانس فكانت عليه الهزيمة وقتل يانس ولحق (فتوحة بن علي بن غفيانان) — من قواد يانس — بطرابلس فامتنع بها ونازله جعفر بن حبيب المذكور وأقام عليها مدة .

وبينما هو محاصر له اذ وصله « كتاب يوسف بن عامر عامل قابس » يذكر أن (فلفول بن سعيد) نزل عـــلى (قابس) وأنه قاصد الى

(طرابلس) . فرحل جعفر عن البلد الى ناحية الجبل .

وجاء فلفول بن سعيد فنزل بمكانه ، وضاقت الحال بجعفر وأصحابه فارتحلوا مصممين على المناجزة قاصدين قابسا ، فتخلى فلفول عن طريقهم وانصرفوا الى قابس .

ولاية فلفول بن سعيد بن خزرون

وقدم فلفول مدينة طرابلس فتلقاه أهلها ونزل له فتوحة بن علي عن إمارتها فملكها ووطنها من يومئذ . وفي سنة (٣٩١) احدى وتسعين وثلثمائة بعث بطاعته الى الحاكم .

فسرح الحاكم يحيى بن علي بن حمدون الاندلسي وعقد له على أعمال (طرابلس) و (قابس) وأطلق له مالا على (برقة) . فلم يجد يحيى فيها مالا ، فاختلف حاله فسار الى (فلفول) بطرابلس وارتحل معه (فلفول) و (فتوحة بن علي بن غفيانان) الى حصار (قابس) فحاصروها مدة ورجعوا الى طرابلس .

أبو جعفر أحمد بن خلف الاجذابي

كان ذا فقه بارع وجدل وأدب وكرم نفس وطلاقة وجه وجميل خلائق محبباً في الناس مع تهذيب . قلت : زاد غيره صالحاً ، فاضلاً ، جليلاً ، صاحب أحوال سنية . وهمة علية .

قال : توفي يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الاولى سنة (٣٩١) (احدى وتسعين وثلاثمائة) . انتهى معالم الايمان .

•

[رجع] وأقام يحيى بن علي بطرابلس مع فلفول الى سنة (٣٩٣) ثلاث وتسعين وثلثمائة .

ولما رأى يحيى بن علي الاندلسي ما هو عليه من قلة المال واختلال حاله وسوء مجاورة فلفول وأصحابه له ، رجع الى مصر الى الحاكم بعد أن أخذ فلفول وأصحابه خيولهم وما اختاروه من عددهم بين الشراء والغصب ، فأراد الحاكم قتله ثم عفا عنه .

واستبد فلفول بعمل طرابلس وطالت الفتنة بينه وبين باديس وأيس من صريخ مصر ، فبعث بطاعته الى (المهدي محمد بن عبد الجبار) بقرطبة ، وأوفد اليه رسله في الصريخ والمدد ، ومات فلفول قبل رجوعهم اليه .

ولاية وروا بن سعيد

ولما مات فلفول سنة (٤٠٠) أربعمائة اجتمعت (زنانة) الى أخيه وروا بن خزرون وولوه عليهم .

ثم زحف (باديس بن المنصور) الى طرابلس ولحق به من كان بها

من الجند فلقوه في طريقه ، وتمادى الى طرابلس . وأجفل وروا ومن معه من زناتة عنها . ودخلها باديس ونزل (قصر فلفول) وبعث اليه وروا بن سعيد ومن كان معه من زناتة الى طرابلس يسأل الأمان له ولقومه ، ويدخلون في طاعته ويجعلهم عمالاً كسائر عماله . فأمنهم وأحسن اليهم وأعطاهم (نفزاوة) و (قسنطينة) على أن يرحلوا من اعمال طرابلس ففعلوا ذلك .

ولاية محمد بن حسن

وولى (باديس) على طرابلس محمداً بن الحسن . ثم أن (وروا بن سعيد) خالف على باديس وزحف بمـــن كان معه من زناتة الى طرابلس ، وبرز له عاملهـــا محمد بن حسن فتواقعوا ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها وروا وهلك الكثير من قومه .

ثم راجع حصارها وضيق عـــلى أهلها ، فبعث الامير باديس الى (خزرون بن سعيد) أخيه والى (النعيم بن كون) وأمراء الجريد من زناتة بأن يخرجوا لحرب صاحبهم فخرجوا اليه ، وتواقعوا بعبرة موضع مـــا بين طرابلس وقابس . ثم اتفقوا ولحق أصحاب خزرون بن سعيد بأخيه وروا ، ورجع خزرون الى عمله واتهمه الأمير بالمداهنة في شأن أخيه وروا واستقدمه من « نفزاوة » ، فاستراب وأظهر الخلاف اليه وسرح اليه (فتوحة بن أحمد) في العساكر ، فأجفل من عمله وأتبعه (النعيم) وسائر زناتـــة ولحقوا جميعاً بوروا بن سعيد سنة (٤٠٤)

أربع وأربعمائة وتظاهروا على الخلاف ونصبوا الحروب على « مدينة طرابلس » . واشتد فساد زناتة فقتل الأمير باديس من كان عنده من رهن زناتة . واتفق وصول (مقاتل بن سعيد) نازعاً عن أخيه في طائفة من أبنائه وأخواله فقتلوا معهم جميعاً .

وفي سنة (٤٠٥) خمس واربعمائة بعث (وروا بن سعيد) الى الأمير باديس بطاعته .

ثم هلك وروا وانقسمت قومه على ابنه (خليفة) وأخيه (خزرون) بن سعيد ، واختلفت كلمتهم ودس محمد بن حسن عامل طرابلس في التفريق بينهم .

ثم صار أكثر زناتة الى (خليفة) ، وناجز عمه خزرون الحرب فغلبه على (القيطون) وضبط زناتة ، وأقام فيهم بأمر أبيه وبعث بطاعته الى الأمير باديس بمكانه من حصار القلعة ، فتقبلها بالطاعة والانحياش وضمان السابلة وتشييع الرفاق ، وان يحفظ عهده بطرابلس .

ولحق (خزرون) بن سعيد بمصر ونشأ بنوه سعيد وخليفة والمنتصر الآتي ذكرهم بها .

ثم في هذه السنة توفي باديس بن المنصور بن يوسف بلكين بن زيري وولي بعد أمره أفريقية ابنه (المعز) ووصلت اليه الخلع والتقليد من (الحاكم بأمر الله العلوي) ولقبه شرف الدولة .

وهذا المعز بن باديس هو الذي حمل أهل المغرب على مذهب

(الامام مالك رضي الله عنه) واستقدم (محمد بن حسن) عامل طرابلس من عمله .

ولاية عبد الله بن الحسن

واستخلف المعز بن باديس بدل (محمد بن الحسن) أخاه عبد الله ابن الحسن على طرابلس ، وقدم محمد بن الحسن على المعز بن باديس وفوض اليه أمر المملكة وأقام على ذلك سبعاً . وتمكن عند الأمير ، ثم نكبه وقتله .

وفي سنة (٤٠٦) ست واربعمائة حاصر طرابلس (خليفة بن وروا) وأخذ في الضرب وواصل عليها الغارات ، ثم راجع حصارها وضيق على أهلها الى أن كان من أمره ما يأتي ذكره !..

خلافة الظاهر بن الحاكم بأمر الله

توفي (الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور) قتيلاً بمصر لثلاث بقين من شوال سنة (٤١١) احدى عشرة وأربعمائة وتولى الظاهر أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله .

(رجع) ثم أن (خليفة بن وروا) لم يزل متماديا على أفعاله من حصار « طرابلس » والضرب عليها الى سنة (٤١٤) أربع عشرة

وأربعمائة . وفيها بلغ الخبر الى (عبد الله بن الحسن) عامل طرابلس نكبة أخيه محمد بن الحسن وقتله « فانتقض لذلك على الأمير المعز بن باديس .

ولاية خليفة بن وروا

وأمكن خليفة بن وروا وقومه من مدينة « طرابلس » ، فقتلوا (الصنهاجيين) واستولوا عليها ، ونزل خليفة بن وروا « قصر عبد الله بن الحسن » وأخرجه عنه واستصفى أمواله وحرمه ، واتصلت ولاية خليفة بن وروا وقومه بنو خزرون بطرابلس .

وخاطب الخليفة بالقاهرة الظاهر بن الحاكم سنة (٤١٧) سبع عشرة وأربعمائة بالطاعة ، وأن يحفظ عهده على « طرابلس » فأجابه الى ذلك وأقره في عمله .

وأوفد في هذه السنة أخاه (حمادا) على المعز بن باديس بهدية فتقبلها وكافأه عنها . واتصل ملك خليفة بن وروا وقومه من (بني خزون) الزناتيين بطرابلس الى أن وصل العرب اي (بنو هـــلال) و (بنو سليم) .

خلافة المنتصر بالله ابي تميم بن الظاهر

توفي الظاهر أبو الحسن علي بن الحاكم سنة (٤٢٧) سبع وعشرين

وأربعمائة وتولى المنتصر بالله أبو تميم بن الظاهر .

الشيخ ابو الحسن المنمر

وفي سنة (٤٣٢) اثنتين وثلاثين وأربعمائة توفي الاستاذ أبو الحسن ابن المنمر .

ولد رحمه الله بطرابلس سنة (٣٤٨) ثمان واربعين وثلاثمائة ونشأ بها وحفظ القرآن وأخذ عن جماعة من المشايخ بها ورحل الى المشرق وحج في عامة ولقي بمكة الشيخ (أحمد بن زريق البغدادي) وأخذ عنه وروى عن (أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري) ثم عاد الى طرابلس ودعا الى الله وقرر العلوم الشرعية أصولاً وفروعاً ، وكان رحمه الله من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء . متقناً لعلم الحديث وما يتعلق به عارفاً بالنحو واللغة ؛ ومن المشهورين في علوم الفرائض والهيئة والميقات . وله تآليف كثيرة في الأزمنة ، وله الكافي في الفرائض . واقام بطرابلس الى سنة ثلاثين واربعمائة ثم رحل الى « غنيمة » قرية بمسلاته من عمل (طرابلس) فأقام بها سنتين ومات بها ودفن على الجادة . وقبره معروف يزار ؛ رحمه الله تعالى .

ولاية سعيد بن خزرون

وفي سنة (٤٣٣) ثلاث وثلاثين واربعمائة قدم سعيد بن خزرون

من مصر ولحق بطرابلس وأقام في نواحيها . ثم قدم طرابلس ومعه عسكر زناتة . وأجفل (خليفة بن ورو ا) منها ، وتولى سعيد بن خزرون أمر طرابلس .

أبو عبد الله الحسين بن عبد الرحمن
الاجذابي المؤرخ

كان فاضلا ، واحد زمانه علماً وفضلا ، وكان ثقةً ثبتاً . يروي عن (أبي بكر بن أبي عقبة) وعن (جبلة بن حمود) وعن (أبي الحسن القابسي) و (أبي العباس بن أبي العرب) . وعنه اخذ (أبو بكر بن محمد المالكي) وغيره .

توفي يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة (٤٣٢) اثنتين وثلاثين واربعمائة ودفن قرب (البهلول بن راشد) رحمه الله تعالى . انتهى معالم الايمان .

الخبر عن دخول العرب من بني هلال
وسليم الى أرض أفريقية

وفي سنة (٤٤٣) ثلاث واربعين واربعمائة انتقض (المعز بن باديس) دعوة العبيديين خلفاء مصر بافريقية وخطب للقائم العباسي

خليفة بغداد ، وقطع الخطبة من (المستنصر بالله العلوي) ووصلت اليه من (القائم) الخلع والاعلام على طريق القسطنطينية في البحر .

وذلك أن (المعز بن باديس) كانت أذنه صاغيةً الى مذهب أهل السنة ، وربما كانت شواهدها تظهر عليه . وكبا به فرسه في أول ولايته لبعض مذاهبه فنادى مستغيثاً بالشيخين (أبي بكر ، وعمر) رضي الله عنهما . فسمعته العامة ، وكان جمهورهم سنية ، فثاروا بالرافضة وأوقعوا بهم ، وأعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الايمان وقطعوا من الآذان (حي على خير العمل) . وكانت هذه الواقعة في أيام (الظاهر العبيدي) والد المستنصر بالله ، فكاتب (المعز بن باديس) في ذلك ، فاعتذر اليه بالعامة ، فأغضى عنه الظاهر من ذلك ، وابنه المستنصر من بعده . واستمر (المعز بن باديس) على اقامة الدعوة لهم والمهاداة معهم ، وهو في اثناء ذلك يكاتب وزيرهما القائم بامور دولتهما (أبا القاسم أحمد بن علي الجرجاني) ويستميله ويعرض (ببني عبيد) وشيعتهم ويغض منهم . ثم هلك الوزير أبو القاسم سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وولي الوزارة بعده (أبو محمد الحسن بن علي اليازوري) أصله من فلسطين وكان أبوه فلاحاً بها . فلما ولي الوزارة خاطبه المعز بن باديس دون ما كان يخاطب به من قبله من الوزراء . كان يقول في كتابه اليهم « عبدكم » وصار يقول في كتاب اليازوري « صنيعتكم » فحقد ذلك عليه وصارت القوارص تسري من بعضهم الى بعض الى أن أظلم الجو بين (المعز بن باديس) وبين (المستنصر العبيدي) ووزيره اليازوري فقطع المعز بن باديس الخطبة بهم على منابره سنة (٤٤٣) ثلاث وأربعين وأربعمائة . وبلغ

الخبر بذلك الى المستنصر بالله بالقاهرة فقامت قيامته ، ففاوض وزيره أبا محمد اليازوري في أمر المعز بن باديس فأشار اليه باصطناع (بني سليم) و (بني هلال) ، والتقدم الى مشايخهم وتوليتهم اعمال أفريقية وتقليدهم أمرها ، فان صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجة كانوا أولياء للدولة وعمالاً بتلك القاصية ؛ وان كانت الاخرى فلها ما بعدها ؛ وأمر العرب أسهل من صنهاجة . فبعث المستنصر وزيره الى هؤلاء الاحياء ، وأرضخ للأمراء العطاء ووصل عامتهم بعيراً وديناراً ، لكل واحد منهم . قال لهم : « قد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي ! » فطمعت العرب لذلك وأجازوا النيل الى (برقة) ونزلوا بها واقتحموا أمصارها واستباحوها ، وخربوا (أجدابية) و (سرت) و (المدينة الحمراء) وكان من خبرهم ما يأتي ذكره :

التعريف ببرقة وأجدابية

(أجدابية) بالفتح وهي مدينة في الصحراء قريبة الى (برقة) وبينها وبين طرابلس نحو خمس عشرة مرحلة . وفيها آثار الابنية العظيمة والقصور الجسيمة . قال البكري : أن هذه المدينة أرضها حجرية وبها عين عذبة ونخل وبساتين . ينبت بها شجر الاراك دون باقي الاشجار . وبها جامع منارته مثمنة الشكل وحمامات وفنادق وأسواق . وأهلها أصحاب يسار . ولها مينا تعرف « بالمحور » بعيدة عنها بثمانية عشر ميلاً . ولها ثلاث قلاع . وسقوف منازلها قباب من الطوب لمقاومة الرياح الشديدة في تلك الجهة .

وقال الاستاذ ابو سالم العياشي رحمه الله تعالى ما نصه : و « ببلد (أجدابية) آثار عمارة كثيرة وآبار عظيمة منقورة في الحجر وبنيان معامل بالحجر المنحوت ؛ وهناك رسم مسجد قديم تهدم . ووجدنا في بعض حجاراته تاريخ بنيانه بنقش « ثلاثمائة » .

« لطيفة » قد أخبرني شيخنا سيدي « محمد بن مساهل » عن بعض المشايخ ان الامام سحنونا كان مدرساً بهذا المسجد ثلاث سنين [1] . وهذه المدينة هي مدينة برقة المذكورة في كتب الفقه . وقيل إنها مدينة بالجبل الأخضر في الجانب البحري . وقد أخبرني صاحبنا سيدي « عبد الله بن غلبون » أنه رآها وأن رسومها تدل على عمارة قوية ، وبها أثر سور وأبراج ورخام كثير . وقال لي : ان بها قبر صحابي . فقد نص المؤرخون على أن « رويفع بن ثابت بن السكن الانصاري النجاري » من الصحابة قد توفي ببرقة وهو امير عليها من قبل « مسلمة ابن مخلد » وقتل ببرقة أيضاً من الصحابة « زهير بن قيس البلوي » ندبه « عبد العزيز بن مروان » الى برقة فلقي الروم فقاتل حتى قتل . فان صح هذا القبر قبر الصحابي المذكور ، فتلك مدينة « برقة » المشهورة لا « أجدابية » ، والأمر في ذلك قريب ؛ فان بين المدينتين نحواً من خمسة ايام فكلاهما يصح أن يقال بينهما وبين كل من « مصر » و « افريقية » شهر ؛ اذ بذلك يعرفها الفقهاء . الا أن التي في

---

(١) ونقل الفاضل أبو عبد الله محمد الاندلسي في تاريخ الحلل السندسية ما نصه « وذكر حمديس بن القطان انه سمع من سحنون بن سعيد يقول سمع مني العلم سنة احدى وتسعين ومائة أهل أجدابية ا هـ .

الجبل أقرب الى مسمى المدينة لما بازائها من المياه والاماكن المخصبة والمزارع الكثيرة والغياض الملتفة من انواع الاشجار ، بخلاف (أجدابية) ، فانها في صحراء من الارض مقفرة . والله اعلم بغيبه . ومسمى برقة على التعيين عند عرب البلد اليوم هي مسيرة ستة أيام من المنعم الى سلوك ، فيها رسوم ابنية كثيرة . واطلاق برقة على ما سواها مجاز علاقته المجاورة ، وهذا مما يقي ان مدينة برقة هي أجدابية ، وبازاء المسجد الذي بها قبر محوط عليه بالحجارة يزار ، يقال لصاحبه (سيدي يونس) وهو من عرب الفواخر » . اهـ[1] .

---

(١) قال متصفحه : قد سيرت في هذه الديار من المدينة التي بها قبر الصحابي المذكور ونواحيها الى الاسكندرية فما رايت بقعة من هذه المسافة الطويلة التي هي نحو شهر الا وبها من اثار العمارة والبساتين ما وضعه على شكل اوضاع اهل الهندسة المتقنين . فلو قال قائل : ان هذه المسافة المديدة كانت كلها مصراً واحداً مشتملا على اجزاء ومحال عظيمة ما بعد . هذا كله من جهة التلول والشطوط وما يقاربها بنحو اليوم واليومين من جهة الصحراء .

وكذلك سرت في صحرائها من المدينة المذكورة الى اودية الواحات التي بينها وبين « فيوم مصر » اربعة ايام رمال ومفاوز مهلكة . فرايت في تلك المفاوز من المناهج والمسالك والطرق المفضية الى اودية عظيمة لا انيس بها ولا اثر ما ، يكون مقدار المنهج الواحد منها نحو اربعين طريقاً متلاصقة متبارية ، حتى انك ترى المنهج منها مضيئاً في الليلة المظلمة . ولا شك ان هذه الطرق كانت من عمارات عظيمة الى مثلها قد طحنها الدهر بعد اهلها بكلكله . واخنى عليها الذي اخنى على لبد . وليس السير في تلك المفاوز بالهين الا على الفتيان الانجاد الذين لا يتأملون في العواقب . فاني والله ، كلما خطر ببالي سفري في تلك المهامة اقشعر جلدي ، وقف شعري . وسبحان مالك الارض وما عليها ، كل شيء هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون . اهـ

التعريف بمدينة سرت

مدينة (سرت) بضم السين وكسرها كائنة بداخل السرت الكبير في نصف الطريق التي بين مسراته وبنغازي . واسم (سرت) يطلق على ساحل السرت الكبير الذي جزؤه الشرقي يسمى (جون الكبريت) . وقال البكري : ان مدينة (سرت) كائنة على ساحل البحر ، يحيط بها سور من الطوب وبها جامع وحمام وبعض اسواق ؛ ولها ثلاثة ابواب : القبلي والبحري والثالث صغير يشرف على البحر . وبها نخل وبساتين وآبار عذبة الماء وعدد كثير من الصهارج . ويذبح بها المعز ولحمه جيد أحسن ما يؤكل ، وأهلها أخبث الناس أخلاقا ، معاملتهم سيئة جدا لهم أسعار مقررة بينهم . فاذا رست سفينة بمرساهم وكان بها زيت مثلاً وكانوا في أشد الاحتياج اليه فانهم يتخذون قربا فارغة ويسدون افواهها بعد النفخ ويملؤون بها الدكاكين يوهمون أصحاب السفينة انهم غير محتاجين الى هذا الصنف . فاذا أطالوا المقام بهذه المرسى فانهم يبيعون بضاعتهم بالأثمان التي قرروها بينهم بلا زيادة . ولدناءة طباعهم يقال لهم (عبيد قرلى) نسبة لطير صغير يضرب بشراهته وحرصه المثل ، فانه يكون في الجو كالشاهين ينظر بعين الى الماء وبأخرى الى السماء ، فان نظر سمكة انقض عليها كالسهم وان رأى طيراً جارحاً في الجو يقصده هرب منه ، وقيل في المعنى :

يا من جفاني وملا نسيت أهلا وسهلا

ومـــا ترحبت لمـــا رأيت مـــالي قـــلا
اني أظنـــك تحكي بمـــا فعلت القرلى

ولسانهم ليس بعربي ، وأطوارهم تخالف أطوار أهل طرابلس . لأن اخلاق اهـل طرابلس سهلة صادقون في المعاملة مع الاغراب وغيرهم . ومن هذه المدينة الى طرابلس مسيرة عشر أيام .

ذكر المدينة الحمراء

المدينة الحمراء كائنة في صحراء برقـــة حمراء التربة ، والمباني فتحمر لذلك ثياب سكانها والمتصرفين فيها ، وعلى ستة اميال منهـــا الجبل الاخضر ، وهي دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بهـــا السائمة وتنموا على مرعاها . اهـ

[رجع] وأعجبتهم البـــلاد فكتبوا لاخوانهم الذين بقوا شرقي النيل يرغبونهم في البلاد ، فاجازوا اليهم وتقارعوا على البلاد فحصل لبني (سليم بن منصور) شرقها ولبني (هلال بن عامر) غربهـــا . ثم انتشروا في أقطار أفريقية وقطعوا أشجارها وحاصروا المـــدن . وكانوا كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء الا أتوا عليه ، فعثوا في البلاد وأظهروا الفساد . وبالجملة فلم تمر الا مدة يسيرة حتى استولوا عـــلى ضواحي افريقية ونازلوا أمصارهـــا ، والحديث في ذلك طويل ليس تتبعه من غرضنا .

ثم اعلم ان أمـــة العرب تنقسم أولاً الى قسمين (عدنان)

و (قحطان) ثم ينقسم كل من عدنان وقحطان الى شعبين عظيمين فاما (عدنان) وهم الاسماعيلية ذريـــة (اسماعيل بن ابراهيم) عليهما الصلاة والسلام فينقسمون الى (ربيعة) و (مضر) واما قحطان وهم اليمانية ذريـــة (قحطان) بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن (نوح) عليه السلام فينقسمون الى (حمير) و (كهلان) .

ثم ينشعب كل من هذه الشعوب الاربعة الى قبائل وعمائر وبطون وافخاذ وفصائل لا حصر لها ، لكننا ننبه على الغرض المقصود منها فنقول : من جملة قبائل مضر (بنو هلال) بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوازن بن (منصور) بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان بن مضر ومن قبائلها (بنو سليم) بن منصور المذكور ، وما لها في هـــذا العهد من بطونهم اربعة بطون (عوف) و (ذباب) و (زعب) و (هبيب) .

فاما (زعب) بكسر الزاي – فابن ناصر بن حفاف بن قيس بن بهنه بن سليم .

واما (عوف) فابن بهنة بن سليم . و (ذباب) فابن مالك بن بهنة ابن سليم و « هبيب » فابن بهنة بن سليم ومواطنهم من وادي قابس الى العقبة والصغيرة والمرج الى العقبة الكبيرة .

فمن بطون « عوف » العلالقـــة بنو علاق بن عوف ومساكنهم الآن بنواحي « ابي عجيلة » . ومن بطون « ذباب » « اولاد احمد » ابن ذباب ومواطنهم غربي قابس وطرابلس الى برقة . و « بنو جابر »

ابن فاتك بن رافع بن ذباب مشاركون لاولاد احمد في هـذه المواطن وهم ثلاثة بطون .

« الصهب » — بسكون الهـاء — بنو صهب بن جابر واخوتهم « الحماديـة » بنو حمدان بن جابر واخوتهم « العوامر » بنو عامر ابن جابر .

« والخرجه » — بسكون الراء — بطن من آل سليمان اخرجهم آل سليمان مـن مواطنهم بمسلاته فحالفوا هؤلاء ونزلوا معهم . « والاصابعة » نسبة الى رجل ذي اصبع زايد ولم يذكر التيجاني لأي بطن ينتسبون .

ومن بني جابر « النوائل » بنو نائل بن عامر بن جابر واخوتهم اولاد « سنان » بن عامر واخوتهم اولاد « وشاح » بن عامـر وهم بطنان عظيمان .

و « المحاميد » بنو محمود بن طوب بن بقية بن وشاح ومواطنهم ما بين قابس ونفوسه وما الى ذلك من الضواحي والجبال ؛ ومنهم « بنو رحاب » بن محمود . ومنهم « اولاد سباع » بن عطية بن رحاب . و « الجراره » بنو جرير بن محمود ومواطنهم ببرقة و « اولاد معرف » بن عطية بن رحاب بن محمود و « اولاد راشد » بن معرف ومواطنهم بجبل نفوسة . و « اولاد علي » بن راشد ومواطنهم ببرقة .

والبطن الاخرى من الوشاحيين « الجواري » بنو حميد بن جارية

ابن وشاح ومواطنهم طرابلس ومـــا اليها مثـــل « تاجوراء »
و « جنزور » ومنهم بنو « صابر » بن عسكر بن حميد وبنو « مرغم »
بن صابر وبنو « علي » بن مرغم ومواطنهم بترهونـــة . ومن اولاد
وشاح « التمايم » بنو تميم بن عمر بن وشاح ومواطنهم بسرت وبنـــو
« حريز » بن تميم واولاد « قايـــد » بن حريز . ومن اولاد وشاح
بطنان آخران صغيران مندرجان مـــع الجواري والمحاميـــد وهما
« الجواربة » بنو جراب بن وشاح و « العمور » بنـــو عمر بن وشاح
هكذا زعم التيجاني في العمور .

وفي « ذباب » بطون اخر ناجعة في القفر ومواطنهم منزاحـــة الى
جانب الشرق عن مواطن الوشاحيين فمنهم « آل سليمان » بن وهب بن
رافع بن ذباب ومواطنهم قبلة مغرا وغريان . ومنهم « الزوايـــد »
أولاد زايد بن سليمان ومواطنهم بسرت وماالهـــا من تلك الضواحي
والارياف ومعهم امم من « العبادلة » و « الحسون » ولم اقف عـــلى
نسبهم فيمن هو . ومن بطون آل سليمان اولاد « نصر » بن زايـــد
واولاد « حامد » بن حماد بن نصر .

واخوتهم اولاد « سالم » بن وهب بن رافع ومواطنهم بلاد مسراته
ومسلاته وشعوب آل سالم بن وهب « العلاونه » واولاد « مرزوق »
و « الاحامد » و « العمايم » وقـــد اخبرني من اثق به ان البراهمة
واخوتهم اولاد غيث من بطون العمائم . ومن بطون آل سالم بنو
« معلا » بن قليته بن قماص بن سالم و « المرازيق » بنو مرزوق بن
معـــلا وبنو « غلبون » بن مرزوق واولاد « سنان » بن عثمان بن

غلبون واما « بنو زعب » الاكبر بن نصر فمن بطونهم « بنو قره » ومساكنهم ببرقة و « العزه » بنو عزاز بن ربيعة بن عامر بن مالك بن زعب . قال الفاضل « ابن خلدون » فما ادري نسبهم فيمن وتزعم نسابــة الهلاليين انهم (لربيعة) بن عامر وبعضهم يقول انهم بنو (كعب) بن سليم ومنهم بني (جعفر) بن كلاب بن ربيعة بن عامر .

ومـــن بطون (لبيد) بن لعتة بن جعفر المذكور (الندوة) و (السوالم) و « النوافله » ومواطنهم طرابلس ومـــا يليها واخوتهم « البركات » و « البلابيش » و « البشرة » و « الحوتة » و « أولاد سلام »[1] ومواطنهم فيما بين برقة والعقبة الكبيرة .

و « أولاد مقدم » ينسبون الى « لبيد » هذا . وبعضهم يقول فيه « مقدم » بن عزاز بن ربيعة ومنازلهم مـــا بين العقبة الكبيرة والاسكندرية وهم بطنان « أولاد التركيه » و « أولاد قايد » .

وتجاذب هؤلاء الأحياء في مواطنهم من الجهة القبلية « الناصرة » وهم بطون ناصرة بن حفاف بن أمرىء القيس بن بهنة بن سليم .

ومن بطون « زعب » بنو « رياح » بن ابي ربيعة بن نهيك بن

---

(١) قال متصفحه : و « اولاد سلام » الان ثلاث قبائل « البهجة » و « الافراد » و « الهنادي » ومنازلهم الان بالشرقية من مصر و « الحوتة » بطون كثيرة منازلهم الان من برقة الى الريف ، صح .

هلال بن (عامر) المذكور ومواطنهم بضواحي فزان مما يلي « سوكنة » .
ومن بطون رياح (مسعود) بن زمام بن ورديقي بن داود بن مرداس ابن (رياح) المذكور ؛ وكانوا نازلين ببلاد الهبط ما بين قصور كتامة الى ساحل البحر الاخضر . وفر مسعود هذا من بينهم في لمة من قومه سنة (٥٧٠) سبعين وخمسمائة واجتمع اليه بنو رزق أخيه ولحقوا بطرابلس ونزلوا على زعب وذباب .

ومنهم (أولاد شبل) بن موسى بن محمد بن مسعود المذكور ، و (أولاد سباع) بن شبل ومنازلهم جبل نفوسة وما إليه من من تلك الضواحي . وتجاورهم في مواطنهم من الجهة القبلية أمم من (الحطمان) و (المقارحة) منتبذون في القفر من تخوم فزان ينتجعون ويصعدون الى أطراف التلول مما يلي الوادي الغربي ، ولم اقف على نسبهم فيمن هو .

وأما « بنو هبيب » بن بهنة بن سليم ، فمواطنهم من أول أرض برقة الى العقبة الصغيرة والمرج من جهة الاسكندرية ، ومنهم (بنو حميد) بن هبيب لهم أجدابية وجهاتها . وفي شرقيهم الى العقبة الكبيرة والصغيرة أخوتهم بني (احمد) بن هبيب .

وبني (محارب) بن هبيب ذكرهم في العبر ولم يرفع في نسبهم . وقال : ديارهم ببرقة في الشرق وينتمون (بآل جعفر) بن كلاب ابن ربيعة بن (عامر) ، ومعهم حي (رواحه) ينتمون (بآل زيد) ويقال انهم من (جعفر) أيضاً ، ومعهم (بنو فزارة) . قال ابن سعيد :

ومن غطفان (محارب) و (رواحـــة) و (فزارة) فجعل هؤلاء الاحياء من غطفان .

ومعهم أمم من (بني شمال) قال ابن خلدون : ولا ادري نسبهم فيمن هو وهم يقولون من (عزاز) بن كعب بن سليم . وقوم يقولون من (بني احمد) بن هبيب ، وقوم يجعلونه (في فزارة) .

معهم « بني جعفر » وهم ينتسبون تارة في « العزة » وتارة في « فزارة » . قال ابن خلدون : والصحيح في نسبهم أنهم من « سدراتة » احد بطون هوارة سمعته من كثير من نسابتهم .

(رجع) ثم جمع المعز بن باديس ما يزيد على ثلاثين ألف فارس والتقى معهم فهزموه ، ودخل (المعز) القيروان . ثم جمع المعز وخرج اليهم والتقوا وجرى بينهم قتال عظيم ، ثم انهزمت عساكر المعز وكثر القتل فيهم ووصلت العرب القيروان وأقاموا يحاصرون البلاد وينهبونها الى سنة (٤٤٦) ست وأربعين وأربعمائة .

ولاية خزرون بن خليفة

وفي هذه السنة قُتل عامل طرابلس (سعيد بن خزرون بن سعيد) وقدم الى ولايتها خزرون بن خليفة بن وروا ، فأمكنه منهـــا رئيس الشورى وبها يومئذ من الفقهاء : (أبو الحسن بن المنتصر) المشتهر بعلم الفرائض ، وتمكن خليفة بن خزرون من ولايتها .

ولما تغلب (العرب) على أفريقية وانحل نظام الحكومة الصنهاجية ارتحـل المعز بن باديس من القيروان الى المهدية وذلك سنة (٤٤٩) تسع وأربعين وأربعمائة . واضطرمت أفريقية ناراً ، وامتنع الكثير من البلاد على (أمراء آل باديس) وتصرم الملك بيد (المعز بن باديس) وتغلب (عائد بن أبي الغيث) على تونس .

ولاية المنتصر بن خزرون

أقام (خزرون بن خليفة بن وروا) في عمـل طرابلس الى سنة (٤٥٠) خمسين وأربعمائة . وفي ربيع الأول منها ثار عليه (المنتصر ابن خزرون بن سعيد) وزحف اليه في جموع من قومه ، ففر خزرون ابن خليفة من طرابلس مختفياً وملكها المنتصر بن خزرون وأوقع بأبي الحسن ، ابن المنتصر ونفاه .

وفي سنة (٤٥٤) أربع وخمسين وأربعمائة توفي (المعز بن باديس) وأقام بأمره ابنه (تميم) وغلبته العرب على أفريقية فلم يكن له الا ما ضمه السور .

ثم زحف (المنتصر بن خزرون) مع بني عدي مـن قبائل هلال مجلباً على (بني حماد) امراء صنهاجة بالقلعة حتى نزل (المسيلة) ودخلوا (أشير) ، ثم خرج اليهم (الناصر) مـن (آل حماد) ففر المنتصر أمامه الى الصحراء ورجع (الناصر) الى القلعة .

فرجع (المنتصر) الى الأجلاب على أعماله فراسله (الناصر) على الصلح وأقطعه ضواحي الزاب وريفه . وأوعز الى (عروس بن هندي) رئيس بسكرة لعهده أن يمكر به ، فلما وصل المنتصر الى (بسكره) أنزله عروس بن هندي فقتله غيلةً سنة (٤٦٠) ستين وأربعمائة .

ولاية خليفة بن خزرون

وولي على طرابلس أخوه خليفة بن خزرون بن سعيد . وكان من خبره ما يأتي ذكره :

محمد بن أبي سعيد بن شرف الأجذابي

قال في (كتاب معالم الايمان) ما نصه :

الفاضل أحد من نظم قلائد الأدب وجمع اشتات الصوب وتلاعب بالمنثور والموزون تلاعب الريح بأعطاف الغصون .

خرج من القيروان عند اشتداد فتنة العرب عليها ، وذلك في سنة (٤٤٧) سبع وأربعين وأربعمائة ، وقدم الأندلس وسكن (المرية) وغيرها . وتردد على ملوك الطوائف بها بعد مقارعة أهوال ومباشرة خطوب طوال .

ولابن شرف هـــذا عدة تواليف أفاضها بحاراً وأطلعت شموساً وأقماراً . منهـــا كتابه الموسوم (بأعلام الكلام) و (كتاب أبكار الافكار) وغير ذلك من تواليفه التي تشهد بذكائه . وكان من أعقل الناس وأحزمهم .

استنهضه (ابن رشيق) مع منافرة كانت بينهما بأن يجتمعا بالطريق ويجوزا معاً الى (الاندلس) فأنشد ابن رشيق :

فما يبغّضني في أرض أندلس سماع « مقتدر » فيها و « معتضد »
ألقاب مملكة في غير موضعهـــا كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد

فأجابه ابن شرف رحمه الله تعالى :

ان ترمك الغربـــة في معشر قـــد جبل الطبع على بُغضهم
فدارِهم مـــا دمت في دارهم وأرضهم مـــا دمت في أرضهم

وله رحمه الله تعالى ورضي عنه من قصيدة :

كُسيت قناع الشيب قبل اوانـــه وجسمي عليـــه للشباب وشاح
ويا رب وجه فيه للعين نزهـــة أمانـــع عيني منه وهو مباح
وأهجره وهو اقتراحي من الورى وقد تهجر الامواه وهي قَـراح

وله في هذا كلام طويل وفيما ذكرناه دلالة عليه . ولأبي عبد الله محمد بن شرف هذا رواية عن (الشيخ أبي الحسن القابسي) وذكره (الشيخ ابو الوليد الباجي) وأثنى عليه ، ووصفه بالعلم والذكاء وان « علم الأدب » من بعض علومه . انتهى .

خلافة المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المنتصر

توفي « المنتصر بالله أبو تميم معد بن أبي الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله العلوي » صاحب مصر والشام . وكانت خلافته ستين سنة وأربعة اشهر في ثامن ذي الحجة سنة « ٤٨٧ » سبع وثمانين وأربعمائة . وتولى المستعلي بالله أبو القاسم احمد بن المنتصر بالله .

ولم يزل « خليفة بن خزرون » والياً على طرابلس الى سنة « ٤٨٨ » ثمان وثمانين وأربعمائة وقد اشتد عسفه وقويت وطأته .

ولاية شاهملك

وفي هـذه السنة قدم طرابلس شاهملك في مائة فارس من مصر . وكان شاهملك هـذا من اولاد بعض الأمراء الاتراك ببلاد المشرق . فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منها فسار الى مصر في مائة فارس فأكرمه « الافضل » أمير الجيوش بها وأعطاه أقطاعاً ومالاً .

ثم بلغه عنه أسباب أوجبت اخراجه من مصر فخرج هو وأصحابه هاربين ، فاحتالوا حتى اخذوا سلاحاً وخيلاً وتوجهوا الى المغرب ، فوصلوا الى « طرابلس الغرب » وأهـل البلد كارهين لواليها فأدخلوهم البلد وأخرجوا الوالي وصار « شاهملك » أمير البلد .

فسمع « تميم بن المعز بن باديس » الخبر فأرسل العساكر اليها وحاصروها وضيقوا على شاهملك وقومه حتى فتحوا البلد ثم قفل الجند بشاهملك الى « المهدية » .

ولاية محمد بن خزرون بن خليفة

وولي على طرابلس محمد بن خزرون بن خليفة ورروا واستخلص لخدمته جماعة من مشيخة « بني مطروح » وصرف اليهم وجوه اقباله . وكانت لهم عنده أثرة واختصاص ، وحظ في الظهور ، والتقدم في بطانته ؛ وفوض اليهم تدبير الامور ، والرياسة على الحامية . وانتهت اليهم الرياسة في البلد الى ان كان من أمره ما يأتي ذكره :

خلافة الآمر بأحكام الله أبي علي المنصور

وفي سنة (٤٩٥) خمس وتسعين وأربعمائة توفي « المستعلي بالله أبو القاسم احمد بن المنتصر » وولي الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور ابن المستعلي .

وتوفي « تميم بن المعز بن باديس » سنة « ٥٠١ » احدى وخمسمائة . وكان شهماً ، شجاعاً ، ذكياً ، محباً للعفو ، وله شعر حسن ، حسن السيرة ، محباً للعلماء مقبلاً على الشعراء وأهل الأدب ، حتى قصدته الشعراء وغيرهم على بعد بلادهم . ومدحه أبو علي بن الحسن بن

رشيق القيرواني ببيتين أحببت ذكرهما وهما من الطويل وضربه المحذوف .

أصح وأقوى ما سمعناه في الندى   من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا   عن البحر عن كف الأمير تميم

وكان تميم هذا له فضائل كثيرة وله أشعار جيدة . ومما يستجاد من شعره قوله من اول الوافر المقطوفة كضربها .

وخمر قد شربت على وجوه   اذا وُصفت تجل عن القياس
خدود مثل ورد في ثغور   كدرٍّ في شعور مثل آس

وقال ايضاً :

فدعوت ربي أن خير وسيلتي   يوم المعاد شهادةُ الاخلاص

•

وولي ابنه « يحيى » أفريقية وراجع طاعة العبيديين ووصلته المخاطبات والهدايا من « الآمر بأحكام الله » . ثم هلك فجأة في قصره سنة « ٥٠٩ » تسع وخمسمائة ، وولي ابنه « علي » وقام بالأمر الى أن توفي سنة « ٥١٥ » خمس عشرة وخمسمائة ؛ وله حروب ووقائع تدل على علو همته مبسوطة في كتب التواريخ لا حاجة لنا بذكرها .

وولي أفريقية ابنه « الحسن » غلاماً ابن اثنتي عشرة سنة . فقام بأمره وليه « صندل » لأنه كان حينئذ لا يستقل بتدبير الحكومة .

فقام صندل في الحفظ والاحتياط فلم تطل أيامه حتى توفي وقام بأمره قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفق .

وفي مدة الحسن هذا كانت فتن كثيرة . وتغلب النصارى على كثير من ممالكهم ووقع بينه وبينهم حروب ووقائع يطول ذكرها ، ولم يبق بيد الحسن الا المهدية فنزل بها .

خلافة الحافظ لدين الله عبد المجيد

وفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة توفي (الآمر بأحكام الله أبو علي المنصور) وولي الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن ابي تميم المنتصر بالله معد .

وكان أهل طرابلس لما انحل نظام الحكومة الصنهاجية بأفريقية وتقلص ظلها عنهم قد استبدو بأنفسهم ؛ وكان بالمهدية آخر الحكام من « بني مرين » وهو (الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين الصنهاجي) فاستبد لعهده في طرابلس (محمد بن خزرون بن خليفة بن وروا) وبطانته من (بني مطروح) ورفضوا دعوة الحسن وقومه وقطعوا أسباب الطاعة ومنعوا المغارم والجباية . وذلك عندما تكالب الافرنج على الجهات .

فطمع (زجار) في ملكها وبعث أسطوله في البحر فنازلها آخر سنة (٥٣٧) سبع وثلاثين وخمسمائة ، فنقبوا سورها . واستنجد أهلها

بالعرب فأنجدوهم وخرجوا الى الافرنج فهزموهم وغنموا اسلحتهم ودوابهم ورجع الافرنج الى صقلية .

ثم استولى (جرجي = زورزي) قائد أسطول (زجار) على « المهدية » سنة (٥٤٣) ثلاث وأربعين وخمسمائة . ووصلها بأسطوله في ثلثمائة مركب .

وكان عسكر الحسن بن علي قد توجه صريخاً (لمحرز بن زياد الفادعي) صاحب (علي بن خرسان) صاحب تونس فلم يجد صريخا فجلا عن المهدية ورحل . واتبعته الناس ودخل العدو الى المدينة وتملكها دون دفاع .

ووجد (جرجي = زورزي) القصر كما هو لم يرفع منه (الحسن) الا ما خف . وترك الذخائر الملوكية وانقرض بذلك ملك الصنهاجيين . وعدتهم ثمانية ، ومدة ملكهم من أول دخولهم في الأمارة واستعمال العبيديين لهم مائتان وسبع وستون سنة .

استيلاء الافرنج على طرابلس

ثم نزل بطرابلس ونواحيها مجاعة وأصابهم منها شدة هلك منها الناس وفروا عنها . وظهر اختلال أحوالها وفناء حاميتها ، فوجه اليها (زجار) أسطولاً لحصارها بعد استيلائه على « المهدية » و « صفاقص » واستقرار ولايته فيها . وذلك سنة (٥٤٣) ثلاث وأربعين وخمسمائة . فأرسى عليها ونزل للمقاتلة وأحاطوا بها براً وبحراً وقاتلوها ثلاثاً .

وكان أهل طرابلس قد اختلفوا قبل وصول الافرنج وأخرجوا (محمد بن خزرون بن خليفة) وشيعته من بني مطروح ، وولوا عليهم رجلاً من « أمراء لمتونة » قدم حاجاً في قومه فولوه أمرهم .

فلما شغل أهل البلد بقتال الافرنج اجتمعت شيعة يحيى بن مطروح ودخلوا البلد ووقع بينهم القتال .

فشعر الافرنج بأمرهم وبادروا الى السور فنصبوا عليه السلالم وتسنموها وفتحوا البلد عنوة . وأخرجوا منها (بني خزرون) وأفحشوا في القتل والنهب . ونجا كثير من أهلها الى « البربر » و « العرب » في نواحيها .

ثم رفعت النصارى السيف ونادوا بالأمان ؛ فتراجع المسلمون الى البلد وأقروهم على الجزية وأقاموا بها ستة أشهر حتى أصلح سورها ، وخنادقها . وانقرض أمر (بني خزرون) منها وافترقوا في البلاد ولحق منهم (عبد الصمد بن محمد بن خزرون) « بجبل اوراس » وبقي من بقي منهم بالضاحية .

ولاية أبو يحيى بن مطروح

وولي أبو يحيى رافع بن مطروح على طرابلس من طرف الافرنج وأخذوا رهنه على الطاعة ثم نادوا في صقلية بالمسير الى طرابلس فسار اليها الناس .

واستولى زجار على بلاد الساحل كلها ووضع عليها الجزية . وصار للأفرنج من « طرابلس الغرب » الى قرب « تونس » ومن « الغرب » الى دون « القيروان » الى أن استنقذها منهم (عبد المؤمن بن علي) شيخ الموحدين وخليفة امامهم (المهدي محمد بن ثومرث) .

خلافة اسماعيل أبو الفدا الظافر بأعداء الله

وفي سنة (٥٤٤) أربع وأربعين وخمسمائه توفي (الحافظ لدين الله عبد المجيد) وتولى اسماعيل أبو الفدا الظافر باعداء الله ابن الحافظ لدين الله واستمر أربع سنين وثمانية شهور .

خلافة الفائز بنصر الله بن اسماعيل

وفي سنة (٥٤٩) تسع وأربعين وخمسمائة قتل (الظافر باعداء الله) وتولى ابنه الفائز وفيها هلك زجار وملك ابنه (غليالم) وأساء تدبيره واختل أمره .

خلافة ابو محمد عبد الله العاضد لدين الله

وفي السابع مـــن شهر رجب (٥٥٥) خمس وخمسين وخمسمائة مات (الفائز بنصر الله بن اسماعيل أبو الفداء الظافر باعداء الله بن

الحافظ) وتولى أبو محمد العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن اسماعيل وكان سيىء السيرة ، وتملك الافرنج في ايامه بلاد السواحـــل الشامية .

الخبر عن الموحدين وأولية أمرهم

وفي هذه السنة نزل عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي خليفة امامهم (محمد بن ثومرث) المهدية وحاصرها . وكان محمد بن ثومرث هـــذا رجلاً من السوس الأقصى مـــن بلاد المغرب وقبيلته تسمى « المصاميد » وقيل انـــه شريف من أولاد الحسن بن علي رضي الله عنهما .

ارتحل في طلب العلم الى المشرق ولقي كثيراً من العلماء وتعلم علماً وافراً ورجع الى المغرب متفجراً من العلم ؛ فكان يحدث نفسه بأن الدولة تكون له ، وانه يظهر الله الحق على يديه . واظهر التقشف والتزهد وصار يأمر المعروف وينهى عن المنكر .

ثم قدم (جبل تينمل) وبينه وبين مراكش مسافة يوم ويسكنه قبائل كثيرة من المصاميد وغيرهم ، فأكرمه أهلها وأجابوا دعوتـــه على القيام بالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وبايعوه على

انه المهدي المنتظر [1] . وأول من أجابه لذلك (عبد المؤمن بن علي الكومي القيسي) صاحب الترجمة (وأبو عبد الله الونشريسي) وتابعهما الناس على ذلك . فانتشر ذكره وجاءتـــه الناس من كل فج وسمى اتباعه (الموحدين) .

ثم لما جاءهم عمال الامير (علي بن يوسف بن تاشفين) وهو الامير الثاني من (أمراء الملثمين) لأخذ الخراجات والجبايات امتنعوا من طاعتهم وقاتلوهم ، فجهز اليهم الأمير جيشاً فقاتلوهم وهزموا ذلك الجيش . ثم أرسل اليهم سنة (٥١٩) تسع عشرة وخمسمائة جيشاً أخر قوياً فحاصروهم في الجبل وضيقوا عليهم وصار كثير من ذوي العقول من أهل الجبل يثبطون من اتبعه ويأمرونهم بالتخلي عنه ، وأرادو اصلاح الحال مع جيش الامير . فبلغ ذلك المتمهدي فلم يرض بما أرادوا أن يفعلوه وخاف منهم أن يسلموه ، فبعث فيهم الدسائس والحيل والمكر والخديعة بواسطة أبي عبد الله الونشريسي ، مما يطول ذكره ، حتى انخدعوا له وتمكن من قتل كل من يخاف شره . قال ابن الأثير في تاريخه الكامل « فكان عدة القتلى سبعين الفاً » .

---

(١) قال متصفحه : الحظ كلام الحافظ المحدث الشهير ابي القاسم السهيلي في ديباجة الروض الانف على تصحيح ان ابن تومرت هو المهدي المنتظر . وحديث المهدي المنتظر من الخزعبلات التي راحت على كثير من أهل النظر . والحق انه لا مهدي الا عيسى كما رواه الشافعي في مسنده .

وقد اشبعنا الكلام على ذلك في غير ما موضع فليعرف ذلك . فان المسلمين قد اصيبوا من هذه الجهه بمصيبة عظيمة اتلفت عليهم دينهم ودنياهم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . اهـ

فاستقام بعد ذلك أمره وأمن على نفسه وصار الباقون معه على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته .

وسيرهم لقتال المرابطين أصحاب الأمير (علي بن يوسف بن تاشفين) سنة (٥٢٤) أربع وعشرين وخمسمائة . فقاتلوهم ، فانهزم أصحاب محمد ابن ثومرث وقتل منهم كثير ورجع اليه من بقي .

ثم جهز جيشاً آخر بلغ أربعين ألفاً وجعل أميره (الونشريسي) ومعه (عبد المؤمن بن علي) وقدموا « مراكش » وحاصروها فجاء للأمير علي بن يوسف جيش من « سجلماسة » وتواقعوا واشتدت الحروب بينهم ، فانفك الحصار وانهزم جيش المهدي ، وقُتل الونشريسي وقام مقامه عبد المؤمن بن علي .

وجاء الخبر الى المهدي وهو مريض مشرف على الموت وقد أوصى بأن الامر بعده يكون (لعبد المؤمن بن علي) ومات في هذه السنة . فكانت مدته من ابتداء ظهوره الى وفاته عشر سنين .

ثم جاء (عبد المؤمن) وبايعه الناس وانقادوا لطاعته . فاستفحل أمره وكثر جنده وعظم بأسه ، ووقع بينه وبين المرابطين حروب هائلة مبسوطة في التواريـــخ حتى ملك « فاس » و « تلمسان » سنة تسع وثلاثين وخمسمائـة بعدهـــا . ثم ملك مدائن المغرب واتسع ملكه الى ان ملك « الاندلس » ومدحه بعض الشعراء بقصيدة مطلعها :

ما هزّ عطفيه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

فمنع الشاعر قراءة بقية القصيدة واكتفى بهـذا البيت وأمر له بألف دينار . وقيل اكثر من ذلك .

ثم ان (عبد المؤمن بن علي) حاصر « المهدية » ، كما ذُكر ، أشهراً ففتحها بكرة عاشوراء المحرم سنة (٥٥٥) خمس وخمسين وخمسمائة .

ولاية أبي يحيى بن مطروح الثانية

وفي هذه السنة نبذ يحيى بن مطروح طاعة الافرنج ، ووفـد مع وجوه اهل طرابلس على (عبد المؤمن بن علي) بالمهدية فوسعهم براً وتكرمةً وقدم أبو يحيى بن مطروح عليها ، وردهم الى بلدهم .

ثم أقام عبد المؤمن بالمهدية أياماً فرتب أحوالها واصلح ما ثلم من سورها ونقل اليهـا الذخائر من الأقوات والرجال والعدد ، واستعمل عليها بعض أصحابه وجعل معه (الحسن بن علي) الذي كان صاحبها وأمره أن يقتدي برأيه في أفعاله ، وأقطع الحسن بها اقطاعاً وأعطاه دوراً نفيسةً سكنها ، وكذلك فعل بأولاده ورحل من المهدية أول صفر من السنة المذكورة الى المغرب .

ولاية يوسف بن عبد المؤمن

وفي عشرين من جمادى الآخرة سنة (٥٥٨) ثمـان وخمسين

وخمسمائة توفي (عبد المؤمن بن علي) وولى بأمره ابنه يوسف ، وكان عاقلاً حازماً سديد الرأي حسن السياسة ، أعرف الناس بأمور الملك وأحفظهم لأيام العرب في الجاهلية والاسلام .

وقيل انه كان يحفظ البخاري على ظهر قلبه ، وله وقائع وغزوات يطول ذكرها . وجمع الناس بالمغرب على مذهب (الامام مالك) في الفروع وعلى مذهب (أبي الحسن الاشعري) في الاصول .

ظهور الدولة الأيوبية

وفي حادي عشر محرم سنة (٥٦٦) ست وستين وخمسمائة نبذت طاعة (أبي محمد العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن اسماعيل أبي البقاء الظافر بأعداء الله) ومات . وبموته انقرضت (دولة الفاطميين) ومدة تصرفهم مائتا سنة وخمس سنين .

وقد طهر الله منهم البلاد وأراح منهم العباد ، كما انقرضت أمراء بني خزرون منها . (اي الحكومة الصنهاجية) .

والملك لله وحده يؤتيه من يشاء من عباده سبحانه وتعالى لا اله غيره .

● وظهرت (الدولة الايوبية) السنية أصحاب الفتوحات . وملك (صلاح الدين يوسف بن أيوب) بن أسد الدين شيركوه بن شادي الكردي « مصر » .

وكان (صلاح الدين) هذا من أتباع (السلطان محمود نور الدين ابن عماد الدين زنكي الشهيد بن آق سنقر) الملقب بقسيم الدولة . والسلطان محمود نور الدين هـــذا من فروع (الدولة السلجوقية) لأن جده (آق سنقر) كان مملوكاً للسلطان (ملك شاه السلجوقي) وذلك ان السلطان ملك شاه كان له مماليك كثيرون ترقى بعضهم حتى صار أميراً كبيراً . فمنهم آق سنقر جد نور الدين .

فكان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الترجمـــة حسنة من حسناته ، وقد ملك مصر كما ذُكر باسم السلطان نور الدين شاه ، واستولى على قصر (الفواطم) بخزائنه . ووجد فيه من الأموال مـــا لا يحصى .

وشرع في نصر أهـــل السنة وتوهين أهل البدعة والانتقام من الروافض ، وكانوا أكثر أهـــل مصر يومئذ ، وقطع الأذان « بحي على خير العمل » أول جمعة مـــن شهر محرم سنة (٥٦٧) سبع وستين وخمسمائة .

ثم تحركت همته لغزو الافرنـــج فمكنه الله تعالى منهم ويسر « فتح الشام ، وبيت المقدس » . ووقائعه مفرودة بالتأليف ، وانمـــا القصد الاشارة الى مبدأ أمره ، وكان رحمه الله تعالى شجاعاً كريماً صالحاً متواضعاً .

[رجع] ثم ان أبا يحيى بن مطروح لم يزل والياً على طرابلس الى ان هرم وعجز وطلب الحج فسرحه (يوسف بن عبد المؤمن)

فارتحل في البحر سنة (٥٦٨) ثمان وستين وخمسمائة واستقر بالاسكندرية . وكان حسن السيرة لين العريكة وله معرفة بالأدب وخبرة بالشعر والخطب . وأنشد لنفسه بالاسكندرية :

لوقفة بين باب البحر ضاحية أو باب هوارة أو موقف الغنم
اشهى الى النفس من كسر الخليج ومن دير الزجاج وشاطي بركة الحرم

استيلاء قره قوش على طرابلس

كان قره قوش من موالي (تقي الدين عمر بن شاه بن نجم الدين أيوب) وهو ابن اخي صلاح الدين فغاضب مولاه في بعض النزعات وذهب مغاضباً الى المغرب .

ولحق في سنة (٥٦٨) ثمان وستين وخمسمائة بزويلة وفتحها وخطب فيها لصلاح الدين ؛ وغلب ابن الخطاب الهواري على ملك فزان وكان ملك لعمه (محمد بن الخطاب يسلطن بن عبد الله بن صنعل ابن خطاب) وكان قاعدة ملكهم « زويلة » فتقبض عليه وعذبه على المال حتى هلك .

ذكر مدينة زويلة

(زويلة) كسفينة . مدينة كائنة في صحراء فزان وبالجنوب الشرقي

من طرابلس . بها شبه من مدينة أجدابية المذكورة ومنها الى طرابلس مسير خمسة وعشرين يوماً والى أجدابية أربعة عشر يوماً .

ومنها الى بلد (قانم) الكائنة في الجنوب منها وبالشمال الشرقي من ساحل بحيرة (تجاد) اربعين يوماً . ومنها الى بلد (ودان) خمسة ايام . وبين تكرفت وزويلة أربعة عشر يوماً في الطريق الغربي .

وهي بلاد بلا سور ، بها جامع وحمام وعدة أسواق . والمعاوضة فيها بقطع القماش . وفيها نخل كثير وزرعها يسقى على الجمال . وذكر البكري : انها كانت محطاً للتجارة السودانية ومنها تتفرق قفل التجار الى جميع البلاد السودانية وغيرها من أفريقية . اه

•

[رجع] ولم يزل قره قوش يفتح البلاد الى ان وصل طرابلس واجتمع عليه عرب (ذباب ، وسليم) ونهض بهم الى « جبل نفوسة » واقام هنالك دعوة مواليه .

وكان في بسائط تلك الجبال (مسعود بن زمـــام) المعروف (بالبلاط) في احيائـــه من (رياح) شيخ الموحدين وخليفة المهدي فيهم ، فانتدب مسعود بقومه عن المغرب وأفريقية الى تلك القاصية . وكانوا نازلين ببلاد الهبط ما بين (قصر كتامة) المعروف بالقصر الكبير الى ساحل البحر الاخضر الى تلك القاصية . واجتمع اليه بنو عساكر اخيه ولحقوا بطرابلس ونزلوا على (زعب ، وذباب) يتقلبون

بينهم فدعاه (قره قوش) الى اظهار دعوة مواليه (بني ايوب) فأجابه ونزل معه بأحيائه على طرابلس ، فحاصرها قره قوش وافتتحها واستولى عليها ونزل بأهله وعياله في قصرها ، واجتمع اليه العرب من هلال وسليم ، وفرض لهم العطاء واستبد بملك طرابلس وما وراءها ، وملك كثيراً من بلاد افريقية ما خلا المهدية ، وسفاقس ، وقفصه و « تونس » وما والاها من القرى والمواضع .

وصار مع قره قوش عسكر كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب بما جبلت عليه من التخريب والنهب والفساد بقطع الاشجار والثمار وغير ذلك . فجمع بها أموالاً عظيمة وجعلها بمدينة قابس . وقويت نفسه وحدثته نفسه بالاستيلاء على جميع افريقية لبعد (أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن) صاحبها عنها . وكان ما سنذكره ان شاء الله :

ولاية يعقوب المنصور بن عبد المؤمن

وفي (٥٨٠) ثمانين وخمسمائة توفي (يوسف بن عبد المؤمن) واتفق رأي قواد الموحدين وأولاد عبد المؤمن على تمليك ولده أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن . فملكوها اليه من الوقت الذي مات فيه ابوه . فقام في ذلك أحسن قيام . وكان حسن السيرة في الناس وانقادت اليه بأسرها مع سعة أقطارها ، ورتب الثغر الاندلسي واستقامت له الامور بحسن فعله .

خروج بن غانية الميورقي

وفي شعبان من هـــذه السنة خرج (علي بن اسحاق المعروف بابن غانية) وهو حينئذ صاحب (جزيرة ميورقة) الى (بجاية) . فملكها . وعلي بن اسحاق هـذا من اعيان الملثمين الذين كانوا ملوك المغرب الأقصى .

ولنذكر دولتهم وكيفية استيلاء ملكهم (يوسف بن تاشفين) . وقد ذكر كثير من المؤرخين أن الملثمين من عدة قبائل ينتسبون الى حمير ، وكان اول مسيرهم من اليمن في خلافة (« سيدنا أبي بكر الصديق ») رضي الله عنه . فساروا الى الشام ، ثم انتقلوا الى مصر ، ثم الى المغرب ، لما فتحت الاندلس . وقيل : انهم من (صنهاجة) وهي قبيلة من قبائل البربر . وقيل غير ذلك .

وتلقبوا بالملثمين لأنهم كانوا يتلثمون على عادة العرب ، فلما ملكوا ضيقوا لثامهم ليتميزوا به . وقيل : لئلا يعرف الشيخ من الشاب . وكانوا لا يتركون اللثام ليلاً ولا نهاراً ، ويلقبون بالمرابطين .

وحاصل مبدأ ملكهم أنه توجه رجل منهم الى الحج سنة (٤٤٨) ثمان وأربعين وأربعمائة . ولما رجع استصحب معه فقيهاً من القيروان ليعلم تلك القبائل أحكام دين الاسلام فجاء اليهم وعلم كثيراً منهم . ثم ملكوا عليهم واحداً منهم يسمى (أبا بكر بن عمر) فدانت لهم

القبائل . وسموه « أمير المسلمين » فقاتل من لم يدخل تحت طاعته وقويت شوكته . وتوفي أبو بكر بن عمر سنة (٤٦٢) اثنتين وستين وأربعمائة .

فاتفقت كلمتهم على (يوسف بن تاشفين) وهو ابن عم أبي بكر ابن عمر المذكور ، فبايعوه وسموه أيضاً أمير المسلمين . ثم سار الى المغرب وافتتحها حصناً حصناً ، واتسع ملكه وقوي أمره وطلب تقليدا من (خلفاء بني العباس) فأجيب الى ذلك ، وجاءه التقليد من الخليفة (المستظهر بالله) العباسي .

وكان يوسف بن تاشفين حازماً سائساً للأمور ، ضابطاً لمصالح مملكته ، مؤثراً لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم . حتى أن الامام الغزالي رحمه الله تعالى لما سمع بسيرته عزم على التوجه لزيارته فبلغه خبر وفاته وهو بالاسكندرية فرجع .

واختط ابن تاشفين (مدينة مراكش) ونزل بها ، وجعلها دار ملكه وتملك أكثر بلاد المغرب .

ثم جاز الى الاندلس وقاتل النصارى وأثخن فيهم ، وله معهم وقائع عجيبة . ثم جاز الى الأندلس مرة أخرى وغلب ملوك الطوائف بعد أن استفتى العلماء في ذلك لكون ملوك الطوائف منحرفين عن الاستقامة ، فصار ملك الأندلس والمغرب كله له . وسيرته طويلة مذكورة في التواريخ .

واستمر الى ان توفي سنة (٥٠٠) خمسمائة فكانت مدة ملكه ثمان وثلاثين سنة .

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين ملك بعده (ابنه علي) وكانت له غزوات في الاندلس ووقائع يطول ذكرها . وتوفي سنة (٥٣٥) خمس وثلاثين وخمسمائة . فمدة ملكه خمس وثلاثون سنة .

وملك بعده ابنه (تاشفين) وقتل سنة (٥٣٩) تسع وثلاثين وخمسمائة وملك بعـــده اخوه (اسحاق بن علي) وقتل ايضاً سنة (٥٤٢) اثنتين وأربعين وخمسمائة .

وانقرضت دولتهم على يد (عبد المؤمن خليفة محمد بن تومرت) فكانت مدة دولتهم نحو ثمانين سنة .

وإن علياً المعروف بابن غانية صاحب الترجمة هو (ابن اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين) وهو حينئذ صاحب (جزيرة ميورقة) وقدم في جموعه الى (بجاية) فملكها كما ذكر . وسبب ذلك انه لما سمع بوفاة (يوسف بن عبـــد المؤمن) عمر أسطوله فكان « عشرين قطعة » فأرسى في ساحل بجاية وخرجت خيله ورجاله من الشواني . فكانوا نحو مائة فارس من الملثمين ، وأربعة آلاف راجـــل ، فدخل مدينة بجاية من غير قتال لأنه اتفق أن واليها سار عنها قبل ذلك بأيام الى مراكش ولم يترك فيها جيشاً ولا ممانعاً لعدم عدو يحفظها منه . فجاء الملثم ولم يكن في حسابهم أنه يحدث نفسه بذلك .

ثم جمع جيشاً وخرج الى أعمال بجايـــة فأطاعتـه جميعاً الا

(قسنطينة) فحاصرهـــا الى أن جاء جيش من الموحدين لمّــا اتصل الخبر (بيعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) وهو بسبتة راجعاً من الغزو .

فسرح العساكر من مراكش في صفر سنة (٥٨١) احدى وثمانين وخمسمائة الى (بجاية) في البر والبحر ، وكان بها (يحيى) و (عبد الله) أخوا (علي بن اسحاق بن غانية الملثم) فخرجا منها هاربين ولحقا باخيهما ، فرحل من قسنطينة وسار الى أفريقية .

قدوم علي بن غانية الى طرابلس

ثم لحق علي بن غانية في جموعه الى طرابلس ولقي (قره قوش) بهـــا فاتفقا على المظاهرة على الموحدين ، واستمال ابن غانية كافة (بني سليم) من العرب ومن جاورهم من (قبائل هلال) مثل (جشم ، ورياح ، والاتبج) فانعقد أمره وتجدد بذلك بطرابلس سلطان قومه ، وجدد رسوم الملك ، واتخذ الآلة ، وفتح كثيراً من بلاد الجريد . وأقام فيها الدعوة العباسية .

ثم بعث ولده وكاتبه « عبد المؤمن » من فرسان الأندلس الى (الخليفة الناصر بن المنتصر) ببغداد مجدداً لما سلف لقومه المرابطين بالمغرب من البيعة والطاعة وطلب المدد والاعانة .

فعقد له كما كان لقومه ، وكتب الكتاب من ديوان الخليفة الى

ملك مصر والنائب عن الخليفة بها (صلاح الدين) ، فكتب بذلك الى قره قوش واتصل أمرهما في اقامة الدعوة العباسية .

فلما اجتمعوا بلغت عدتهم مبلغاً كثيراً وقويت شوكتهم وقصدوا بلاد أفريقية فملكوها جميعاً شرقاً وغرباً الا مدينتي « تونس » و « المهدية » ، فان الموحدين أقاموا بها وحفظوهما على خوف وضيق وشدة .

وانضاف الى ابن غانية كل مفسد في تلك الضواحي ومن يريد الفتنة والنهب والفساد والشر ، فخربوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا الحرم وقطعوا الأشجار .

ولما اتصل (بيعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن) ما نزل بأفريقية من أجلاب ابن غانية وقره قوش على بلاد الجريد ، نهض من مراكش في صفر سنة (٥٨٣) ثلاث وثمانين وخمسمائة لحسم هذا الداء واستنقاذ ما غلبوا عليه . فوصل الى مدينة تونس وأراح بها وسرح في مقدمته (السيد أبا يوسف بن أبي حفص بن عبد المؤمن) ومعه (عمر بن أبي زيد) من أعيان الموحدين .

فلقيهم علي بن غانية في جموعه . فانهزم الموحدون وقتل عمر ابن أبي زيد وجماعة منهم . ووصل سرعان الناس الى تونس . وحمل يعقوب المنصور اليهم في شعبان من سنته فأوقع بهم بظاهر « الحامه » وأفلت ، وبادر أهل قابس فأتوا بطاعتهم وسلموا من كان عندهم من أصحاب قره قوش وذويه فأحملوا الى مراكش . ووفد

يعقوب المنصور الى « توزر » فحاصرها فأسلموا اليه من كان فيها من أصحاب علي بن غانية .

ثم غزا العرب واستباح عليهم واحتازهم حتى استقاموا على طاعته ، فلما فرغ يعقوب المنصور من امر العرب واستقامت افريقية عاد الى مراكش ، وكان وصوله اليها سنة (٥٨٤) أربع وثمانين وخمسمائة .

ولاية ياقوت على طرابلس

ولحق ياقوت بطرابلس واستولى عليها . ثم رجع علي بن غانية وقره قوش الى حالهما من الأجلاب على بلاد الجريد الى أن هلك علي بن غانية في بعض حروبها سنة (٥٨٧) سبع وثمانين وخمسمائة . وقام بالأمر أخوه (يحيى بن اسحاق بن محمد بن غانية) وجرى في مظاهرة قره قوش وموالاته على سنن أخيه علي . ثم فسد ما بينه وبين قره قوش فقتله .

ثم لما عبر (أبو يوسف يعقوب) صاحب افريقية والمغرب الى الأندلس في سنة (٥٩٣) ثلاث وتسعين وخمسمائة وأقام مجاهداً ثلاث سنين انقطعت أخباره عن أفريقية ، فقوي طمع (يحيى بن اسحاق بن غانية) فعاد وقصد أفريقية . فانبثت جنوده في البلاد فخربوها وأكثر الفساد فيها ، فمحيت آثار العمران وتغيرت ، وصارت خالية من الأنيس ، خاوية على عروشها .

ولاية تاشفين بن الغاني

ثم قدم يحيى بن اسحاق بن غانية طرابلس في جموعه وحاصرها وبالـــغ (ياقوت) في المدافعة وطال أمر حصاره . وبعث يحيى بن اسحاق بن غانية في أسطول من ميورقة فأمده (أخوه عبد الله) بقطعتين فاستولى على طرابلس وأشخص ياقوت الى ميورقة واعتقل بها الى أن أخذها الموحدون .

ولمـا فرغ ابن غانية من أمر طرابلس ولى عليهـا (تاشفين) ابن عمه الغاني . ثم نهض الى جبال طرابلس فأغرمهم ألف ألف دينار مكررة مرتين ، وعاد الى حاله من الأجلاب ، واستولى على المهدية واضافها الى ما كان بيده من « طرابلس وقابس ، وصفاقص ، والجريد » .

ثم نهض الى الجانب الغربي من أفريقية وفتح « باجة ، وبسكرة ، وبلنسية ، والقيروان » واستولى عليها واستفحل ملكه فأزمـــع على حصار (تونس) وارتحل اليها سنة (٥٩٩) تسع وتسعين وخمسمائـــة وافتتحها لأربعة أشهر من حصارهـــا في ختام المائة السادسة . وكثر عتوه ، واضراره بالرعية ، وعظم طغيانه .

ولاية محمد الناصر بن يعقوب

وفي ثماني عشرة من ربيع الآخر سنة (٥٩٥) خمس وتسعين وخمسمائة توفي (أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) صاحب المغرب والأندلس وأفريقية بمدينة (سلا) . وكان يظاهر بمذهب الظاهرية واعرض عن (مذهب الامام مالك) فعظم امر الظاهرية في أيامه ، وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم (الحزمية) منسوبون الى « محمد بن حزم » رئيس الظاهرية وولي ابنه محمد ولقب بالناصر .

واتصل بالناصر بمراكش ما دهم أهل أفريقية من (يحيى بن غانية) فامتعض لذلك ورحل الى تونس سنة (٦٠٠) ستمائة . وبلغ يحيى بن غانية خبره فخرج من تونس الى القيروان ثم الى قفصة ، واجتمع اليه العرب وأعطوه الرهن على المظاهرة والدفاع ، ثم نزل حامية مطماطة ونزل محمد الناصر تونس ثم قفصة .

ثم خيم محمد الناصر على المهدية يحاصرها ، وقد أنزل ابن غانية ذخيرته وولده بها ، وأجلب في جموعه خلال ذلك على قابس . وتحصن منه يحيى بن غانية في (جبال دمر) .

وفي سنة (٦٠١) احدى وستمائة انتقض أهل طرابلس على ابن غانية وأخرجوا عاملهم (تاشفين بن الغاني) ، وقصدهم ابنه (غانية)

وفتحها وخربها . فسرح محمد الناصر اليه (الشيخ ابا محمد عبد الواحد ابن أبي حفص) لقتاله في أربعة آلاف من الموحدين سنة (٦٠٢) اثنتين وستمائة . فلقيه بجبال « تاجوراء » من نواحي قابس وأوقع به ، واقتحمها عليه واستولى على مساكنهم وما كان بأيديهم ، وأثخن فيهم بالقتل والسبي وفر (ابن غانية) الى مكانه من قاصية أفريقية ومعه مسعود البلاط .

ولاية عبد الله بن ابراهيم بن جامع

ثم فرض محمد الناصر على (المهدية) واستعمل عليها (محمد بن يغمور) وعلى طرابلس (عبد الله بن ابراهيم بن جامع) ورجع الى تونس . فأقام بها الى سنة (٦٠٣) ثلاث وستمائة .

وسرح أخاه (السيد أبا اسحاق) في عساكر من الموحدين لاتباع المفسدين ويمحو مواقع عينهم . فدوخ ما وراء طرابلس واثخن في (بني دمر ، ومطماطة ، ونفوسة) وشارف أرض « سرت ، وبرقة » ، وفر يحيى بن غانية الى صحراء برقة وانقطع خبره . وانكفأ السيد ابو اسحاق راجعاً الى تونس .

وفيها رجع ابن غانية الى نواحي طرابلس فجمع اخوته واتباعه من العرب من سليم ، وهلال . وكان فيهم (محمد بن مسعود) في قومه من (الزواودة) وعاودوا عينهم .

فسرح محمد الناصر ابا محمد في عساكر الموحدين وتحيز اليه « بنو عوف » من سليم وهو « مرداس ، وعلاق » فلقيهم بأشير فتواقعوا واحتربوا عامة يومهم . ونزل النصر وانتقض مصاف ابن غانية آخر النهار . واتبعهم الموحدون والعرب واكتسحوا اموالهم وافلت ابن غانية جريحاً وخلص لجهة طرابلس . وتلاحق به فل الملثمين واولياؤه من العرب واجمعوا دخول افريقية . فبادرهم (ابو محمد) قبل وصولهم وخرج من تونس سنة (٦٠٦) ستٍ وستمائة ، واغذوا السير اليهم وتزاحفوا عند جبل نفوسة واشتدت الحرب . ولما حمي الوطيس ضرب ابو محمد ابنيته وفسطاطه ، وتحيز اليه بعض الفرق واختل مصاف ابن غانية واتبعه الموحدون الى ان دخل في غيابات الليل ، وامتلأت ايديهم من الاسرى والغنائم . وانصرف ابن غانية مهيض الجناح مفلول الحد عفوا باليأس من جميع جهاته . وانقلب ابو محمد والموحدون اعزة ظاهرين . وفي سنة (٦١١) إحدى عشرة وستمائة توفي محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي واستولى ابنه يوسف المنتصر وهو ابن ست عشرة سنة . واستبد آل بني حفص بأفريقية ... ثم في الاضحى من سنة (٦٢٠) عشرين وستمائة توفي يوسف المنتصر واجتمع الموحدون وبايعوا ابا محمد عبد الواحد بن يوسف اخي يعقوب المنصور . وفي سنة (٦٢١) احدى وعشرين وستمائة قتل بمكان خفي ، وبعث الموحدون بيعتهم الى العادل عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بعد اقالة عمه ابي محمد عبد الواحد . ولما بلغت بيعة الموحدين للعادل وكتاب ابن زكرياء بن الشهيد جاز العادل الى العدوة ، وولى اخاه ابا العلاء ادريس المأمون بن يعقوب المنصور على الاندلس ، وولى عبو بن ابي محمد بن

الشيخ ابي حفص على افريقية . وفيها جمع ابن غانية اوباشاً من العرب والبربر وانتزى على جهات طرابلس ، وردد الغزو والغارات على بسايط أفريقية والمغرب الاوسط فاكتسحها بالغارات وعاث فيها ، وكبس الأمصار واقتحمها بافساد السابلة وانتساف الزرع وحطم النعم الى ان خربت وعفا رسمها ، فاتبعه السيد ابو زيد من الموحدين وقبائل هوارة وتزاحفوا بظاهر تونس فانهزم ابن غانية وجموعه ، وقتل كثير من من الملثمين وامتلأت ايدي الموحدين من الغنائم ، ولم يزل شريداً مع العرب بالقفار الى ان هلك سنة (٦٣١) احدى وثلاثين وستمائة ودفن وعفى اثر مدفنه .

[رجع لاخبار العادل] وفي ايام الفطر من سنة (٦٢٤) اربع وعشرين وستمائة قتل عبد الله العادل بن يعقوب . وكان ابو العلا ادريس المأمون بن يعقوب المنصور بالأندلس ، فبايعه اهل الأندلس وتلقب بالمأمون . ثم بايعه اهل مراكش وهو بالأندلس . وزاحمه يحيى بن الناصر ، ثم ثار عليه بالأندلس امير من غير بيت عبد المؤمن وهو « محمد بن هود الجذامي » وخطب لبني العباس ونبذ طاعة بني عبد المؤمن ، فتبعه الناس وخرج الأندلس عن طاعتهم فخرج (ابو العلا ادريس المأمون) من الأندلس وملك فاس وتلمسان . ولم يزل يتحارب مع (يحيى بن الناصر) الى ان صفي الأمر لأبي العلا بالمغرب دون الأندلس . وكان سفاكا للدماء حتى قيل له حجاج المغرب . وكان عالماً فصيحاً اسقط اسم مهديهم محمد بن تومرت من الخطبة والسكة ، وصنف في ذلك رسالة طويلة نصح فيها بتكذيب مهديهم . وتوفي سنة (٦٣٠) ثلاثين وستمائة وولي ابنه (عبد الواحد) وتلقب بالرشيد

وشرط عليه الموحدون اعادة مـــا كان أزاله أبوه من رسوم المهدي فأعيد . وجرى بينه وبين يحيى بن محمد الناصر المتقدم ذكره حروب الى أن قتل يحيى سنة (٦٣٧) سبع وثلاثين وستمائة . واستمر عبد الواحد الرشيد في ملكه الى ان توفي سنة (٦٤٠) أربعين وستمائة غريقاً في بعض جواري القصر . ويقال انه خرج من الماء وحُم لوقته وكان فيها مهلكه . وبويع أخوه (علي المعتضد بن ابي العلا ادريس المأمون) . ولأول ولايته انتقض أبو علي بن الخلاص صاحب سبتة وكذلك أهـــل أشبيلية ، وبايعوا جميعاً للأمير أبي زكرياء صاحب أفريقية . ثم انتقض عليـــه بسجلماسة عبد الله بن زكرياء الهزوجي صاحب تلمسان ، فنهض الأمير أبو زكرياء بسبب ذلك الى تلمسان واستولى عليها . وفي سنة (٦٤٣) ثلاث واربعين وستمائـــة ثارت العامة بمكناسة على واليها من قبل علي المعتضد فأوقعوا به وحولوا الأمـــر الى الأمير أبي زكرياء بن أبي حفص المتقدم ذكره وبعثوا اليه بيعتهم .

ابو محمد عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي الصوفي

قال : في « معالم الايمان » .

قرأ على الشيخ (أبي يوسف الدهماني) وغيره من الشيوخ الأجلة كأبي زكرياء يحيى بن محمد البرقي الصوفي ، قرأ عليه « القراءات السبع » و « الحديث » وتفقه عليه .

وقرأ عليه جماعة انتفعوا بـه ؛ منهم : (أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد الأنصاري) .

قال العواني : هو من اجلّ المشايخ قدرا ، وأعلاهم حالا ، منفرداً بحاله في وقته ، لا يشاركه فيه أحد من أبناء جنسه ، ولا يدانيه من اهل العناية التامة بتقييد الآثار وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه ، والتصرف في فهم معانيه .

وله تآليف في علم التصوف ومأخذ شديد . وكان من أهل العلم والمعرفة بالقراءات ، حسن الضبط لها ، عارفاً بوجوهها وطرقها ، اخذ الناس عنـه كثيراً . وكان ديناً ، فاضلاً ، صوفياً ، صاحب حال وعبادة ، ثقةً فيما رواه .

أخبرنا عنـه الفقيه (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري) بجميع مـا رواه . ووصفه بالعلم ، والصلاح والفضل ، والورع ، والجلالة . وكان الفقيه أبو زيد هـذا يقول : « هو شيخي ومعلمي وأحد من أنعم الله علي بصحبته ، اختلفتُ اليه كثيراً فلم تر عيني قط مثله نسكاً ، وفضلاً ، وصيانة لنفسه ، وانقباضاً عن الناس . كثير الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر . وما رأيت احفظ منه لأخبار الصالحين وحكاياتهم . حسن الايراد لها . متقناً لما يحكيه منها . انيس المجالسة . مليح المحادثة » . اهـ

قال (العواني) : فأي عذر له في تركه التعريف به . ومن هو مثله على جلالة قدرهم واستشهار ذكرهم ؟ انتهى .

وألف الشيخ أبو محمد عبد السلام تأليفاً في الفقه سماه بالوجيز . وهو تأليف حسن وفيــه فقه كثير . ونقل (الشيخ خليل) منه في شرحه على ابن الحاجب .

وجرت عادة شيخنا (ابي عبد الله محمد بن محمد عرفة الورغمي) بضعف نقله لأنه ينقل فيه بعض مسائل فيه عن (كتاب ابن سحنون) وغيره ، ولا يوجد ذلك لنقل غيره كقوله « وفي كتاب ابن سحنون اذا اخذ الخماس شيئاً منعه (اشهب) و (ابن وهب) . واجازه (سحنون) » اهـ .

وهذا لا يضعف به . وانما يضعف نقله اذ ينظر كتاب ابن سحنون ولم يوجد فيه ما نقله . مع انه لا معصوم من ذلك الا من عصمه الله تعالى . وكثير من المؤلفين يغلطون في نقل كثير مــن المسائل ولا يضعفون بذلك بل ينقل كلامهم وينبه على ما فيه .

والف (شرح الأسماء الحسنى) تأليفاً حسناً جــداً و (الزهر الانيق في قصة سيدنا يوسف الصدّيق عليه السلام) وتكلم في ذلك بكلام حسن . ويخرج في كلامه لتدقيقات واشارات يعلم بذلك فقهه . وانه كان فريد اهل زمانه ، ووحيد عصره .

(قال العواني) : وتوفي رحمه الله بالقيروان على راس السبعين ضحى يوم الخميس الثامن والعشرين مــن شهر صفر سنة (٦٤٦) ست واربعين وستمائة ودفن يوم الجمعة بعده اثر صلاتهــا . وتولى حمله من منزله فقراؤه وتلامذته حفاة الأقدام .

فلما صلي عليه غلبت العامة على نعشه وحالت بينه وبين تلامذته وفقرائه وكانت جنازة مشهورة ، والثناء عليها جميلاً . ودفن بباب تونس وقبره بمقربة من قبر (الشيخ ابي الحسن القابسي) .

وكان اخوه (ابو العباس احمد بن عبد الغالب) من اولياء الله تعالى . قال (العواني) : كان من ذوي التقى والحجا والصيانة ، والديانة ، والزهد ، والنزاهة ، وكتم الفاقة ، كثير التهجد والصلاة في الأوقات مع همة عالية ورقة قلب وغزارة دمع . وكان يقصده اهل الصلاح والتوبة والانابة ويلوذون به ويلازمونه ويتبركون به ويرغبون في دعائه ويكثرون في مجالسته . فيعظهم ويذكرهم ويخوفهم العقاب ويدلهم على طريق النجاة . وكان حسن المحادثة مليح المؤانسة جميل الاخلاق حسن اللقاء على وجهه نور وعليه قبول ، وكان كثيراً ما ينشد هذا البيت :

انت في غفلة وقلبك ساهي ذهب العمر والذنوب كما هي

وهو من قصيدة ليست من نظمه بل هو مسبوق بها ولكنها أعجبته لما دلت عليه وبعدها :

لم تبادر بتوبة منك حتى صرت شيخاً فحبلك اليوم واهي

[رجع] وفي (ربيع الآخر) من السنة المذكورة ، أعني سنة ستٍ وأربعين ، استشهد (علي المعتضد بن أبي العلا ادريس المأمون) وولي بعده ابن عمه عمر المرتضى بن اسحاق بن يعقوب المنصور . وفي مدته كثرت الفتن بينهم وبين بني مرين ، واستولى بنو مرين على

مدينة فاس ثم حاصروا مراكش فصالحهم عمر المرتضى على مال يدفعه لهم كل عام .

ولاية محمد بن عيسى الهنتاتي

وفي هذه السنة ايضاً توفي والي طرابلس (عبد الله بن ابراهيم بن جامع) وولي محمد بن عيسى الهنتاتي وشهر « بعنق الفضة » فاستبد بها منقطعاً عن الحضرة ومقيماً رسم الدعوة .

ثم ثار على عمر المرتضى (أبو العلا ادريس الواثق أبو دبوس بن عبد الله بن يعقوب المنصور) وطلب الأمر لنفسه وجرى بينهما حروب الى ان قتل المرتضى سنة (٦٦٥) خمس وستين وستمائة .

ثم جرى بين (أبي العلا ادريس) وبين (بني مرين) حروب يطول ذكرها الى أن قتل أبو العلا بمراكش في المحرم سنة (٦٦٨) ثمان وستين وستمائة وانتقل ملك الموحدين لبني مرين وانقرضت (دولة بني عبد المؤمن بن علي) والبقاء لله وحده ومدتها كلها مع مدة مهديهم « مائة واربعة وسبعون عاما » ، وتفرق بنوه وتقلبوا في الارض .

فلحق منهم عثمان بشرق الأندلس ونزل على طاغية « برشلونة » فأحسن تكريمه ووجد هنالك أعقاب عمه (ابي زيد المنتصر) أخ أبي دبوس في مثواهم من ايالة العدو .

وكان لهم هنالك مكان وجاه لنزوع « السيد ابي زيد » عن دينه الى دينهم ، فاستبلغوا في مساهمة قريبهم هذا الوافد وخاطبوا له عن الطاعة خطاباً ووافق ذلك حصول (مرغم بن صابر بن عسكر) شيخ قبيلة الجواري من بني ذباب في قبضة امره . وكان قد أسره الغزاة من اهل صقلية بنواحي طرابلس سنة (٦٥٢) اثنتين وخمسين وستمائة وباعوه من أهل برشلونة فاشتراه الطاغية وقام عنده أسيراً الى أن نزع اليه عثمان بن أبي دبوس هذا كما ذكرناه .

وشهر بطلب حق الدعوة الموحدية وأمل الظفر في القاصية لبعدها عن الحامية . فعبر البحر الى طرابلس .

وكان من حظوظ كرامته عند الطاغية أن أطلق له مرغم بن صابر وعقد له حلفاً معه على مظاهرته وجهز له اساطيل وشحنها بالمدد من المقاتلة والأقوات على مال شرطوه . فنزل على طرابلس سنة (٦٦٨) ثمان وستين وستمائة ، واحتشد مرغم بن صابر قومه وحملهم على طاعة عثمان بن ابي دبوس ونازلوا البلد معه ومع جنده من النصرانية فحاصروها وبلغ واليها محمد بن عيسى الهنتاتي في المدافعة وساء اثرهم فيها .

ثم رحل النصارى بأسطولهم ورسوا بأقرب السواحل الى البلد وتنقل عثمان بن أبي دبوس ومرغم بن صابر في نواحي طرابلس بعد أن أنزلوا عليها عساكر للحصار فاستوفوا من جباية المغارم والوضائع مالاً دفعوه للنصارى في شروطهم وانقلبوا في اسطولهم وأقام عثمان بن أبي

دبوس يتقلب مع العرب الى أن هلك ، والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

الاستاذ أبو محمد بن أبي الدنيا

وفي سنة (٦٨٤) أربع وثمانين وستمائة توفي الأستاذ المالكي الفقيه العلامة ، الحجة الفهامة ، أبو محمد بن أبي الدنيا .

ولد هذا الفاضل بطرابلس ونشأ بها وأخذ عن جماعة من علمائها ورحل الى المشرق وحج وأدرك الاستاذين (الريغن) و (الصفراوي) وأخذ عنهما وبرع في العلوم الشرعية وعلوم التصوف ، ثم ارتحل الى « تونس » في مـــدة الأمير أبي زكرياء بن ابي حفص ثم عاد الى طرابلس . وله تصانيف كثيرة منها « العقيدة الدينية » و « شرحها » و « حل الالتباس في الرد على نفاة القياس » و « كتاب في الحض على الجهاد » وبقي في طرابلس الى أن استدعاه الأمير المذكور فولاه قضاء الجماعة والأنكحة والخطابة بالجامـــع الأعظم ، ومن نظمه من أول الكامل وضربها المماثل :

طرق السلامـــة والفلاح قناعـــة ولزوم بيتٍ بالتوحش مؤنس
يكفيه أنساً أن يكون انيسه آي الكتاب ونوره في الحندس
واذ رات عيناه انساناً اتى فلينفرن نفور ظبي المكنس
ولقلما ينفك صاحب مقول من عثرة او زلة في المجلس
تحصى وتكتب والجهول مغفل حتى يراهـــا في مقام المفلس

ظهور الداعي أبي عمارة

كان أحمد بن مرزوق من بيوتات بجاية ، ونشأ بها وسيما محترفاً بصناعة الخياطة .

وكان يحدث نفسه بالملك لما كان يزعم أن العارفين يخبرونه بذلك .

ثم اغترب عن بلده ولحق بصحراء سجلماسة واختلط بعرب المعقل وانتمى الى أهل البيت ، وادعى أنه الفاطمي المنتظر ، فاشتملوا عليه وحدثوا بشأنه أياماً ثم زهدوا فيه لعجز مدعاه .

فذهب يتقلب في الأرض حتى وصل الى جهات طرابلس ونزل على ذباب ، وآتوه بيعتهم وقام بأمره مرغم بن صابر بن عسكر أمير ذباب ، وجمع له العرب ونازلوا طرابلس ، وبها يومئذ محمد بن عيسى الهنتاتي ، فامتنعت عليهم ورحلوا الى جنزور وجهاتها من هوارة فأوقعوا بهم .

ثم ساروا في تلك النواحي واستوفى جباية « الماية » و « زوارة » وأغرم « نفوسة » و « غريان » وضايع الزمها اياهم واستوفاها .

ثم زحف الى قابس فبايع له عبد الملك بن مكي في رجب سنة (٦٨١) احدى وثمانين وستمائة وأعلن بخلافته .

ثم ارتحل الى أفريقية وتفاقم أمره وتوافت اليه بيعة أهـــل « جربة » و « الحامة » وقرى « نفزاوة » ثم زحف الى « توزر » فأطاعوه ، ثم رجع الى « قفصة » فبايع له أهلها ثم دخل « تونس » وعظم أمره وعلا صيته .

ثم ثقلت وطأته على العرب بما كان يسيء بهم ، وظهر الأمير (عمر ابن يحيى بن عبد الواحد الحفصي) فبايعوه ، ونهض الى « تونس » فنزل بسحوم قريباً منها وعساكر الداعي بظاهر البلد تجاهه وطالت بينهما الحروب أياماً .

ثم إن الناس تبرأوا من الداعي وأسلموه ورحل من مكان معسكره ولاذ بالاختفاء ، ودخل الأمير البلد سنة (٦٨٣) ثلاث وثمانين وستمائة واستولى على سرير ملكه .

ثم أحضر له الداعي فاعترف بادعائـــه وقتله . واستبد الأمير عمر بملكه وتلقب بالمنتصر بالله وبادر الناس الى الدخول في الطاعة اليه ، وبعث أهل القاصية ببيعتهم من « طرابلس » و « تلمسان » وما بينهما .

الامام الحافظ أبو اسحاق ابن الأجدابي

هو الامام الحافظ أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيـــل بن أحمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن الأجدابي نسبة الى « أجدابيـــة » ؛ ولد بطرابلس ونشأ بها وحضر مجالس العلم والعرفان وصحب مشايخ

عصره ؛ وكان من العلماء ومشاهير الفضلاء ومن أعلم أهـــل زمانه بجميع العلوم كلاماً ، وفقهاً ، ونحواً ، ولغةً ، وعروضاً ، ونظماً ، ونثراً . ولم تكن له رحلة ، وصنف كتباً كثيرة مفيدة منها (كتاب كفايـــة المتحفظ) وكتابان في العروض ، صغير وكبير ، و « كتاب الرد على أبي حفص في تثقيف اللسان » و « شرح ما آخره ياء من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء » استوفى فيه جميع احكامها عـــلى اختلاف أحوالها ، من تصغير وتكسير وغير ذلك .

ولمـــا استوفى فيه ذلك استيفاء جلياً تعرض فيه لشرح المقاطيع الواقعة في (سورة مريم) لاشتمالها على كثير من تلك الاحكام ، فجاء هذا التأليف في غاية الافادة والتحقيق .

وله « كتاب مختصر في علم الأنساب » وآخر « مختصر في الانواء على مذهب العرب » و « رسالة في الحول » تعرب عـــن أدب كثير وحفظ غزير ، واختصر « كتاب نسب قريش » لأبي عبد الله بن الزبير ابن العوام رحمه الله .

قال التيجاني : وحسبك بهذا التأليف علماً وفايدة ؛ وقـــد مدح هذا الكتاب أبو الحسن بن مغيث بقوله « هو كتاب عجب لا كتاب نسب » ؛ وقد أدخل ابو اسحاق فيه مـــن حفظه زوايد تشتمل على فرائد .

وترجم له الاستاذ محمد بن الطيب الشرقي في كتاب (تجريـــد الروايـــة في تحقق الكفاية) بقوله : وكان ابو اسحاق من صدور

المائـــة السابعة وأيمتها الاعلام ، أثنى عليه المجد اللغوي في بعض تصانيفه ، وذكره الجلال السيوطي في « البغيـــة » ووصفه بالجلالة في العربية . واعتنى بهذا المختصر وهو « كفاية المتحفظ » جمع من الأيمة المقتدى بهم واعتمدوه ، واكثر من النقل عنه الامام الحافظ الثقة أحمد الفيومي في كتابـــه (المصباح المنير) ، والامام كمال الدين الدميري في « حياة الحيوان » وغيرهما ، وعدله بالمصنفات الكبار « كالمصباح » و « التهذيب » و « المجمل » ونحوهما ، وربما اختار كلامه في المصباح عنهم أحياناً .

واعتنى بخدمته الامام الأديب العلامـــة جمال الدين قاضي الحرم محمد بن أحمد عبـــد الله بن أبي بكر بن محمد الطبري ، فنظمه في نحو الف وثلاثمائـــة بيت نظماً لطيفاً حلواً عـــلى ارتكاب اوهام وبعد افهام .

ومدحه الفقيه الأديب العلامـــة جمال الدين علي بن صالح العدوي فأجاد حيث قال :

من كان يطلب في الغريب وسيلة مـــن شاعر او كاتب متلفظ
او كان يبغي في الكلام بلاغة فليحفظـــنّ كفايـــة المتحفظ

ولاية يوسف بن طاهر اليربوعي

وفي سنة (٦٨٤) اربع وثمانين وستمائـــة توفي (محمد بن عيسى

الهنتاتي) وولي يوسف بن طاهر . واضطربت الأحوال بأفريقية ، واستبد يوسف بن طاهر اليربوعي بطرابلس .

وفي سنة (٦٩٤) اربع وتسعين وستمائة توفي (عمر بن يحيى الحفصي) وولي (محمد ابو عصيدة بن الواثق بن المنتصر) وتوفي سنة (٧٠٩) تسع وسبعمائة ، وولي (ابو بكر الشهيد بن يحيى بن عبد الرحمن بن زكرياء بن ابي بكر بن يحيى الواثق الحفصي) . فبقي ثمانية ايام ، فخرج عليه خالد بن ابراهيم بن يحيى ، فاضطربت الأحوال عليه بأفريقية وخلع سنة (٧١١) احدى عشرة وسبعمائة .

الاستاذ ابو عبد الله محمد بن مكرم

وفي هذه السنة توفي لسان المتكلمين ، ومادة علوم الدين ، حجة الناظرين ، قدوة المحققين ، وفخر العلماء الراسخين ، صاحب لسان العرب ، ابو عبد الله محمد بن مكرم ، بن علي ، بن محمد ، بن ابي القاسم ، بن حقة ، بن منظور الأنصاري الطرابلسي نزيل مصر .

يتصل نسبه بسيدنا رويفع بن ثابت الأنصاري ، وقد تقدم ذكره وولايته على طرابلس ووفاته وهو أمير عليها .

قال الأستاذ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) : ولد في المحرم سنة ثلاثين وستمائة . وسمع من (ابن المقير) وغيره وجمع ، وعمر ، وحدث ، واختصر

كتباً كثيرة من كتب الأدب المطولة « كالأغاني » و « العقد الفريد »
و « مفردات ابن البيطار » . ويقال ان مختصراته « خمسمائة مجلد »
وخدم ديوان الانشاء مدة عمره ، وولي قضاء طرابلس ، وكان صدراً ،
رئيساً ، فاضلاً ، في الأدب ، مليح الانشاء ، روى عنه (السبكي)
و (الذهبي) .

وقال : تفرد في العوالي وكان عارفاً بالنحو ، واللغة ،
والتاريخ ، واختصر « تاريخ دمشق » في نحو ربعه . وعنده تشيع
بلا رفض .

وذكر الامام الحافظ شهاب الدين ابو الفضل احمد بن حجر
العسقلاني : في كتابه « الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة » مثله ؛
وقال : كان مغرماً باختصار الكتب المطولة كالاغاني ، والعقد ،
والذخيرة ، ونشوان المحاضرة ، والتواريخ الكبار ، وكان لا يمل
من ذلك .

قال الصفدي : لا اعرف في الأدب وغيره كتاباً مطولاً الا وقد
اختصره . قال : واخبرني ولده (قطب الدين) انه ترك بخطه
(خمسمائة مجلد) . ويقال ان الكتب التي علقها بخطه (خمسمائة مجلد)
قلت : وجمع في اللغة كتاباً سماه لسان العرب جمع فيه بين التهذيب ،
والمحكم ، والصحاح ، والجمهرة ، والنهاية ، و حاشية الصحاح ،
وجدده ما شاء ، ورتبه على ترتيب الصحاح ، وهو كبير .

قال ابو الحيان : انشدني لنفسه :

ضع كتابي اذا اتاك الى الأر ض وقلبه في يديك لماما
فعلى ختمه وفي جانبيه قبل قد وضعتهن ثؤاما

قال : وانشدني لنفسه ايضاً :

الناس قد اثموا فينا بظنهم وصدقوا بالذي ادري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق قولهم بان تحقق ما فينا يظنونا
حملي وحملك ذنباً واحداً ثقةً بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

قال الصفدي : هو معنى مطروق للقدماء لكن زاد فيه زيادة وهي قوله (ثقة بالعفو) من أحسن متممات البلاغة .

وذكر ابن فضل الله : أنه عمي في آخر عمره . وكان صاحب نكت ونوادر وهو القائل :

بالله ان جزتَ بوادي الأراك وقبلت عيدانه الخضر فاك
فابعث الى عبدك من بعضها فانني والله ما لي سواك

ابو اسحاق ابراهيم بن عبد السلام
بن عبد الغالب المسراتي

كان صالحاً صوفياً فاضلاً ، موصوفاً بالخير ونصر الفقير وحفظ

الغريب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان من ذوي الكرامات وخوارق العادات ، حليماً لين الاخلاق كريم الطباع عطاءً لذي رحمه ، وصَولاً لاخوانه ، سالم الصدر عفيف اللسان شديداً لتغيير المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم . وكان خطيب جامع القيروان .

وقد بلغه عن بعض أهل القيروان كلام عليه فيه طعن أداه الى الخروج عن البلد والهروب منه ، فقلق الناس من ذلك ووجدوا وجداً شديداً على فقد مثله ، فقد انتفع به عالم من الناس وتاب خلق كثير على يديه . ثم ان الناس اجتمعوا اليه وأقسموا عليه وسألوه الجلوس بالبلد فأبى ، فارتحل الى مدينة تونس مستوطناً بها ، فحل من اهلها محل اهل الارادة ، واحتل منها بمرقاة التعليم والافادة . ومكث بتونس حتى أصابه بها مرض وغلب عليه بلغم عطل كلامه وثقل لسانه . واخبره من بتونس من الاطباء ان القيروان يصلح بها حاله ويرجى فيها برؤه ، وانها أليق بمزاجه وان مقامه بتونس ضرر عليه . وعرف بذلك الحاكم وقتئذ ، فأمره بالرجوع للقيروان فانصرف لها ، فاحتفل بـه اهل القيروان احتفالاً فائقاً وتلقوه وفرحوا بـه . واقام بالقيروان وحسن بها حاله الى ان توفي رضي الله عنه في الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم لسنة (٧٠٤) اربع وسبعمائة ودفن بباب تونس بجوار قبر ابيه ، رحمة الله عليهما ورضوانه .

أبو سعيد فرج بن عبد الله المسراتي

كان صالحاً نبيلاً عاقلاً ورعا زاهداً من القائلين بالحق العاملين به . روي عنه انه حج مراراً وجاور زماناً ولزم الرباط بثغور المسلمين مدة من السنين حتى اوهنته العبادة والكبر فالتزم القيروان وصار جليس بيته معولاً عليه في معيشته على البقول . وكان يفرغ نفسه للعبادة في شهر رمضان ويغلق بابه طول نهاره ويدخل الى بيته ، فيقبل على الذكر والصلاة فلا يتحرك من داره الا الى المسجد خاصة لأداء الصلاة ، منافساً في فضل الجماعة . فاذا قضاها عاد الى مكانـــه ، قد عرف اخوانه حاله فاذا جاء شهر رمضان توقفوا عن زيارته ومواصلته .

وله كرامات . من ذلك مـــا اخبر به (العواني) عن جـــده (عبد الملك) قال : كنت جالساً مـــع الشيخ أبي سعيد فرج بخارج البلد وبين ايدينا خبز شعير وزيتون ، فسمعته يخاطب رجلاً في الهواء وهو يقول له « خبز وزيتون » فلم أرَ الرجل وانما رأيت شخصه وظله في حائط سور البلد فقلت للشيخ : ما هذا ؟ فقال لي : رجل من الطيارة قال لي : ما انت تأكل ؟ فقلت له : خبز شعير وزيتون ... اهـ

•

ابو عبد الله محمد بن احمد اليزليتني

قرأ على الشيخ أبي عبد الله محمد بن فندار ثم ارتحل لتونس فقرأ بها على شيخنا ابن عرفة حتى مات . وكان عالماً صالحاً ناسكاً ورعاً ذا سمت حسن ، وقّافاً بالليل نفاعاً لخلق الله من عند الأمراء وغيرهم لا يبخل بجاهه . فكان كل من يعرفه او يقصده تسبب له فيما يليق به من قضاء او عدالة او امامة مسجد او اخذ دراهم من حبسٍ على الفقراء وغير ذلك .

وكان كلامه مقبولاً . وكان للناس فيه غايـــة الاعتقاد . قال في معالم الايمان : واخترمته ، رحمه الله تعالى ، الوفـــاة ، ولو عاش كانت طريقته الامامة بجامع الزيتونة صلاة وخطبة ، لا يزاحمه احد في ذلك .

وتوفي رحمه الله تعالى بتونس (٨٠٨) ثمان وثمانمائة في اوائـــل شهر رمضان .

●

[رجع] وفي هذه السنة اعني سنة (٧١١) احدى عشرة وسبعمائة قفل (زكرياء بن احمد بن محمد اللحياني بن عبد الواحد) مـــن المشرق الى طرابلس ، ورأى اضطراب الاحوال بأفريقية وعقـــد له

بطرابلس ووفدت اليه رجالات الكعوب اولاد ابي الليل ، فأغذ السير الى « تونس » وصبحوها ثامن جمادى الآخرة من هذه السنة ، وعقد له البيعة العامة بظاهرها ثم دخل البلد واستولى .

وكان هذا الامير بصيراً بالسياسة ، مجرباً للأمور ؛ وكان يرى من نفسه العجز عن الأمارة واستحقاقها مع الأمير (ابي بكر بن يحيى بن عبد الواحد) صاحب الثغور الغربية فتوقع زحفه اليه بتونس ، وكانت أفريقية مضطربة عليه . فاجمع على التقويض عن أفريقية فجمع الأموال والذخاير وباع مــا كان بمودعاتهم من الآنية والفرش والمتاع حتى الكتب التي كان الأمير ابو زكرياء جمعها . فجمع من ذلك قناطير من الذهب تجاوز العشرين قنطاراً وجوالقين من حصي الدر والياقوت ، واستخلف ابنه محمد ابو ضربــة ثم خرج من تونس في صفر سنة (٧١٨) ثمان عشرة وسبعمائة الى قابس مواريا بمشارفة عملها . وانتهى اليها فاقام بها أياماً ثم ارتحل من مقامه بقابس الى نواحي طرابلس فأوطن بها ، وكان معه أبو عبد الله محمد بن يعقوب وهجرس بن مرغم كبير الجواري في جموعه ، فدوخ البلاد وفتح المعاقــل وجبى الأموال . وانتهى الى برقة واستخدم « آل سالم » و « آل سليمان » من عرب (ذباب) ورجع الى طرابلس .

واستمر محمد أبو ضربة ثمانية أشهر ثم قدم اليه أبو بكر الحفصي بالعساكر وهزمه ، وافترقت جموعه وشردت رواحلهم والقتل والنهب يأخذ منهم مأخذه . ولجأ محمد أبو ضربة في فله الى المهدية .

ولمــا سمع الأمير ابو يحيى اللحياني بانهزامه واعتصامه بالمهدية

اضطرب معسكره وبعث الى النصارى في أسطول تحمله الى الاسكندرية ، فوافاه ستة أساطيل فاحتمل أهله وولده .

ولاية محمد بن أبي عمران

واستخلف على طرابلس صهره أبا عبد الله محمد بن أبي عمران . وهو من أعقاب (أبي عمران موسى بن ابراهيم بن الشيخ أبي حفص) .

وركب الأمير أبو يحيى اللحياني الى الاسكندرية فنزل بها على الأمير (محمد بن قلاوون) واستقدمه الى مصر فعظم من مقامه واهتز للقائه ونوه مجلسه وسنّى من جرايته .

ولم يزل أبو عبد الله محمد بن أبي عمران والياً على طرابلس الى سنة (٧٢١) احدى وعشرين وسبعمائة ، فاستقدمه بنو حمزة ومشايخهم الكعوب ، وأجلبوا به على تونس فملكها ستة أشهر . ثم أجفله عنها الأمير أبو بكر الحفصي ولحق بطرابلس الى أن انتقض عليه أهلها سنة (٧٢٤) أربع وعشرين وسبعمائة وثاروا به وأخرجوه فلحق بالعرب . واجلبوا به على تونس مراراً فيهزمون في كلها ، ثم لحق بتلمسان واستقر بها عند أبي تاشفين في خير جوار وكرامة .

ولاية ثابت بن محمد بن ثابت

وولوا عليهم ثابتاً بن محمد بن ثابت بن عمار واستمر والياً بطرابلس الى أن هلك سنة (٧٣٠) ثلاثين وسبعمائة .

ولاية محمد بن ثابت

وتولى ابنه محمد وبعث أسطوله لحصار « جربة » فحاصرها واستولى عليها .

ثم هلك أبو يحيى اللحياني بمصر سنة (٧٣٢) ثنتين وثلاثين وسبعمائة وقفل ابنه عبد الواحد الى المغرب يحاول أسباب الملك ، وقدم طرابلس فأوطن بها وبنى مقعداً لجلوسه بسور البلد القبلي مما يلي البحر سماه (الضارمة) ، وادعى لنفسه وتابعه أعراب ذباب ، وبعث العمال في الجهات لجباية الأموال ثم انتقض معه عبد الملك ابن مكي عامل قابس وقدم عبد الواحد في جموعه الى تونس في غيبة الأمير أبي يحيى فأجفل عنها ولحق عبد الواحد بأبي تاشفين فأقام عنده في مبرة وتكرمة .

ثم عقد له الأمير ابو يحيى على الثغور الشرقية فهلك عند وصوله اليها بالطاعون الجارف . واستمر الأمير أبو بكر الى ان توفي سنة (٧٤٧)

سبع وأربعين وسبعمائة . وملك ابنه أبو حفص عمر وكان أخوه الفضل أكبر منه وولي عهد أبيه ، فغلبه على الأمر ثم سرحه في العساكر الى جزيرة جربة فدخلها الأمير أبو العباس الفضل بمن معه وخاضوا اليها البحر فأجفل عسكر محمد بن ثابت وأفرج عن الحصن .

وكان أبو الحسن بن أبي سعيد عثمان المريني أمير تلمسان يحدث نفسه منذ ملكها بملك أفريقية ويتربص بالأمير عمر بن أبي بكر ، ثم أزمع غزو أفريقية ومن بها فعسكر بظاهر تلمسان وفرق الاعطاءات ورحل في صفر سنة (٧٤٨) ثمان وأربعين وسبعمائة يجر الدنيا بما حملت . ووفد اليه أمراء البدو والثغور بأفريقية فلقوه (بوهران) وأتوه بيعتهم رغبة ورهبة وأدوا بيعة محمد بن ثابت والي طرابلس . ثم سار الى القسنطينة ، ووفد عليه هنالك بنو حمزة ومشايخ قومهم الكعوب وأخبروه باجفال الأمير عمر بن أبي بكر من تونس مع ظواعن أولاد مهلهل ، فسرح معهم العساكر في طلبه فأدركوه وقتلوه . ثم سبقت العساكر الى تونس وجاء الأمير أبو الحسن على اثرهم ودخلها في الزي والاحتفال في جمادى الآخرة من سنته .

واستمر أبو الحسن بن أبي سعيد عثمان المريني ثم ولده الفضل سنتين ونصف ، ثم انتزعها منه أبو العباس الفضل بن أبي يحيى أبي بكر الحفصي سنة (٧٥٠) خمسين وسبعمائة .

ولاية ثابت بن محمد بن ثابت

وفي هذه السنة توفي (محمد بن ثابت) والي طرابلس وولي ابنه

ثابت وفيها انقضت افريقية من أطرافها على الأمير (الفضل ابن أبي بكر بن يحيى بن ابراهيم) واستبد بطرابلس ثابت بن محمد هذا .

وفي سنة (٧٥٣) ثلاث وخمسين وسبعمائة خلع الفضل الحفصي وولى (ابراهيم بن أبي بكر بن يحيى بن ابراهيم) .

الخبر عن استيلاء النصارى على طرابلس

كانت طرابلس هذه ثغراً منذ الدول القديمة . وكانت لهم عناية بحمايتها لما كان وضعها في البسيط ، وسواحلها الشمالية مقابلة لسواحل أوربا الجنوبية . وكونها ممراً ومركزاً للتجارة السودانية . ولما حوى أقليمها من اللطافة والقوة الانباتية . وكانت ضواحيها قفرا من القبائل ، فكانت النصارى أهل صقلية كثيراً ما يحدثون أنفسهم بملكها ، وكان ميخائيل الأنطاكي صاحب أسطول زجار قد تملكها من أيدي بني خزرون من مغراوه آخر دولتهم ودولة صنهاجة كما ذكرنا ، ثم رجعها ابن مطروح ودخلت في دعوة الموحدين ومرت عليها الأيام الى أن استبد بها ثابت بن محمد بن ثابت .

وكان تجار الجنويين يترددون اليها فاطلعوا على عوراتها وأضمروا غزوها فوافوا مرساها سنة (٧٥٥) خمس وخمسين وسبعمائة وانتشروا بالبلد في حاجاتهم ، ثم بيتوها ذات ليلة فصعدوا أسوارها وملكوها عليهم وهتف هاتفهم بالحرب وقد لبسوا السلاح فارتاعوا وانتبهوا من مضاجعهم . فلما رأوهم بالأسوار لم يكن همهم الا النجاة بأنفسهم ونجا

(ثابت بن محمد) الى حلة الجواري في أعراب وطنها من ذباب فقتل لدم كان أصابـه منهم ولحق أخواه بالأسكندريـة واستباحها النصارى واحتملوا في سفنهم ما وجدوه من الخرثى والمتاع والأسرى وأقاموا بها .

استيلاء أحمد بن مكي على طرابلس

ثم داخلهم أبو العباس أحمد بن مكي صاحب قابس في فدائهـا فاشترطوا عليه خمسين ألف مثقال من الذهب العين فبعث فيهم لملك المغرب (أبي عنان بن أبي الحسن علي بن ابي سعيد عثمان المريني) يطرفه بمثوبتها . ثم تعجلوا عليه فجمع ما عنده واستوهب ما بقي من أهل قابس والحامة وبلاد الجريد فجمعوها له محبة ورغبة في الخير . وأمكنه النصارى من طرابلس فملكها واستولى عليها ونزل بها وجعلها دار امارته وأزال ما دنسها من الوضر . وبعث الأمير أبو عنان بالمال اليه وان يرد على الناس ما أعطوه ويتفرد بمثوبتها وذكرها ، فامتنعوا الا قليلاً منهم ووضع عند أحمد بن مكي لذلك .

الفقيه ابو موسى بن عمران الهواري الطرابلسي

كان فقيهاً عالماً سمع الحديث مـن أفاضل عصره كأبي محمد ابن أبي الدنيا وغيره وكان مشهوراً بالدين والورع متصفاً بالعدالة والتمسك بالشرع .

تولى القضاء بطرابلس نيفاً وثلاثين سنة . ولاشتهار فضله استدعاه أبو اسحاق ابراهيم المنتصر الحفصي وولاه قضاء تونس سنة (٧٥٨) ثمان وخمسين وسبعمائة فأظهر العدل في الاحكام حتى توفي سنة (٧٦٠) ستين وسبعمائة . رحمه الله تعالى . اه

•

[رجع] ولم يزل أبو العباس أحمد بن مكي والياً بطرابلس الى أن توفي سنة (٧٦٦) ست وستين وسبعمائة .

ولاية عبد الرحمن بن مكي

وولي ابنه عبد الرحمن بن أحمد مكي على طرابلس وساءت سيرته فيها . وفي سنة (٧٧٠) سبعين وسبعمائة توفي (ابراهيم الحفصي) وولي بعده (ابنه خالد أبو البقاء) . ولما كانت سنة (٧٧٢) اثنتين وسبعين وسبعمائة خلع خالد ابو البقاء وولى بعده أحمد بن محمد بن أبي بكر والد (عمر والفضل) .

ولاية أبي بكر بن محمد بن ثابت

وفيها قـــدم أبو بكر بن محمد بن ثابت من الاسكندرية الى طرابلس في اسطول ونازل عبد الرحمن بن أحمد بن مكي وأجلت

عليه بالبرابرة والعرب من أهل الوطن فاستنقض عليه أهل البلد وثاروا به . وبادر أبو بكر بن محمد بن ثابت لاقتحامها عليه . واسلموه أحد رؤساء ذباب فأجاره الى ان بلّغه مأمنه من محلة قومه وايالة عمه عبد الملك بن مكي بقابس واستولى أبو بكر بن محمد بن ثابت على طرابلس .

ولما كانت سنة (٧٨١) احدى وثمانون وسبعمائة اجمع الأمير (أحمد بن محمد الحفصي) الحركة على قابس وعسكر بظاهر تونس . ثم ارتحل بجنوده يريد قابس ، فبعث أبو بكر بن محمد بن ثابت الى الأمير بالطاعة والانحياش ، ووافته رسله دون قابس . ولما استكمل الأمير أحمد الفتح وشؤونه انكف راجعاً الى تونس فدخلها سنة (٧٨٢) اثنتين وثمانين وسبعمائة ولحق اليه رسله من طرابلس بهدية واليها أبي بكر بن محمد بن ثابت من الرقيق والمتاع بما فيه الوفاء بمغارمه بزعمه .

ولم يزل أبو بكر بن محمد بن ثابت والياً عليها الى أن توفي سنة (٧٩٢) اثنتين وتسعين وسبعمائة .

ولاية علي بن عمران بن ثابت

وولي ابن اخيه علي بن عمران بن محمد بن ثابث ثم اضطربت قومه ونزع قائدهم ورئيسهم ابو خلف الى الأمير أحمد فبعث معه ابنه عمر سنة (٧٩٤) أربع وتسعين وسبعمائة لحصار طرابلس . فقدمها

وأقام عليها حولا يحاصرها ويمنع الاقوات عنها حتى ضجر وضجروا مـــن طول المقاومة ، فدافعوه بالضريبة وانكف راجعاً الى أبيه سنة (٧٩٥) خمسٍ وتسعين وسبعمائة .

وفي سنة (٧٩٦) ستٍ وتسعين وسبعمائة توفي ابو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد الحفصي وولي ابنه (أبو فارس عزوز) .

واستمر علي بن عمران بن محمد بن ثابت بولايـــة طرابلس الى سنة (٨٠٠) ثمانمائة ؛ وكان ابنا عمه يحيى وعبد الواحد ابنا أبي بكر بن محمد بن ثابت قد سارا الى (أبي فارس عزوز الحفصي) واستنجداه على ابن عمهما علي هذا ، فسار عزوز أبو فارس الى طرابلس في العساكر وظفر بواليها علي بن عمران وقبض عليه .

ولاية يحيى بن أبي بكر بن ثابت

وولى يحيى بن أبي بكر بن محمد بن ثابت وعقد لأخيه عبد الواحد على الجند وقررهما على ولاية طرابلس وانقلب راجعاً الى تونس . ثم علم الأمير (أبو فارس عزوز) أنهما لا يقدران على حفظ الايالة من الافرنج فسار في سنة (٨٠٣) ثلاث وثمانمائة الى طرابلس وقبض على أميرها يحيى المذكور وملكها من أيدي بني ثابت بن عمار . وبذلك كان انقراض امرة بني ثابت بن عمار .

ولاية عبد العزيز

وولى عليها من قبله عبد العزيز أحـــد ثقاته من رجاله وانقلب راجعاً .

أبو سمير عبيد بن يعيش الغرياني

كان من خواص الشيخ الجديدي الذي خلفه في مكانه على زاويته . وكان يحفظ بعض القرآن . وكان شيخاً صالحاً فاضلاً نفاعاً لخلق الله له خلق حسن . وكان يقول : ما اهتممت قط من غداء ولا عشاء . وكان الجديدي يقول : « عبيد راجلنا دنيا وأخرى » وكان يتصرف فيـــه تصرف المالك في ملكه . وحدث الحاج مبارك بن سالم الهيشري قال : قال لي الشيخ الجديدي : رأيت في منامي « كأني مقـــدم في سفينة وعبيد الغرياني في مؤخرها » فتأولته أني أموت وهو يرثني . فقلت بعد ذلك لعبيد المذكور كيف كانت معرفتك ؟. قال : « جئت من جبل غريان لقصر المستنير وكان فيه الشيخ عمر بن محفوظ الغرياني فأقمت عنده أزيد من عام فرأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي : ما يفتح الله عليكم إلا على يد سيدي محمد الجديدي !. فقيمني ثلاث مرات ثم في الرابعة رأيت صفته وحاله وما عرفت أين هو فقصدت الجديد بين الذين في بلده « فحقة » فلم نر صفته فيهم فقلت : سبحان

الله !.. هذا الذي جاءني شيطان ؟.. ثم قلت : بعد أن حصلت ها هنا ندخل القيروان ونزور من بهـــا . فلما دخلت من باب تونس واذا بصبيان يلعبون ورجل خلفهم قاصداً لجهة الباب فعرفت أنه صاحبي فقلت لصبي : مـــن يكون ذلك الرجل ؟.. فقال : سيدي محمد الجديدي ! . فجئت اليه وقابلني وقابلته وقال لي : جئت ؟.. وأخذ بيدي ومشى معي لموضعه » .

وحدث الفقيه أبو عبد الله محمد بن الشيخ سليمان النفوسي البربري ، قال : جئت مـــن « قفصة » بزيت وزيتون فيه فلقيني الشيخ عبيد الغرياني فقال لي : جبت لي مطراً زيتاً وشيئاً مـــن الزيتون فيه . وأوصلته لداره . فوصلني من عنـــده بسببه سبعة أمطار زيتاً وديناراً ذهباً .

وله من الكرامات مالا يحصى ، وتوفي رحمه الله تعالى عام خمسة وثمانمائة ودفن بالزاية وقبره مزار ...

•

[رجع] ولم يزل عبد العزيز والياً بطرابلس الى أن توفي سنة (٨٢٣) ثلاث وعشرين وثمانمائة .

ولاية محمد المنصور ابن أبي فارس

وولى محمد المنصور ابن أبي فارس عزوز وولي عهده وأقام بطرابلس

والياً الى ان مات في رجب سنة (٨٣٣) ثلاث وثلاثين وثمانمائة لعشر سنين من ولايته وحمل نعشه الى تونس ودفن بتربة آله جوار الولي الصالح سيدي محمد بن خلف .

ولاية أبي حمد بن عبد الواحد

وعقــد أبو فارس عزوز لأبي محمد بن عبد الواحد على ايالة طرابلس فقدمها وتسلم زمام الأمر فيها وشمر عن ساعد الجد والاجتهاد فيما يؤول لاستتباب الراحة وتعميم الأمن في كافة انحاء الولاية وصرف أنظاره الى أعطاف الذئاب العاوية من أعراب فلاتها وقطع دابر المفسدين فعم الأمن والعدل .

واستمر الأمير أبو فارس عزوز في امارتــه الى أن توفي سنة (٨٣٧) سبع وثلاثين وثمانمائة وولي حافده (محمد المنتصر بن محمد المنصور) ثم مات في صفر سنة (٨٣٩) تسع وثلاثين وثمانمائة وقام بالأمر بعده شقيقه (عثمان) .

واستمر أبو محمد عبد الواحد والياً على طرابلس الى أن هلك بها في سنة (٨٥٨) ثمان وخمسين وثمانمائة .

ولاية أبي بكر بن عثمان

وفي هذه السنة عقد عثمان بن محمد المنصور لابنه أبي بكر على

ولاية طربلس واستمر والياً علياً عليها الى سنة (٨٩٣) ثلاث وتسعين وثمانمائة ولم يحدث بالايالة في خلال هذه المدة ما يغير صفو الأمن بما مهد له سلفه .

وفي أواخر رمضان من هذه السنة نزل عثمان بن محمد المنصور من ولايته لحافده (زكرياء بن محمد المسعود) هذا وعدل عن ولده أبي بكر والي طرابلس ثم ثار عليه عمه أبو بكر بن عثمان المذكور وطلب من أهل طرابلس الولاية لنفسه وجرت مقتلة عظيمة ، آلت الى القبض علـى (ابي بكر) وبعثه لابن أخيه (زكرياء بن محمد المسعود) فحبسه بتونس ثم قتله .

ولاية محمد بن الحسن

وانتزى « بنو غراب » علـى طرابلس وقدموا محمد بن الحسن لولايتها . وكان عاجز الرأي ، ضعيف الشكيمة ، خفيف القياد ، واهي العزيمة .

فاستضعفه « بنو غراب » واستبدوا عليه فكان التصرف التـام لهم ولم يكن له معهم الا الاسم . وكثر عيثهم ومرج أمر الناس . — فبعث زكرياء المسعود اليهم (أبا البركات السلياني) في العساكر فحاصر طرابلس براً وبحراً نحو سبعة أشهر . وضاق الحال وسفكت دماء فامتعض لذلك الشيخ العارف سيدي (خليفة أبو غرارة) رحمه الله تعالى .

قال الأستاذ (محمد الخروبي) أن الشيخ خليفة عرارة أمر أصحابه أن يجعلوه على نعش، ففعلوا، وأمرهم أن يذهبوا به الى محلة (المنفذ) فذهبوا به وهو في النعش على رقاب الفقراء فلما سمع بقدومه (المنفذ) سار اليه فلقيه وقبل يديه فقال له الشيخ : — يا أبا البركات ؟.. أرحل عن هذه البلد فقد ضيقت بالمسلمين !!. فقال له : — يا سيدي لا اذن لي من الامير . فأعاد عليه ثلاثا أو أكثر وهو يجيبه بما أجاب به أولا . فقال الشيخ لاصحابه ردوني الى النعش واحملوني ففعلوا فلما استقر أشرف منه على المنفذ وقال له : « اذا لم ترحل عن البلد كما أمرتك !.. ترجع إلى أهلك كما أرجع الى أهلي !.. » فما مضت أيام قلائل الا ومات المنفذ وحمل في تابوت الى تونس وبموته تفرقت العساكر وارتفع الحصار وتمهد الهناء .

وأخذت السكنة في تعاطي أسباب الثروة والغناء من التجارة والزراعه فنمت زراعتهم وربحت تجارتهم وأقبلوا على انواع اللذات واستطابوا خفض العيش وتركت الحامية السلاح حتى كان ذلك سبباً لطمع العدو فيهم وكان من أمرهم ما يأتي ذكره ...

في تاريخ طرابلس الغرب

قال في « كفاية المحتاج ، لمعرفة من ليس في الديباج » .

الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق اليزليتني القروي عرف بحلو الوامح .

قال السخاوي : ذكره تلميذه أحمد بن خاتم : أنه كان حياً عام (٨٩٥) خمسة وتسعين وثمانماية لا تقصر سنه عن ثمانين سنه . ولي قضاء « طرابلس » ثم عزل . ورجع لتونس فتولى مشيخة المدارس عوضاً عن ابراهيم الأخضري وهو أحد الائمة من حفاظ فروع المذهب .

شرح مختصر خليل ، وجمع الجوامع ، والتنقيح ، واشارات الباجي ؛ وعقيدة الرسالة ؛ انتهى .

قلت : لـه شرحـان على « خليل » الكبير في ستة أسفار فيه تحرير وابحاث يعتني بنقل (بن عبد السلام) و (التوضيح) و (ابن عرفة) . ويبحث معهم احياناً .

و (الصغير) في سفرين و (شرحان على السبكي) و (مختصر فتاوى البرزلي) في سفر . أخـذ عنـه وعن الامامين (ابن عمر القلشاني) و (قـاسم العقباني) و (ابن ناجي) وعنه (الشيخ زروق) .

[فائدة] من أبحاثه : مـا ذكره من قول (خليل) في الشهادة (ولا عالم على مثله) لـما حكى (ابن عات) عـن (الشعباني) توجيهه بأنهم يتحاسدون والحسود ظالم لا يقبل على من ظلمه .

ثم قال : هذا كلام ساقط ، باطل ، متناقض ، لأنه وصفهم بالظلم . وشهادة الظالم لا تجوز مطلقاً .! لأن الظلم فسق مانع من الشهادة .

فينقض ما جوزه أولاً من شهادتهم في كل شيء ، ورد شهادتهم مطلقاً ؟.. لا قائل به !..

وايضاً !.. ان أراد قائله : (مرتبة ذلك بينهم) فلا يختص بهم ؛ (أو العموم) فعارض بادلة الشرع . ولا احسبه يصدر من عالم . ولعله وهم من ناقله : ولأن قائله ان كان عالماً ؟.. فقد دخـــل فيه !.. والا ؟.. فلا عبرة به فيما يخرج نفسه منهم ؟..

فكيف تصح هذه الأقبوحة اليهم ؟.. مع ان أدلة الشرع طافحة بشرف أهل العلم كآية (ثم أورثنا الكتاب) . وحديث (ألعلماء ورثة الأنبياء) وحديث (يحتمل هذا العلم من كل خلف عدو له) .

ولم يزل الشيوخ ينكرون هذا الكلام قديماً وحديثاً وتأويل ذلك وحمله على ما ثبت بينهم بعيد لعدم اختصاصه بهم ؛ فياليت خليلاً لم يذكره !!. انتهى .

الشيخ يوسف الجعراني المسلاتي

الورع الزاهد الولي الناصح العارف الصالح ذو الكرامات العجيبة والاحوال البديعة والقصائـــد الانيقة الأستاذ يوسف بن علي الجعراني المسلاتي .

كان رحمه الله تعالى اماماً في علوم القرآن مقدماً في علوم اللسان وله عدة تواليف منها (شرح القرطبية) و (شرح الاجرمية) ونظمها نظماً لطيفاً وغير ذلك من تواليفه التي تشهد بفضله . وضريحه ببلدة

(مسلاته) بقرية القصبات من عمل طرابلس .

قال الشيخ (عبد السلام بن عثمان بن عز الدين) قد زرته واطلعت ببلده على وثيقتين فيهما شهادة العدول ان الشيخ ابا القاسم بن الشيخ يوسف هذا ولد مكتوباً على بطن ذراعه الايمن (محمد) بقلم القدرة وتاريخ احدى الوثيقتين سنة (٨٢٠) عشرين وثمانمائة فيعلم من ذلك تاريخ عصره .

العارف اسماعيل بن يربوع

الأستاذ البركة الولي الصالح شيخ زمانه وواحده الجامع بين الشريعة والحقيقة العارف بالله تعالى سيدي اسماعيل بن يربوع صاحب الزاوية الغربية معدن الأسرار القدسية .

كان رحمه الله تعالى من كبار الصوفية صالحاً ورعاً صاحب فيوضات وظهرت له كرامات وخوارق عادات في حياته وبعد الممات وضريحه بداخل الثغر معروف ويتوسل ببركته كل ملهوف .

ومن كراماته ما أخبرني به الوالد رحمه الله تعالى قال : « بينما نحن نقرأ القرآن العظيم على الحافظ (الفقيه محمود) الخطيب بجامع الدرج الكائن بجوار ضريح الشيخ واذا برجل حسن الهيئة وعليه وقار راكبا على فرس من جياد الخيل قد وقف بباب الكتاب الكائن بفناء ضريح هذا الاستاذ وخاطب الفقيه بقوله « يا فقيه محمود (سرح الأولاد) أي ائذن لهم بالرواح الى منازلهم ! » ففعل ؛ وجلس الفقيه

للمطالعة حسب عادته . فقال له : ولا بد ان تخرج انت سريعاً ؟..
فخرج جبراً لخاطره ، فبوقت خروجه من الكتاب سقطت قبة الكتّاب
باجمعها فكان هذا الرجل سبباً لنجاة من ذكر . ثم التمس هذا الرجل
لأجل التبرك به فلم يوجد له اثر فعلمت الناس ان هذا من كرامات
الولي الصالح سيدي اسماعيل رضي الله عنه ونفعنا به .

الاستاذ عبد الرحمن الغرياني

عبد الرحمن الغرياني الطرابلسي محشّي « المدونة » أخذ عن تلاميذ
(ابن عرفة) (كيعقوب الزعبي) وغيره .

قال (الشيخ حلولو) : له معرفة بالفقه انتهى .

وذكر في حاشيته عن شيخه (الزعبي) عن (ابن عرفة) أنه قال :
« لا يجوز لأحد يقف على نص ابن رشد في مسألة ويأخذ بقول
(اللخمي) » فأنكره على ابن عرفة فذكره انتهى .

قلت : في هذا الذي قال ابن عرفة وان كان له وجه ما لكن
لا يوافق عليه . فقد مشى (خليل) في مختصره في عدة مواضع على
كلام اللخمي دون ابن رشد مع وقوفه على كلامه ونقله له في توضيحه
كقوله في الجنائز « في الصنف ايضاً الصف » وقد ذكر كلامهما في
التوضيح وله مثله في مواضع . انتهى من (كفاية المحتاج) .

●

الاستاذ عمر المسراتي

هو عمر بن ابراهيم المسراتي ابو علي . اخذ عنه (ابن ناجي) ونقل في (شرح المدونة) .

•

الفقيه عبد الله الغرياني

قال ابن ناجي : صاحبنا الفقيه الحاج أبو محمد أخذ عن عيسى الغبريني المتوفى سنة (٨١٦) ست عشرة وثمانمائة انتهى .

•

الاستاذ عمر بن محمد السوكني

قال في كفاية المحتاج :

عمر بن محمد بن احمد بن خليل السوكني أبو علي نزيل تونس الفقيه الأصولي العالم السني .

ألف كتاب التمييز لما أودع الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز و (جزء الطبقات في البدع) .

•

الفقيه محمد الغرياني

محمد الغرياني التونسي أبو عبد الله . وصفه (البرزلي) بالفقيه العدل المدرس . انتهى .

وقع له نزاع مـــع (ابن عرفة) فيمن قال لرجل « انا عدوك وعدو نبيك ... » فأفتى ابن عرفة منتقص يقتل بلا استتابة . وأفتى هو بأنه مرتد واختاره الأبي وله بحث مـــع ابن عرفة في ذلك . انتهى من (كفاية المحتاج) .

*

العارف بالله أحمد زروق البرنسي

قال في كفاية المحتاج ، لمعرفة من ليس في الديباج :

أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي عرف بزروق . الامام ، العلامة ، المحدث ، الفقيه ، الصوفي ، الولي ، الصالح ، القطب ، الغوث ، العارف بالله ، الرحالة ، المشهور شرقاً وغرباً ، ذو التآليف العديدة المفيدة ، والمناقب العتيدة الحميدة .

ولد كما قال هو : يوم الخميس عند طلوع الشمس ثامن وعشرين من المحرم عام (٨٤٦) ستةٍ وأربعين وثمانمائة . وتوفي ابواه قبـــل

السابع فكفلته جدته ، فحفظ القرآن وتعلم الخرازة ، ثم اشتغل بالعلم في السادس عشر من عمره فقرأ الرسالة على (أبي عبد الله الفخار) وعلى (الشطي) بحثاً وتحقيقاً . ثم اخذ عن (القوري) و (الزرهوني) و (المجاصى) والاستاذ الصغير والتصوف عن (عبد الرحمن المجدولي) و (القوري) وقرأ عليه البخاري وأحكام عبد الحق الصغرى وشمائل الترمذي وغيرهم .

وصفه (ابن غازي) بالفقيه ، المحدث ، الفقير الصوفي ، الصفي البرنسي ، بضم النون بعد الراء – نسبة لبعض العرب بالمغرب انتهى .

ومن شيوخه (عبد الرحمن الثعالبي) و (المشدالي) و (ابراهيم التازي) و (حلولو) و (الرصاع) و (الخدري) و (أحمد بن سعيد الحباك) و (ابن معدي الملواسي) و (السنوسي) و (التونسي) .

وأخذ بالمشرق عن (النور السنهوري) والحافظين (عثمان الديمي) و (السخاوي) والوليين (أحمد بن عقبة الحضرمي) و (الشهاب الأبشيطي) وآخرين .

وله تآليف كثيرة مختصرة محررة محققة مفيدة « كشرحي الرسالة » و « شرح الأرشاد » و « شرح مواضع من مختصر خليل » رأيتها بخطه و « شرح القرطبية » و « الوغليسية » و « الغافقية » و « العقيدة القدسية ، للغزالي » و نيف وعشرين شرحا ، على « الحكم ، لابن عطاء الله » وقفت منه على السابع عشر والخامس والرابع عشر و « شرح حزب البحر » و « شرح مشكلات الحزب الكبير » و « شرح حقائق الامام المقري » و « شرح قطع الششتري » و « نونيته »

و « شرح الأسماء الحسنى » و « شرح المراصد » لشيخه (ابن عقبة) و « النصيحة الكافية » و « مختصرها » و « اعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين » و « قواعد في التصوف » في غاية النبل والحسن و « النصح الأنفع » و « الجنة للمعتصم من البدع بالسنة » و « عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق » و « حوادث الوقت » كتاب جليل فيه مائة فصل في بدع فقراء الوقت و « تعليق لطيف على البخاري » في ضبط الألفاظ وجزء صغير في « علم الحديث » و « رسائل كثيرة لأصحابه » في آداب ومواعظ وحكم ولطائف.

وبالجملة فقدره فوق ما يذكر فهو آخر الأئمة الصوفية المحققين، الجامعين للحقيقة والشريعة، له كرامات، وحج مرات.

وأخذ عنه خلق (كالشهاب القسطلاني) و (الشمس اللقاني) و (الحطاب الكبير) و (طاهر القسنطيني) وآخرين.

توفي ببلاد « طرابلس الغرب » في صفر سنة (٨٩٩) تسع وتسعين وثمانمائة.

وتنسب له قصيدة على منهاج القصيدة الجيلانية وهذا لفظها :

انا لمريدي جامعاً لشتاته اذا ما سطا جور الزمان بنكبة
فان كنت في كرب وضيق ووحشة فناد ايا زروق آت بسرعة
فكم كربة تجلى بمكنون عزنا وكم طرفة تجنى بأفراد صحبتي

وقد ذكرنا في الأصل شيئاً من كلامه. ويذكر عن شيخه

سيدي الزيتوني انه قال فيه : رأس السبعة الأبدال نفعنا الله بـه انتهى .

قلت : وله « كتاب فتح المواهب ، وكنز المطالب ، في الشبيه على بعض ما يتعلق بصدور المراتب ونيل المراغب » و « الكناش » و « الرحلة » .

الولي الصالح سالم المشاط

وفيهـا توفي الامام الشهير الكرامات ، الكبير المقامات ، شيخ السالكين ، وقـدوة العارفين ، وعمدة المحققين ، سيدي سالم المشاط رحمه الله تعالى ونفعنا به . ودفن بداخل مدينة طرابلس مما يلي السور البحري قريباً منه . وضريحـه ظاهر يقصد للزيارة ، والدعوات فيه مشهورة الاجابة .

قال في فتح العليم : ان الشيخ سيدي (عبد السلام الأسمر) رضي الله عنه يكثر من التوسل بسيدي سالم المشاط في مقطعاته ولا سيما في مقطعته المشهورة بالسلسلة . قال : وقد سمعت الشيخ العارف سيدي (أبا راوي) رحمه الله يقول ، أنه ما ذكر فيها الا من بلغ القطبانية العظمى . رحم الله الجميع ونفعنا ببركاتهم واسرار علومهم . [رجع]

استيلاء الاسبانيول على طرابلس

فبينا أهل طرابلس في أرغد عيش وأهنأه ، قد استأثروا مهاد الدعة

واستطابوا خفض العيش ، وطال نومهم في ظل الغرف والسلم فاستوت الحامية والرعية ، وتشابه الجندي والحضري ، اذ قدمت سفن النصارى الاسبانيول تجاراً بسلع كثيرة فنزلت بالمرسى فخرج اليهم رجل من التجار فاشترى منهم جميع ما بأيديهم من السلع ونقد لهم ثمنها ، ثم استضافهم رجل آخر فصنع لهم طعاماً فاخراً ، فلما أخرج لهم الطعام أخذ ياقوتة ثمينة فدقها دقاً ناعماً ورشها على طعامهم . فبهتوا لذلك فلما فرغوا قدم لهم بطيخاً أخضر ، فطلبوا سكيناً لقطعها فلم توجد في داره سكين ولا عنـــد جاره ، الى ان خرجوا الى السوق فأتوا بسكين . فلما رجعوا الى بلدهم سألهم مالكهم عن حال البلد التي قدموا منها ، فقالوا : ما رأينا بلداً اكثر منها مالاً واقل سلاحاً وأعجز أهلاً عن مدافعة عدو . فحكوا له الحكايتين فتأهب للاستيلاء عليها وارسل اساطيله واستولى عليها وذلك سنة (٩١٦) ست عشرة وتسع مائة ، ولم ينج من اهلها الا من تسور ليلا . وانحاز المسلمون الى (تاجوراء) و (جبال غريان) و (مسلاته) وصارت المدينة للنصارى الى ان كان من أمرها ما يأتي ذكره !..

ذكر ظهور آل عثمان في أفق الخلافة

ولما أراد الله بأهل الأرض احساناً ، وافضالاً . وقدر ظهور العدل فيهم اكراماً ، واجلالاً . وقضى باطفاء نيران الظلم ، والفتن . وقمع مواد الفساد والمحن ، وتأييد دين الاسلام . وتقوية أهـــل السنة ،

المتمسكين بسنن سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات والسلام ، اطلع في أفق الخلافة العظمى ، شموس الايادي العثمانية ، وأسطع في أوج سماء السلطنة الكبرى ، بدور المعدلة الخاقانية ، وكانوا مطهراً لقول من يقول للشيء كن فيكون ، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون ، واستولوا بتأييد الله ونصره ، على شام البلاد ومصره ، ورحم الله من قال :

هم معشر كلهم غازٍ وكلهم خير الملوك صناديد الصناديد
أولئك الناس ان عدوا وان ذكروا ومن سواهم فلغو غير معدود
لو خالدَ الدهر ذا عز لعزته كانوا أحق بتعمير وتخليد

خلد الله ملكهم العثماني مد الزمان ، وأبقى ملك الارض فيهم وفي عقبهم الى انتهاء الدوران ، آمين .

وفد أعيان طرابلس الى دار الخلافة

ولما تفاقم الخطب على أهل طرابلس واستفحل أمر ما نزل بهم من فتنة الاسبانيول ومغالبتهم على حاميتها وطلوعهم على أهلها بسوم الخسف ، انتدب جماعة من أهلها سكنة تاجوراء ووفد وفدهم الى دار السعادة العلية مستنجدين بالخلافة الاسلامية وكان ذلك سنة (٩٢٦) ست وعشرين وتسعمائة .

ذكر خلافة أمير المؤمنين السلطان الغازي

وكان الخليفة في هذا العصر السعيد من ملكه الله تعالى أعظم الممالك ، وفتح على يده أكثر الأمصار والبلاد بالسيف الصارم ، الحاسم مواد الظلم من كل ظالم ، الناشر جناح الأمن والأمان ، على أهل الايمان ؛ السلطان الأعظم ، والخاقان الأفخم ، فخر السلاطين آل عثمان ، السلطان الغازي (سليمان) خان الأول . ابن ياوز السلطان (سليم) خان الأول . بن السلطان (بايزيد) خان الثاني . بن السلطان الفاتح (محمد) خان الثاني بن السلطان (مراد) خان الثاني الجلبي . بن السلطان (محمد) خان الأول . ابن ييلديرم السلطان (بايزيد) خان الأول . بن خداوندكار السلطان (مراد) خان الأول . بن السلطان (اورخان) خان الغازي . بن السلطان الغازي (عثمان) خان الاول . بن (أرطغرل) . بن (سليمان) شاه . تغمدهم الله بالرحمة والرضوان ، وحفهم بروايح الروح والريحان ، وكان جلوسه على سرير الخلافة العظمى في شوال سنة (٩٢٦) ست وعشرين وتسعمائة . وكان رحمه تعالى رفيع القدر حسن الطبع في الحرب والسلم ، موصوفاً بالعلم والحزم ، مؤيداً في حروبه ومغازيه ، مشهوراً في وقائعه ومراميه ، أيان سلك ملك ، وأنى توجه فتح وفتك ، وصلت سراياه أقصى الشرق والغرب ، وفتح البلاد الشاسعة بالقهر والحرب ، وأسس قواعد الدولة العثمانية بسن القوانين ، ومهد الممالك ، ولين الجموحات ، وأمن السالك ، مع الفضل

الباهر ، والعلـم الزاهر ، ان نظم نضد عقود الجواهر ، أو نثر ، نثر منثور الأزاهر ، أو نطق قلد الاعناق الدر الفاخر .

[رجع] فعرض اولئـك الوفـد استرحامهم على أعتابه الشريفة السلطانية وأوضحوا مـا نزل بهم مـن البلاء الناشىء عن سوء تصرف ولاتهم ، فوسعهم بـراً ، وتكرمة وتوجهت عواطفه السنية الى اغاثتهم ونجدتهم .

ولاية مراد اغا

وسنحب ارادته السنية بتولية (مراد أغا) عليهم . وكان مراد أغا هذا من أغوات الحرم الذين نشأوا بالسراية السلطانية . وكان يحسن اللغة العربية وله كفاية فيما يقلد اياه وشهامة فيما يستعان به .

فسرحه (أمير المؤمنين) مع الوفد في خف مـن العساكر لأن أولئك الوفد سهلوا الأمر ، وجـاء فيمن معه الى قرية (تاجورآء)[1] ونزل بها .

ثم حاصر طرابلس ولم يتيسر فتحها بما لديه من العساكر .

وفي سنة (٥٧) سبـع وخمسين التمس المدد . ثم أسس طابية صغيرة بين طرابلس وتاجورآء للمدافعة ووجه أنظـاره لتمهيد الوطن

(١) قرية بقربه من طرابلس على اثني عشر ميلا من شرقيها .

بكمال الحزم ، وأرسل العمال ، وأمن السبل ، وبسط في الناس العدل ، وقام بالأمر أحسن قيام ، وأسس (الجامع الكبير) بتاجوراء و (المدرسة) المعروفة به وأوقف عليها اوقافا جمة .

وفي هذه السنة غزا اهل نابولي وجنوه (المهدية) واخذوا ما فيها وتفرق أهلها وهدموا أسوارها . ثم اقلعوا عنها وتراجع اليها بعض أهلها .

ثم أنوا جزيرة جربة واستولوا عليها وامتلأت أيديهم من مغانمها فسرح لهم (أمير المؤمنين السلطان سليمان) قبودان البحر (سنان باشا) و (بياله باشا) و (طورغود بك) في الأساطيل ولحقوا بالعدو وأوقعوا به وشتتوا أساطيله وافتكّوا منهم (جزيرة جربة) بعد حصار ثلاثة أشهر . وأخذوا حاكمها أسيرا .

ثم في سنة (٩٥٨) ثمان وخمسين وتسعمائة قدم منها طورغود بك الى طرابلس في مائة وعشرين أسطولا وحاصروها فتيسر فتحها والاستيلاء عليها بسهولة ونزل واليها (مراد أغا) بقصر الحكومة فيها وصفا له الجو وشرع في ترتيب الأمور .

ولما تمهد الهناء فيها رجع الرئيس (طورغود بك) الى دار الخلافة . ثم قدم في الأساطيل السلطانية سنة (٩٦٢) اثنتين وستين وتسعمائة الى جزيرتي (ميروقة) و (قوريسقة) وأوقع بهما ولحق بالقبودان (بياله باشا) و (جزاير بكلر بكى صالح باشا) وقدموا (بجاية) وتيسر فتحها . ثم فتح (وهران) و (بنزرت) وصدوا أساطيل اسبانيا عن الهجوم على بلاد المغرب ثم رجع لدار الخلافة بغنائم وافرة .

ثم في سنة (٩٦٤) أربع وستين وتسعمائة توجه بالاسطول الذي

كان يومئذ في (بحر طيش) لاصلاح تلك الجهة وتملكها ودفع المتغلبين عليها . وقدمَ (مسقط) و (هرمز) فكان له غاية النصر والاستيلاء والتمكين . وأوقع باساطيل (البرتقيز) التي كانت ببحر عمان تقطع البحر وتغير على بلاد الاسلام وشتتها ، فاشتهر هذا الهمام بما أبرزه من الشجاعة والبسالة في هذه الحروب وأحرز رتبة (طرابلس غرب بكلربكي) وكان من أمره ما يأتي ذكره :

الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحطاب

قال في كفاية المحتاج : محمد بن عبد الرحمن بن حسين أبو عبد الله الرعيني شهر بالحطاب . أندلسي الأصل ثم طرابلسيه وبها ولد . تفقه على محمد الفاسي وأخيه في المختصر ثم قدم مع أبويه وأخويه الى مكة سنة (٧٧) سبع وسبعين وحضر عند (السراج معمر) في الفقه وجلس للإقــــراء في الفقه ، والعربية ، ولد وقت صلاة الجمعة في العشر الأخير من صفر سنة (٨٦١) احدى وستين وثمانمائة انتهى من السخاوي .

قلت : وأخذ أيضاً عن (السنهوري) و (عبد المعطى بن خطيب) و (العلمي) و (محمد بن أحمد السخاوي) قاضي المدينة والامام (زروق) و (الحافظ أبي الخير السخاوي) و (الشمس المراعني) وغيرهم ، ذكر ذلك ولده العلامة محمد الحطاب .

واخذ عنه ولداه وغيرهما وكان حيا في حدود سنة (٩٤٤) أربع وأربعين وتسعمائة انتهى .

واثنى عليه العلامة (محمد الخروبي) رحمه الله بقوله : ربانا أحسن تربية . وأدبنا أحسن تأديب . واجتهـــد في تعليمنا . وكان يقوم بشؤوننا . وكان يتحفنا بخدمة الصالحين وموالاة الفقراء ويقول « من خدم شيخا كبيرا لكبر سنه قيض الله له من يخدمه في آخر عمره » وانا وجدنا بركة ذلك وثمرة خدمتنا لأولياء الله ولعبيد الله . فوفى الله لنا المكيال . وأمال الينا قلوب الرجال . فكنا اذا أمرنا أطعنا . واذ أردنا أعطينا . واذا استشفعنا قبلنا . ولله الحمد والشكر .

وكان هذا السيد من أصحاب الوالد رحمه الله تعالى ومن تلامذته رحمهم الله جميعاً ، وكان هذا الشيخ كثير العبادة شديد الورع زاهداً عالماً عارفاً بالله تعالى ، له تطلع في علم التفسير ، وأكثر كلامه فيه بالمواهب الربانية . والحقايق العرفانية . والنكث الصوفية . اذ كان له قدم فيه .

وكان دائم الاهتداء ، شديد الاقتداء : في الاقوال ، والأفعال ، والاحوال ، في العادات ، والعبادات ، حتى كان رضي الله عنه وأرضاه يقتدي برسول الله (صلى الله عليه وسلم) في لباسه ، وعمامته ، ومشيته ، وجلوسه ، وأكله ، وشربه ، وفي جميع شؤونه .

وكان يحض أصحابه على ذلك ويعلمهم عمامة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومشيته ، وجلوسه ، وأكله وشربه ، وجميع أفعاله : ويقول « الخير كله في ذلك » وأمـــا العبادات : فكان أشد الناس فيها تعليما للأمة وأحرصهم الى ذلك . حتى كان يسير بأصحابه الى البحر ، ويتجرد حتى يكون في (ميزر) ويعلمهم كيفية (الوضوء)

و (الغسل) بالفعل بعد القول . كل ذلك حرصاً على تعليم الخلق دين الحق وتأدية الأمانة .

وكان هــذا السيد : مهاباً ، وقوراً ، صموتاً ، دايم الذكر ، ملازماً للخلوة ، الا اذا خرج للتفسير أو تقرير كلام القوم واظهار معاني حقائقهم ، وشرح ما أشكل من عباراتهم ، وبيان مــا غمض من أشاراتهم .

وله في هــذه الطريقة أشياخ عظام منهم الولي العارف القطب سيدي (احمد الدهماني) الطرابلسي وهو عنده العمدة . ومنهم مولاي الوالد ومنهم الشيخ العالم العلامة . العالم بعلم الشريعة . الماهر في علم الحقيقة . المتضلع مــن المعقول والمنقول . سيد أفريقية وعالمها (أبو عبد الله البكي) التونسي رضي الله عنه .

وكان هذا السيد يستعمل السماع لكن بشرطه ، ومع أهله ، وفي محله . ويقال بمحضره كلام الوفائية ، ومقطعات الششتري ، والبراوي ، وكلام أبي المواهب . وينشد في مجلسه كلام (ابن الفارض) وأمثاله فيزيل ما في كلام القوم من الاشكال ، وينفي ما فيه من الابهام ، ويشرحه على طريق جامع للشريعة والحقيقة ، فلا يجد في كلامه ما يرده عليه المعترض .

وكان يقسم السماع على ثلاثة أقسام : فمجلس لا يحضره الا أخص أصحابه كسيدي (عبد الحميد الكمودي) ، وسيدي (عبد الحميد بن يربوع) ، وسيدي (محمد الضكاوح) ، وسيدي (الحاج قاسم بن قلاع) ، والسيد الصالح الفقير الصادق والمريد السالك ذي الأحوال

السنية سيدي (محمـــد غميض) ، والشيخ الولي العارف الغوث سيدي (خليفة بو غرارة) ، وامثـــال هؤلاء السادات الكرام ، والصالحين العظام .

ومجلس : يحضره خواص أصحابه كسيدي (محمد بن طاهر) ، وسيدي (محمد بن خروف) ، وسيدي (محمد غميض) السالف ذكره وسيدي (محمد بن مسلم) ، وأمثالهم .

ومجلس : يحضره عوام الفقراء . فهذه طريقه في سماعه .

ولهذا السيد كرامات منها ما قال لي السيد الحاج (قاسم بن قلاع) وكان من خواص أصحابه وكان من المريدين السالكين ، ومن أرباب الأحوال ، أخبرني رحمه الله تعالى انه كان مع الشيخ يوماً في مسجد سيدي (أبي يعقوب) على ساحل البحر من طرابلس قال : والشيخ ينظر في كتب له قال : فقلت في نفسي « هذا الشيخ شديد العبادة ، كثير المجاهدات ، دايم الأحوال ، ولم تظهر له كرامـــة ، يعني من خوارق العادات ؟.. قال : فبينا أنا أقول في نفسي هذا الكلام واذا بالشيخ رفع رأسه الي وقال لي : « يا حاج قاسم !.. الذي ينظر في أمر الخالق ، خير من الذي ينظر في أمور المخلوق !.. » فهذا الشيخ رحمه الله تعالى كنا تحت واسع كنفه وسديد نظره وحسن رأيه يؤدبنا بآداب الصوفية ، ويعلمنا الاحكام الشرعية ، والحقائق الاحسانية ، والنكث والدقايق والأسرار العرفانية ، الى أن قبضه الله تعالى اليه وهو راض عنا فلله الحمد والشكر .

أقول : توفي رحمه الله تعالى بطرابلس وضريحه بزاويته الكائنة بالقرب من قرية تاجوراء .

الاستاذ محمد الحطاب

قال في كفاية المحتاج : محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب ولي الله شمس الدين شيخ شيوخنا . كان اماماً علامة محققاً ، بارعاً ، حافظاً ، حجة ، ثقة ، نظاراً جامعاً ، ورعاً ، صالحاً ، معتبراً من اولياء الله . ومن سادات العلماء وسراتهم . متفنناً ، متقناً ، محصلا ، نقاداً ، عارفاً بالتفسير ، ووجوهه ، محققاً للفقه وأصوله ، ومسائله ، مستنبطاً لها ، يقيس على المنصوص غيره ، حافظاً كبيراً في الحديث وعلومه ، محيطاً باللغة وغريبها . عالماً بالنحو والصرف . فرضياً ، حسابياً ، معدلاً ، محققاً لها . اماماً مطلقاً في ذلك كله . جامعاً لسائر الفنون .

آخر الأيمة المتصرفين في الفنون التصرف التام . آخر أيمة المالكية بالحجاز .

له تواليف بارعة تدل على امامته ، وسعة حفظه ، وسيلان ذهنه وقوة ادراكه ، وجودة نظره ، وحسن تصرفه ، واطلاعه أدرك فيها فحول الأيمة (كابن عبد السلام) و (خليل) و (ابن عرفة) فمن فوقهم .

وفي الحديث عـلى حفاظه (كابـن حجر) و (السيوطي) و (السخاوي) وناهيك بذلك . أخذ الفقه وغيره عن والده (الحطاب الكبير) والعلامة (احمد بن عبد الغفار) والعارف بالله (محمد بن عراق) وروى عن الحفاظ (عبد القادر النوير) وابن عمه (المحب أحمد بن أبي القاسم النويري) و (البرهان القلقشندي) و (العز عبد العزيز فهد) و (الجمال الضاغاني) و (عبد الرحمن القابوني) وغيرهم وأجازوه .

وأخذ عنه (عبد الرحمن التاجوري) و (محمد الفيش) و (ولده شيخنا يحيى الحطاب) وشيخنا (محمد الفلاني) وغيرهم .

وله تواليف حسان أجاد فيها ما شاء . كشرحه على مختصر (الشيخ خليل) تركه مسوداً فبيضه ولده (يحيى) في أربعة أسفار كبار يدل على جودة تصرفه وكثرة اطلاعه وامامته ، لم يؤلف على خليل مثله جمعاً ، وتحصيلا بالنسبة لأوائله .

وله كتاب الحج منة استدرك فيه على خليل وشراحه وشراح ابن الحاجب وابن عرفة غيرهم وأشياء كثيرة وشرح مناسك خليل شرحاً حسناً . وشرح (قرة العين) في الاصول لامام الحرمين ، و (تأليف في مسائل الالتزام) أي الزام الرجل نفسه معروفاً سماه « تحرير الكلام » حسن في نوعه لم يسبق اليه . ومناسك سماه « هدية السالك المحتاج ، لبيان فعلي المعتمر ، والحاج » في كراريس وشرح رجز ابن غازي في نظائر الرسالة سماه « تحرير المقالة » .

و « كتاب تفريج القلوب ، بالخصال المفكرة لما تقدم وما تأخر

من الذنوب » جمع فيه بين تأليفي (ابن حجر) و (السيوطي) وزاد عليها في كراسة .

و « البشارة الهنية بأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة » و « القول المتين ان الطاعون لا يدخل البلد الأمين » و « عمدة الراوين في أحكام الطواعين » و « مقدمة بسط فيها مسائل الجرومية » و « ثلاثة رسائل في استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية بلا آلة من الآلات » كبرى ووسطى وصغرى انتشرت الوسطى و (مؤلف فيما يلزم من فضل على نبينا صلى الله عليه وسلم أحـــداً من الأنبياء والملائكة وتفضيله عليهم) و (مؤلف في استقبال عين الكعبة وجهتها والفرق بينهما) شرح به كلام صاحب الاحياء في كتاب السفر في نصف كراس مفيد (ومختصر اعراب خالد الأزهري للألفية) مع زيادة يسيرة في أربعة كراريس .

ومما لم يكمل من تواليفه (تفسير القرآن) الى سورة الأعراف و (حاشية على تفسير البيضاوي) وحاشية على الاحياء نحو ثلاثـــة أرباع الكتاب وصل فيه الى أواخر ذم الجاه . وشرح (قواعد عياض) وصل فيه الى القاعدة الثانية (وتعليق على ابن الحاجب) في بيان ما أطلقه من الخلاف وما خالف فيه على المشهور و « المذهب الى سنن الصلاة » . وتعليق على مواضع من اثنائه . و « جزء المسائل التي انفرد بها الامام » وذكر فيه بعض مسائله و « جزء في مسائل لم يقف فيها على نص في المذهب » و « جزء على ما في كلام بهرام في شروحه الثلاثة من الأشكال ومخالفة النقل » كتب منه يسيراً . و « تعليق على

الجواهر الى شروط الصلاة وعلى ابن عرفة في الكلام على تعرفاته وبعض اعتراضه »، كتب منه يسيراً، و « حاشية على توضيح النحو » و « شرح » خالد الوقاد عليه . و « شرح على مختصر الحوفي الى المناسخات » . و « جزء جمع فيه المواضع التي غلط فيها صاحب القاموس صاحب الصحاح » . و « جزء في الفاظ العربية التي فسر صاحب الصحاح كل لفظ منها بمرادفه » فاستغنى بها عن التفسير كقوله : [الجدب] نقيض الخصب ... ثم قال : في [فصل الخصب] بالكسر نقيض الجدب ... ثم يفسر هو كلا اللفظتين بما قاله أهل اللغة . و « حاشية على الشامل الى شروط الصلاة » . و « حاشية على الارشاد الى الاستقبال » و « تأليف في القراءات » . و « حاشية على قطر الندى في النحو » .

ولد ليلة الأحد ثامن عشر من رمضان سنة (٩٠٢) اثنتين وتسعمائة . وتوفي تاسع ربيع الثاني سنة (٩٥٤) أربع وخمسين وتسعمائة رحمه الله تعالى . انتهى .

أقول : توفي رحمه الله تعالى بطرابلس وضريحه بداخل الثغر مشهور معظم مزار .

الشيخ عبد الرحمن التاجوري

قال في كفاية المحتاج :

عبد الرحمن بن الحاج أحمد المغربي الطرابلسي التاجوري به عرف .

قال القرافي : « شيخنا العالم الناسك ذو الحقيقة والطريق علامة الوقت في علم الميقات باطلاق .

أخذ الفقه على الأخوين (الشمس اللقاني) و (الناصر) وغيرهما . واعتنى « بالتهذيب » و « الرسالة » و « الموطأ » يدس فيها . قرأ عليه يوماً « وانه فوق عرشه المجيد » فذكر ما أجيب به من ان لفظة (بذاته) دست عليه في كتابه . فأنكره بعضهم وقال « كل عبارة عرضت يجاب عنها بذلك فلا يبقى اعتراض على عبارة » .

فغضب الشيخ ..! وقال : هذا امام مجمع على جلالته لم يوصف شيئاً مما يوهمه اللفظ .

ثم قال للسائل : تسكت والا أتكلم ؟.. وكرره . فقال الطالب : لوجه الله لا تتكلم !.. فذهب الشيخ مغضباً .

وسئل الطالب بعد ذلك فقال : خفت فوت الدرس وأنا جنب فحضرت في المسجد جنباً فزجرني الشيخ بما رأيتم .

توفي قرب الستين وتسعمائة انتهى .

قلت : لقيه والدي وشيخنا محمد لما حجّا ، وحضر شيخنا عروسه رحمه الله تعالى .

وقال في فتح العليم جاء لزيارته جماعة من حجاج طرابلس وهو مقيم اذ ذاك بمكة المشرفة فسألوه الدعاء فرفع يديه وقال : « اللهم خفف حساب أهل مصر !.. » فقاموا من عنده ولم يراجعوه لهيبته .

ثم جاءوه في اليوم الثاني وأعادوا عليه السؤال فأعاد الدعوة ثانياً ثم في اليوم الثالث كذلك . فقال له أحدهم : يا سيدي ..! انا أهل بلدك وقد قصدناك فرحين بما منحك الله به وسألناك الدعاء لبلدك وأهلها فدعوت لأهل مصر ...

فأجابه الشيخ رضي الله عنه بقوله « أهل طرابلس غير محتاجين الى الدعاء ... الذي يأكل الشعير ويلبس الصوف لا يحتاج للدعاء وانما المحتاجون له أهل مصر وغيرهم من أهل الرفاهية » . ه ا

الفقيه الطيب بن أبي بكر الغدامسي

الفقه العلامة . قال في « كفاية المحتاج » كان فقيه بلده تفقه بأبيه . وأبوه بأبي عبد الله الرصاع . وحج وتوفي بعد (٩٦٠) الستين وتسعمائة . له نظم .

الأستاذ محمد بن علي الخروبي

العالم العلم الفقيه الصوفي الراسخ الشهير العارف بالله تعالى أبو عبد الله محمد بن الفقيه الجليل العارف علي الخروبي ولد بقرية (قرقارش) [1]

---

(١) (قرقارش) قرية كائنة في ساحل طرابلس الغربي على نحو أربعة أميال منها بها خرابة قصر مبني بالحجر المنحوت وتحته مغارات كان اسمه (قره قوش) الامير المشهور عند قدومه لطرابلس واسم هذه القرية محرف عن اسم مؤسسها المذكور .

وبيته بيت علم من لدن أسلافه الكرام ، وحضر مجالس العلم والعرفان واخذ عن أساتيذ عصره ومشايخ مصره ثم ارتحل الى ثغر جزائر الغرب وأوطن بها الى أن مات سنة (٩٦٣) ثلاث وستين وتسعمائة .

وكان رحمه الله تعالى اماماً بارعاً محققاً وضاح الفهم ساطع الحاجة عباب علمي الظاهر والباطن متين الحفظ متسع المعرفة شديد الرواية معتدل الافادة ومن تواليفه (مزيل اللبس عن أدب وأسرار القواعد الخمس) وشرح (على الصلاة المشيشية) في غاية الجودة والنبل .

أثنى عليه المحقق محمد بن المدني كنون في بعض تصانيفه ووصفه أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي بأنه واسع العلم والمعرفة شهير الذكر قدم المغرب الأقصى مرتين في سبيل سفارة بين ملوك المغرب الأوسط والمغرب الأقصى فأخذ عنه كثير من أهل المغرب الأقصى ، وأخذ هو عن أساتيذ أعلام منهم أبو العباس سيدي أحمد زروق رضي الله عنه . ومنهم .

●

الأستاذ الحاج قاسم بن قلاع

قال الفاضل الخروبي :

ومن عاشرناه وصحبناه وافادنا وله علينا تربية : الفقير الصادق السالك الناسك ذو الأحوال السنية ، والأخلاق الكريمة الزكية السنية .

سيدي لحاج قاسم بن قلاع الطرابلسي منشأً ومولداً ، دفن بمدينة فاس . كان رحمه الله تعالى يوالينا ويفيدنا ويخدمنا بحرمة مولانا الوالد لأنه شيخ شيخه واقتداء بشيخه سيدي محمد الخطاب في فعله معناه . ولقد وقعت لي معه وقعة كانت بداية الخير ، وذلك انا كنا جميعاً عشية يوم من الأيام فتذاكرنا حالة (سيدنا عمر بن الخطاب) رضي الله تعالى عنه وزهده وقرأنا شيئاً من رسالة سيدي (يوسف العجمي) . وانشدنا من لامية (عمر بن الفارض) وهو قوله رضي الله عنه :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل   فما اختاره مضنى به وله عقل

فطاب الوقت وصفا وحن الروح الى أحوال أهل الوفا وفتح الباب وزال الحجاب ونادى منادي الوصال هلم وتعال فنزعت ثيابي وأجبته بلبيك ها أنا منك واليك وأخذت ثياب سيدي الحاج قاسم ولبستها ولبس ثيابي وعمدت الى دارنا فكان لي فيها بعض طعام فاخرجته وفرقته على من احتاجه . وبعت ثيابي من غير ان تعلم الوالدة رحمها الله تعالى فكانت قيمتها اثنين وعشرين ذهبا طرابلسية تزيد قليلاً او تنقص عن ذلك وكتبت في زمام كل من كانت له عندي تباعة وفرقتها كلها فمن الآخذ ومن التارك المسامح الى ان نفدت الدراهم فعلمت بذلك الوالدة وسرت بما صنعت . وهذا كله من فضل الله تعالى ومنه ، ومعرفة الصالحين وذكر احوالهم والنظر في كتبهم نفعنا الله تعالى بهم بمنه . وكان صاحب الترجمة سيدي الحاج قاسم يأتي بعض ايام ويسألني عما يخصني في الدار واذا اخبرتــــه الجأني الى روضة خارج بلد طرابلس تعرف بروضة سيدي عبد الله الشعاب ونبيت هناك في مذاكرة وعبادة

وخير ، ونرجع الى البلد وقد تأثرت قلوبنا واطمأنت انفسنا . وربما حملني الى الجامع الأعظم من طرابلس نذكر الله ونتذاكر حكاية الصالحين ومعاملاتهم ، فيأخذني البرد وانا حينئذ صبي صغير فينزع جبة له من صوف ويفرشني اياها رحمه الله تعالى وعفا عنه وأرضاه وجزاه الله خيراً كما هو اهله . فكان هذا دأبه معنا الى ان قضى الله بفراقنا ، ومنهم .

الاستاذ عبد النبي الجبالي

قال : وممن عرفناه من الصالحين وأخذنا عنه من اولياء الله المتقين الشيخ الكبير الولي الشهير فريد عصره ، ووحيد دهره ، العارف بالله تعالى القدوة مربي المريدين ، ومفيد السالكين ، ذو الكرامات الشهيرة ، والاحوال الذكية الأثيرة ، المكاشف المربي سيدي « عبد النبي الجبالي » نفعنا الله به أمين . وقفنا ببابه وتأدبنا بآدابه وخدمناه ودعا لنا بخير . وكان هذا الشيخ كثير الاتباع ، عام الانتفاع ، ذكي الطباع ، له احوال سنية ، وافعال ذكية ، وكرامات ، وخوارق عادات ، ذا هيبة عند الأمراء يعظمونه ويقومون اجلالاً له فأمره عندهم مطاع .

ولقد وقعت لي معه وقعة ، وذلك انا لما صافحنا شيخنا أبا عبد الله (محمد بن عبد الله الشهير بزيتون) اعاد الله علينا من بركاته لقنت ذكراً وارسلنا الى هذا الشيخ سيدي (عبد النبي) ، وكان ببلد (زنزور) بزاوية ابي جعفر غربي طرابلس ومن احوازها . وكان شيخنا زيتون

بطرابلس فمضيت انا واخ لي في الله وهو السيد الفقيه العلامة الصالح البركة بقية السلف الصالــح سيدي « ابو بكر بن ابراهيم النفاثي » وكنت صافحت شيخنا زيتون معه في ساعة واحدة وواخى بيننا : وقال له محمد – يعنيني – يكفيك هم الدنيا وانت تكفيه هم الآخرة او العكس – الشك مني – فلما وصلنا اليه مكثنا عنده – والله اعلم – ثلاثة ايام . فلما اردنا الانصراف الى البلد والرجوع الى الشيخ سار معنا راكباً على فرسه كأنه كان مودعاً لنا ومشيعاً فلما اراد الرجوع عنا اخذت بركابه وقبلت يده فنظر الي وقال لي : يا ابن الشيخ لا ينبغي للعبد ان يطلعه الله على غيب السموات حتى يكمل اربعين سنة وهي السنة التي يكمل فيها عقل الانسان وفيها ارسل صلى الله عليه وسلم الى الناس او كلاماً هذا معناه ، فلما فتح الله علينا بما فتح ومنحنا من المواهب الربانية ما منح ، تذكرت كلام الشيخ فاذا الفتح وقع لنا في الوقت الذي أشار به الشيخ ، وكنت حين وقوع هذه الاشارة منه ابن نحو اثنتين وعشرين سنة أو ما قاربها .

ولقد التقى هذا الشيخ بشيخنا زيتون بطرابلس فلما التقيا تكلما بكلام عظيم لولا اني أخاف أن أزيد فيه أو انقص – لأني حينئذ صغير السن – لذكرته . ومنهم .

•

الاستاذ العارف خليفة أبو غراره

قال : وممن عرفناه وخدمناه وله علينا مشيخة وفينا تربية الشيخ

القطب الغوث العارف بالله تعالى ، ذو المجاهدات العظيمة ، والاحوال الزكية الكريمة ، شيخ زمانه ووحيد أقرانه ، المكاشف سيدي (خليفة ابو غراره) رحمه الله ورضي عنه وأرضاه . وكان هذا الشيخ كبير المجاهدة مسكنه بموضع قريب من بلد طرابلس بنحو ثلاثة اميال يقال له (الحارات) فكان مهاباً صموتاً وقوراً يهابه الملوك والامرء وتعظمه العلماء والفقراء ؛ وكان يحب السماع ويحضره عند شيخنا سيدي محمد الحطاب ، فاذا حضر لا يبقى احد من اهـــل طرابلس الا حضر يتبركون به ، فاذا أنشد المنشدون وقال القوال يقع صريعاً فلا يبقى فيه روح حتى نقول إنه مات ، فيبقى صريعاً ما شاء الله تعالى ، ثم يقوم كأنما خرج من القبر ؛ ويتكلم بحقائق وأمور وكان يقول « الفقير اذا غاب في الحضرة وغيبه السماع اذا لم يستفد في غيبته علوماً من الله عز وجل فغيبته كاذبة ... » ولقد شاهدتـــه مراراً اذا اخذه الحال يجعل في رقبته حبلاً ويدفعه لبعض الفقراء فيأخذه ويطوفون بـــه في الأسواق بأمره ويأمره ان ينادي « من يشتري هذا العبد السوء المفتري الكذاب الآبق من سيده ؟ » فيدفع الناس الدراهم لمن يطوف به فتجتمع منها دراهم كثيرة فيأخذها الشيخ ويدفعها للقوالين يقسمونها بينهم . وكان رضي الله عنه اذا اخـــذه الحال في بعض الاوقات يأتي البلد وهو يصيح ، فيتلقاه أهل البلد ويعلمون أنه انما جاء لأمر ظهر له ، لمـــا يعلمون من عادته ، فيتكلم بحقائق وأمور . ومنهم .

●

الولي البدل محمد شأن الشان

قال : وممن خدمناه وصحبناه وله علينا تربية ومشيخة الولي البدل سيدي محمد الشهير بشأن الشان ، كان مجدوباً من اهل الحال أطبق الناس على ولايته واجتمعت القلوب على محبته وأطلق الله على ألسنة الناس انه من الاوتاد . وكان مكاشفاً يتكلم على الخواطر فيأتي المسافرون يكلمهم بما يكون في سفرهم ويدخل عليه أناس من الآفاق فيسميهم بأسمائهم ويعرف بلد كل واحد منهم وأين مسكنه وكم اولاده ومن جاره ، ويقول لهم : رأيت في بلدكم كذا وكذا يتيما فكنا نرى انه يريد التربية الخاصة فكان يحبنا ويألف الينا وينظر من أحوالنا أنا واخوتي ؛ ويقول لنـــا : والدكم أعطاني الكلفـــة بان أربيكم . وكان ربمـــا دعاني وألبسني الثيـــاب الثمينة وأحضر آلات وجعلني أمامهم ويأمرهم أن يطوفوا بي البلد . وكان يشير الينا باشارات رأينا اثرها وظهر لنا امره وبان خبرها ، فلله الحمد والشكر . وكان رحمه الله مهاباً اذا انقبض مونساً اذا انبسط ، ولهذا الشيخ كرامات عديدة وخوارق عادات كثيرة لولا خوف الاطالة لدرجتها . ولما مات هذا السيد حضرت وفاته وختمت عليه وصاحب لي ختمة من القرآن . وليلة ان مات رأى بعض الناس ملائكة كثيرة هبطت من السماء فقالوا تهبطوا الجنازة فلان فلما صلي عليه في الجامع الأعظم حضر جميع أهل البلد فلم يبق رجل ولا امرأة ولا صبي الا وحضر الصلاة عليه ، وكنت فيمن حضر ؛ فلما صلي عليه ورفع سمع ضجة عظيمة وأصوات

كثيرة بالتهليل والتكبير حتى كأن الأرض انطبقت ، فلا شك ان الملائكة حضرت حينئذ والله سبحانه وتعالى أعلم . ومنهم

الاستاذ عبد الرحمن بن عبيد التاجوري

قال : كان يؤدبنا بآداب الفقراء ويتوسم فينا الخير ويرجو أن تكون الخلافة فينا ؛ فصحبناه زماناً وخدمناه أياماً . وكان صالحاً ورعاً متعبداً له أتباع كثيرون وأصحاب صالحون ، أخذ الطريقة عن الشيخ الصالح الولي العارف ، القطب الوارث المربي ذي الكرامات الظاهرة والخوارق الباهرة شيخ شيوخ أهل أفريقية سيدي (محمد بن أبي بكر) وهو أخذ عن سيدي (محمد الدخلي) وهو أخذ عن سيدي (فتح الله العجمي) رحمهم الله جميعهم ونفعنا بهم . وصحبنا غير من ذكر من الصالحين عدداً كثيراً وجماً غفيراً كلهم صالحون زاهدون عالمون ذوو طريق قويم وصراط مستقيم كسيدي (محمد الأندلسي) وسيدي (محمد المكاوح) وسيدي (عبد الله الكمودي) وسيدي (عبد الحميد ابن عمــه) وسيدي (محمد الصغير) وسيدي (عبد الرحمن بن ادريس) وسيدي (احمد الرجباني) وسيدي (عبد الله العبادي) وسيدي (الشيخ الولي الكامل) شيخ زمانه وواحده عملا وزهدا وتعبدا سيدي (أبو بكر المحجوب المسراتي) وابنيه سيدي (يحيى) وسيدي (أبي القاسم) وسيدي (علي بن أبي القاسم) كان فريد عصره ووحيد دهره علماً وزهداً وورعاً وتوكلاً وتجريداً حضري الطبع كثير النفع . وسيدي (محمد غميض) وسيدي (محمد بن سعيد)

والسيد الصالح الحاج (عبد الرحمن الكتفي) والسيد الصالح سيدي (عبد الرحمن بن ادريس التاجوري) والسيد الوالي الصالح البركة سيدي (محمد الصغير) من البلد المذكورة . والشيخ الصالح السيد (التيجني) وسيدي (عبد الحميد) والسيد الصالح التالي لكتاب الله سيدي (قاسم بن حمدون الأموي) وغيرهم ممن يكثر تعدادهم . وهؤلاء السادات كلهم قادة بهم يهتدى ، وبسنتهم يقتدى ، عالمون ، عاملون ، جامعون بين الشريعة والحقيقة ، ذوو صدق في الارادة ، والاستقامة في السلوك ، ولهم فضائل كثيرة ، رضي الله عنهم صحبناهم كلهم وخدمناهم وأتحفونا بأسرار شريفة ، وحقائق دقيقة لطيفة ، فلهم علينا المنة الكبرى ؛ رحم الله الجميع ، وأمدنا بأسرارهم .

العارف بالله عبد السلام الأسمر الفيتوري

الغوث الشهير التصريف الغني بشهرته عن التعريف ، قدوة العارفين ، وينبوع اليقين ، صاحب الكرامات ، عالي المقامات ، شريف العلماء ، وعالم الشرفاء ، القطب الأكبر ، والكبريت الأحمر ، سيدنا عبد السلام الأسمر ، ابن سليم ، ابن محمد ، بن سالم ، بن محمد ؛ بن حميد ، بن عمران ، بن محيا ، بن سليمان ، بن سالم ، بن خليفة ، بن نفيل السعيدي المغربي المخزومي القرشي صاحب الأسرار والأنوار المشهور بأبي مرزوق .

كان رضي الله عنه من أكابر الأولياء الأقطاب ، زاهداً ، فاضلاً ، عارفاً بربه ، لا يشق غباره في مقام التوكل ؛ وكان مبسوطاً بالقبض ، مقبوضاً بالمراقبة . وله تصاريف قوية في حياته وبعد مماته .

قال الفاضل شيخ الطريقة الشاذلية ومجمع الحقائق القدسية الأستاذ محمد ظافر في رحلته :

أنه من أهل المائة العاشرة ومن أجلّ مشايخ (الطريقة العروسية) اشتهر في زمانه وظهر بالعجب العجاب ، وعد من الأقطاب ، وقد نجح على يديه كثير من الطلاب ، له فيض كبير ، وسر واضح شهير ، وتصرف لا يجحده في زمانه المأمور ولا الأمير ، ومقام كريم ، وحال مع الله عظيم ، ونال ما ناله الصديقون من التمكين ، في مقامات اليقين .

ظهر رضي الله عنه في وقته بدعوى صادقة ، وأحوال خارقة ، يسلمها ذو القلب السليم ، بطريق العلم الالهي وفوق كل ذي علم عليم .

ولنبدأ أولاً بذكر بدايته ، وسنده في الطريقة ، وذكر أحواله ، وسلوكه ، ونصيحته ، وشيء من كراماته ، ملخصاً ومختصراً . قال العارف بالله تعالى سيدي (عمر بن جحا) رحمه الله : كان سيدي عبد السلام رضي الله تعالى عنه في ابتداء أمره يقرأ القرآن ثم قرأ العلوم على (الشيخ عبد الرحمن الوسلاتي) و (الشيخ زروق) . ولما تفقه توجه الى (الشيخ الدكالي) وقرأ عليه وأخذ عنه التصوف . انتهى .

قال سيدي عبد السلام رضي الله عنه : « ومما أنعم الله به علي اني لم افارق حلقة شيخنا الدكالي منذ عرفته الى ان مات رحمه الله ؛ وكنت أقرأ عليه « المختصر » و « الرسالة » و « مقدمة الامام الاشعري » في علم التوحيد » .

وقال رضي الله تعالى عنه تلقيت « الطريقة العروسية » عن استاذي وملاذي ووسيلتي الى الله تعالى الشيخ سيدي (عبد الواحـــد عرف الدكالي) المغربي القرشي القاطن ببلد (مسلاته) توفي بها ودفن بقرية (زعفران) خارج المقبرة القديمة رحمه الله تعالى » . انتهى .

قلت : وضريحه ببلد (يزليتن) من عمل طرابلس معروف تقصده الزوار ، من جميع الأقطار ، ولم تزل بلده هذه مأوى الصالحين ، ووكر العابدين ، من قديم الزمان .

تواتر عند أهل البلد أنها لا تخلو من سبعة من كبار الصالحين وهم على هيئه العوام في ملابسهم ومساكنهم وحرفهم الا انهم قائمون على منهاج الشريعة الغراء ، وكل من رام أهل هذه البلد بسوء يقصمه الله ولهم كرامات كثيرة وخوارق عادات شهيرة .

•

ولاية طرغود باشا

وفي سنة (٩٦٤) أربع وستين وتسعمائة قـــدم طرغود باشا الى طرابلس والياً ومعه مقدار من (العساكر اليكيجرية) وتولى زمام الامر فيها فعمر البلاد ولمّ شعثها ووضع الاستحكامات وجعل الثغر في غاية المتانـــة والقوة ، وبسط العدل وأمن البلاد وتشبث بالأسفار في اساطيله وبث السرايا على الاعداء والرجوع بأموال الغنائم فيسدد بها معاشات الجند وتعييناتهم ومصاريف الأسطول ونحوه .

ثم استدعاه أهل القيروان لما آسفهم جور صاحبها (محمد بن أبي الطيب الشابي) ، فقدم اليهم في العساكر وملك القيروان وقتل محمد بن أبي الطيب الشابي وشرد عنها أهله وحاميته من الشابيين واستخلف على القيروان (حيدر باشا) ورجع الى طرابلس .

ثم في سنة (٩٧١) احدى وسبعين وتسعمائة اتفقت حكومات (اسبانيا) و (مالطه) و (الجنويز) على مهاجمة أفريقية وضبطها وازالة الاسلام منها ، واوقع ملك اسبانيا ببلاد الجزائر واخذ منها بعض قلاع ومراكب . فغضب (السلطان سليمان) من ذلك وأرسل الوزير الثاني (اسفنديار اوغلو : مصطفى باشا) الى « مالطه » في الاساطيل ولقبه بالسردار ورفقه بالقبودان (بياله باشا) . فقدموا « مالطه » ولحق بهم (طرغود باشا) فخرجت العساكر الى البر واخذوا في عمل خنادق امام القلعة وأقاموا عليها الحصار الشديد الى ان اثخنوا بها واخذوا اسرى كثيرين . وكان قد وقع في يد حاكم المدينة اسرى من اليكيجرية فلما اجهده الحصار امر بقطع رؤوسهم ووضعها في المدافع وضرب بها المحاصرين ودارت بينهم حروب هائلة استشهد فيها (طرغود باشا) وفقد عسكر كثير فلم يكن اخذ المدينة .

فرفعوا الحصار عنها وارتحلوا وحمل الشهيد (طرغود باشا) الى طرابلس ودفن في تربته المخصوصة وقبره يزار .

ولاية يحيى باشا

وولي يحيى باشا برتبة طرابلس غرب بكلربكي فأبدى الحزم

وأمن السبل وأجرى العدل وقام بالأمر أتم قيام ؛ الا انـــه لم تطل أيامه ومات في سنة (٩٧٣) ثلاث وسبعين وتسعمائـــة لسنتين من ولايته .

ولاية مصطفى باشا

وولي مصطفى باشا برتبة طرابلس غرب بكلربكي فقدمها وتولى أمرها الى أن استدعاه (حيدر باشا) عامـــل القيروان عند قدوم (محمد بن حسن الحفصي) ودخوله تونس بعساكر الاسبانيول واشتداد الخطب على أهل تونس كما سيأتي ذكره .

خلافة السلطان سليم خان الثاني

وفي سنة (٩٧٤) أربع وسبعين وتسعمائة ارتحـــل (السلطان سليمان) الى دار الجنان ، وجوار الرحمن ، عامله الله بالكرامـــة والرضوان ، لثمان وأربعين سنة وشهر مـــن خلافته . وجلس على سرير الخلافـــة ولده (السلطان سليم خان الثاني) وكان شهماً ، شجاعاً ، وسلطاناً قاهراً ، ووجداً ظاهراً ، وسيفاً منصوراً ، تحت عدل مشهور ، وكان رحمه الله ذكياً مايلاً الى التقوى ووجوه الخير ، مهاب الشكل ، جليل القدر .

سيدي أحمد بن عبد الحميد اليربوعي الشهير ببحر السماح

قال في الرحلة الظافرية : حفظ القرآن في زاوية الشيخ (سيدي عبد السلام الأسمر) وتفقه في المختصر ، والرسالة ، على أكابر من علماء (طرابلس) وارتحل الى المشرق وأخذ الفقه على الأخوين الشمس اللقاني والناصر وغيرهما ؛ واعتنى بالتهذيب والرسالة والموطأ ؛ وحج وزار واجتمع بجماعة من أكابر (الأزهر) ، ولازم (ابن حجر الهيثمي) وتبرك بـــه وقيد عنه مسائل ؛ ثم قدم الى طرابلس واجتمع بالشيخ سيدي (عبد السلام الأسمر) وأخذ عنه وخدمه مدة وانتفع بـــه . وكان الشيخ رضي الله عنه يثني عليه ويشهد له بالصدق ويذكره دائماً بخير . وكان رحمه الله ذا كرامـــات وكشف واطلاع ؛ وكان وسيع الاخلاق لا يكاد يغضب ابداً . وكان من أهل السخا والكرم . توفي رحمه الله سنة (٩٧٩) تسع وسبعين وتسعمائـــة وقبره بمكان يسمى (ديله) مشهور .

•

[رجع] وفي سنة (٩٨٠) ثمانين وتسعمائة قدم (محمد بن الحسن ابن محمد بن الحسن بن محمد المسعودي) من آل أبي حفص ، وهو آخر أمراء هذا البيت ، وسبحان من لا أول له آخر . ودخل تونس بعساكر

الاسبانيول فخرج غالب أهلها الى (جبل الرصاص والغابات) بأهلهم وأولادهم فراراً بأنفسهم وأموالهم . واشتد الخطب على أهل تونس ولاذوا بالبوادي ونالهم من الجوع والعطش وكشف الستر وتشتيت الشمل ما هو مبسوط في كتب التواريخ . وتوجهوا الى القيروان فضاقت بهم البلاد حتى هم (حيدر باشا) عاملها بالفرار منها ، وثبطه (سيدي أحمد الرفاق) وكاتب والي طرابلس مصطفى باشا وصاحب الجزائر بطلبه الاعانة ، فأتى المدد منهما ، وتوجهوا لحصار تونس وقاتلوا يوماً واحداً فقط .

ولما طال أمر الحصار عزموا على الرحيل فأتاهم الفرج بعد الشدة بظهور عدد كثير من الأساطيل في البحر ظنوها نجدة للسبانيول فبان انها من (السلطان سليم) وبها الوزير الشهير (سنان باشا) قبودان البحر ، و (قلنج علي باشا) ، وجماعة من أعيان الأمراء والشجعان ، خرجوا من دار الخلافة غرة أشرف الربيعين سنة (٩٨١) احدى وثمانين وتسعمائة ، ودخلوا في الرابع والعشرين من الشهر . فكتب الوزير (سنان باشا) الى أمراء الجهات بخبر قدوم النجدة من (الدولة العثمانية) ، وامر كل واحد أن يحتفظ بما في يده . وأيقن الناس بالنصر وحصول اليسر بعد العسر . ونزل العسكر العثماني الى البر واعتضد الوزير (سنان باشا) (بمصطفى باشا) والي طرابلس و (بحيدر باشا) عامل القيروان ، وحاصر (قلنج علي باشا) « حلق الواد » ووالى عليه القتال الى أن أخذه عنوة وحكم السيف في أهله ، وغنم جميع ما به من العدة والذخائر والآلات . ثم جرد الوزير (سنان باشا) عسكراً لحصار تونس وأوقعوا بها ففر من بها

من الاسبانيول ومعهم محمد بن حسن الحفصي إلى « البستيون » ؛ وتملك العسكر العثماني تونس وقصبتها . ثم حاصروا « البستيون » ، وأوقعوا بهم الى أن ملكه عنوة يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الأولى من هذه السنة واستأصل أهله بالقتل .

ولما استقرت قدم (سنان باشا) المشار اليه بتونس ، وتلافى ما بقي من رمقها ، وقلع أوتاد الحفاصى من مراكزها وصفا له الجو : شرع في ترتيب الأمور وتأليف الناس ، وأبقى نحو أربعة آلاف من العساكر وعلى كل مائة منهم أمير يسمى (داي) وجعل (مير ـ لواء) لضبط أوطان المملكة واستخلاص جبايتها ويسمى (الباي) ، وهو (رمضان بن حسن) من جند الجزائر وقيل هو من مسلمة الافرنج أسلم صغيرا ، ورتب القضاة وسائر المأمورين .

ولما تمهد الهناء بتونس رجع الوزير (سنان باشا) وقبودان البحر (قلنج علي باشا) الى دار الخلافة ، و (مصطفى باشا) الى عمله بطرابلس الغرب .

خلافة أمير المؤمنين السلطان
مراد خان الثالث

وفي سنة (٩٨٢) اثنتين وثمانين وتسعمائة أفضت الخلافة بعد وفاة (السلطان سليم) خان الثاني لابنه السلطان مراد خان الثالث . وكان

وقت وفاة أبيه غائباً في « مغنيسا » فأخنوا موت أبيه احد عشر يوماً الى أن حضر (السلطان مراد) وقام بأعباء الخلافة أتم قيام .

وكان رحمه الله ملكاً جليلاً ، تربى في حجر السعادة ، واشتغل بالعلوم ، حتى حصلها وفاق فيها ، واشتغل بعلم التصوف ، ولم ينقل عنه أنه صدر منه شيء من الكبائر . وكان واقفاً عند مراد ربه لا يتعداه ، عاملاً في أمره بتقوى الله ، مراعياً للعدل والاحسان فيما استرعاه . [رجع]

ولاية محمد باشا

في سنة (٩٨٢) ثنتين وثمانين وتسعمائة توفي (مصطفى باشا) والي طرابلس وولي محمد باشا عرف التركي . وكان شديـــد الوطأة سيىء الخلق فبسط في الناس يد الجور .

وثار في هذه السنة بعمل (غريان) رجل اسمه (الحجاج) والتف به لفيف من رعاع الناس واستبد بذلك العمل .

الشيخ احمد الكمودي

قال في الرحلة الظافرية : ومن أهل الكمال والحال سيدي الشيخ أحمد بن عبد الله الكمودي شقيق سيدي عبد الحميد المذكور . كان

مجذوباً من أهل الكمال ومن أرباب الكشوفات يخبر الناس بمـــا في ضميرهم ، ويذكر وقوعاتٍ حدثت في أماكن بعيدة ، ويظهر صدقــه فيها . ويقول : « أهل الله اجتمعوا على الأمر الفلاني » وهكذا !.. واذا كان أحـــد من الناس وقع في معصية فيأتيه سراً وينهـــاه ويتهدده ان عاد اليهـــا . ولا يتكلم بالأمور المغيبات الا اذا تقوى عليه الوارد .

واذا سئل قبل ذلك يقول لسائله : « دعني في حالي !.. » وان ألح عليه ، أو ألزمه بشيء يجب كتمانـــه ، يزوم زومة ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويمتد كالميت ، ثم : يفيق .

وله أحوال عجيبة . وكان كثير الصيام قليل الأكل عند الإفطار ولا يزال لسانه رطباً بذكر الله . ومهما أحدث توضأ . وكان كثير الصمت لا يتكلم الا بما يعنيه ، وكراماته كثيرة مذكورة في محلها ، ومن كلامه في بعض شطحاته :

انا احمد صاحب الحـــال	أنا عمـــار البـــلاد
عندي مفاتيح الاقفـــال	حين ينادي المنـــادي
عنـــد الحرم أسد قتال	من نضربه مـــا يدادي
انا شربت من منهل زلال	والشيخ الاسمر أستاذي
رباني بعـــز ودلال	شيخي هو منية مرادي
الأسمر مليح الفعـــال	سقاني كؤوس الوداد
وفزت عن جميع الرجال	أهـــل الحضر والبوادي

وكانت وفاته رضي الله عنه في سنة (٩٨٤) أربع وثمانين وتسعمائة ودفن مع والده رحمهما الله تعالى ورحم جميع المسلمين آمين .

•

الشيخ أحمد أبو قطاية المجذوب

قال المحقق الشيخ محمد ظافر في رحلته : هو الشيخ الولي الصالح المجذوب المكاشف سيدي أحمد أبو قطاية ابن محمد البشت — بكسر الباء الموحدة — كان مجذوباً مستغرقاً في الحال مكشوف الرأس له فرع مسدل بين كتفيه يسمى عندهم (بالقطاية) ـ بضم القاف وتشديد الطاء — وبها لقب .

وكانت له كرامات عديدة ، وأقوال مفيدة ، مات رحمه الله في سنة (٩٨٩) تسع وثمانين وتسعمائة ودفن بمسجد جده ، وقبره ظاهر يزار . ا هـ

•

[رجع] وفي سنة (٩٨٥) خمس وثمانين وتسعمائة مات (المنتصر ابن الناصر بن محمد الفاسي) عامل « لواء فزان » متأثراً مما ناله من قهر زوجته (خودة) .

وكان من خبره أنه لمـــا بنى بها أسكنها بالقصر الأحمر الكائن « بسبهه » من قرى فزان ثم تزوج عليها من نساء مرزوق وولع بها ،

فثقل ذالك على « خودة » وأضمرت لبعلها السوء ؛ فاتفق أن المنتصر أطال المكث عند زوجته المرزوقية فاستثار هذا التأخير غيرتها ولما قدم عليها جاهرت بالعداوة ، ومنعته الدخول الى قصرها . وكان القصر منيعاً فحاصرها فيه ثلاثاً وفي الرابع مات كمداً .

واستبد (الناصر) أكبر أولاد المنتصر بمرزوق وقطع أسباب الطاعة ومنع الجباية ؛ ولما اتصل الخبر بمحمد باشا سرح العساكر لتمهيد تلك الجهة ، وقدموا « سبهه » وقبضوا على (خودة) وقتلوها ، وفر ابنه الناصر بخزينته واخوته ولحق بأرض « كاشنه » من السودان وأوطن بها ، وتبوأ الجند مرزوقاً من غير قتال وانقادت الأهالي الى ما الفوه من الغرامة وقوانين الخراج .

ولما تمهد الهناء استعمل أمير الجند عليهم رجلاً يدعى (مامي) وترك معه طائفة من العساكر وانقلب ببقية الجند الى طرابلس مظفرين ، وكان وصولهم اليهم في سنة (٩٩٠) تسعين وتسعمائة .

ولاية جعفر باشا

وفي هذه السنة توفي (محمد باشا) وولي جعفر باشا برتبة طرابلس غرب بكلربكي . وكان ضعيف الشكيمة ، عاجز الرأي والحيلة . فتغلب عليه الجنود واضطربت البلاد ، وكثر الثوار والبغي والفساد ، وتخطف الناس من السابلة . وسرى هذا الداء في جميع أعمال لبلاد وأظلم الجو من بغي الجنود وجور العمال .

الشيخ محمد بن علي السملقي

قال الاستاذ محمد ظافر في رحلته : كان من أعظم النقباء والسادات الأصفياء ، وكان له في الفهم والاتقان شأن عظيم وأي شأن . حفظ الرسالة ومختصر الشيخ خليل ، وتعاليقه ، وعقائد السنوسي ، وحِكم ابن عطاء الله ، والبخاري ، ومسلم ، وله في كل علم طريق . وهو من الرجال الذين لو أقسموا على الله لأبرهم .

وكان من المتعبدين الورعين له اتباع كثيرون . وأخذ الطريقة على سيدي (عبد السلام الأسمر) وانتفع بـه . مات رحمه الله تعالى سنة (٩٨٨) ثمان وثمانين وتسعمائة ودفن بجامعه الذي بالموضع المشهور (بلواتة) نفع الله به . اهـ

●

[رجع] ثم في آخر سنة (٩٩٠) تسعين وتسعمائة انتقضت اهالي فزان وقتلوا عاملهم (مامي) ومن كان معه من الجند ، واستقدموا الناصر من مكانه بأرض السودان وولوه امرهم ، واستقر بذلك العمل الى ان كان من امره ما يأتي ذكره .

●

عبد الحميد المشهور بضوء الهلال

قال الفاضل الاستاذ محمد ظافر في رحلته :

« هو العلامة العابد الزاهد الوالي الصالح مظهر الجمال ، والمنهل العذب الزلال ، « سيدي عبد الحميد » الشهير (بضوء الهلال) ، ابن عبد الله الكمودي .

وكان رحمه الله ذا علم صحيح وذوق صريح . وكان من العلماء العاملين ، الناصحين ، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم . ولد بعد صلاة الصبح ، في يوم الاثنين في العشر الاول من ذي القعدة سنة (٩٠٥) خمس وتسعمائة ، وحفظ القرآن ، وهو ابن ثمان سنين ، وقرأ في النحو ، والمنطق ، والتوحيد ، على اكابر من فقهاء (تونس) . وتلقى علوماً جمة من علماء (فاس) وارتحل للمشرق فحج وزار واجتمع بجماعة من علماء (مصر) وشيخنا (ناصر اللقاني) والشريف يوسف تلميذ السيوطي ، والجمال ابن الشيخ زكرياء ، وامين الـدين ، وابن حجر ، وعبد العزيز الطليطلي ، وعبد المعطي وغيرهم . وانتفع منهم ولازم ابا المكارم البكري وتبرك به وقيد عنه فوائد . ثم : توجه الى (بغداد) في طلب الغوث ليأخذ منه التلقين في طريق الله ، فلما وصل الى (الشام) اجتمع باحد كبار مشائخها ، فلما قرب منه واخذ يده يقبلها فقال له مكاشفاً عليه : « يا عبد الحميد !. انت تطلب الغوث وهـو في بلادك طرابلس الغرب اسمــه (عبـد السلام بن سليم

الفيتوري)؟ » فرجع . ولما وصلها اجتمع بالشيخ وأخذ عنه وخدمه وانتفع به .

وكان رحمه الله ذكياً مشاركاً في العلوم ، وكان رقيق القلب عظيم الجاه ، وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس ، لا يبخل بجاهه على احد ، وينقاد كل احد لمطلوبه ، يحسن للفقراء والأرامل ، كثير العبادة ، شديد الورع ، له كرامات ومزايا شهيرة .

وسبب تسميته بضوء الهلال أن امرأة صالحة تسمى (الفقيرة مبروكة) بنت الشيخ سيدي عبد الرحمن البشت — بكسر الباء الموحدة — قالت لوالدته وهي حاملة به : « في بطنك ابن يضيء كالهلال !. » فلما ولدته تلقب بذلك .

توفي رحمه الله تعالى في السابع عشر من شعبان سنة (٩٩١) احدى وتسعين وتسعمائة ، ودفن بأزاء مسجد والده ، بموضع يسمى (بالحرم) من حيز الزاوية الغربية . وقبره مشهور يزار . » انتهى .

الأستاذ أبو زكرياء يحيى الحطاب

قال في كفاية المحتاج :

يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن المكي فقيهها وعالمها . شيخنا بالاجازة . كان علامة متفننا فاضلا ، مؤلفاً صالحاً ، آخر فقهاء الحجاز .

له تواليف (في الفقــه ، والمناسك ، والنحو ، والحساب ، والعروض) . وغيرها .

لقيه جماعة من أصحابنا بمكة . أجازني مكاتبة في أشياء معينة ثم عمم . وكتب لي بخطه .

وتوفي بعد ثلاث وتسعين وتسعمائة رحمه الله تعالى . اهـ

قلت : توفي بطرابلس وضريحه داخل الثغر بجوار « جامع محمود » .

●

[رجع] وفي سنة (٩٩٦) ست وتسعين وتسعمائة انتزى بناحية « تاجوراء » يحيى بن يحيى السويدي ، والتف به كل ناعق من جفاة الأعراب وأجلافهم ، ومن يلتمس الرزق بسلاحــه . وقدم بهم بلاد « مسلاته » فانضموا اليه وكثرت جموعه وعظم أمره . ولمــا اتصل خبرهم بمحمد باشا سرح اليهم العساكر وتزاحفوا بظاهر « مسلاته » واحتربوا عامة يومهم .

ولمــا حمي الوطيس اختل مصاف الجند وهلك نحو الألف منهم وخلص بقيتهم لطرابلس مفلولين ، فقويت نفس يحيى السويدي وطمع في الاستيلاء على طرابلس ونهض فيمن معه وعسكر بتاجوراء .

ثم قدم طرابلس وحاصرها وضيق عليها وامتد حصاره لها الى سنة (٩٩٨) ثمان وتسعين وتسعمائة ، فانتدب (شيخ قبيلة بني نوير) من المحاميد وأقبل من جمهور عشيرته واتباعه وقبض على يحيى السويدي ومكن منه جعفر باشا فقتله ، وتشتت تلك الذئاب العاوية وتمهد الهناء .

أبو الحسن علي بن محمد البشت

قال الفاضل الاستاذ محمد ظافر في رحلته :

هو الشيخ الولي الصالح الكامل سيدي أبي الحسن علي بن محمد البشت – بكسر الباء الموحدة – كان من اصحاب (سيدي عبد السلام الاسمر) رضي الله عنه . وقد جمع الله قلوب أهل البلاد على محبته وتعظيمه . وكان كلما يأتون اليه بالنذور يتصدق بهـــا على الفقراء والمساكين ، ويقول « رزق الناس ؛ يرجع للناس » . ومن كراماته أنه : يكاشف على ما في ضمير الانسان . واذا ضاع لأحد شيء وسأله ، يقول له : « إمض الى المحل الفلاني ! تجد حاجتك الضايعة فيه !. » فيتوجه له ويجدها . وكان اذا أراد أحد أن يدخل الى بيته من غير اذنه فلج . وغير ذلك مـن الكرامـات الكبيرة المتواترة الشهيرة . وانما اختصرناها من محلها تلخيصاً . مات في سنة (٩٩٧) سبع وتسعين وتسعمائة في ربيع الثاني وقبره بقرب ضريح جده البشت وهو ظاهر يزار ، رحمهما الله .

الشيخ ابراهيم بن علي العوسجي

قال الاستاذ محمد ظافر في رحلته :

أبو اسحاق سيدي ابراهيم بن علي العوسجي الامام القدوة الرباني .

كان رحمه الله ولياً صالحاً واعظاً ينتفع بـه الناس ، له كرامات وكشوفـات واطلاع على المغيبات ، وكان يرسل الى أمير طرابلس (محمد التركي) ويقول له « بادر بأفعال الخيرات !. فانك لا تمكث في الحكم بعد هذه السنة الا شهرين !. » فلم يلتفت لقوله . ويقول : « هذا مجذوب !. لا عبرة بكلامه ..» فكان الأمر كما قال الشيخ رضي الله عنه . وكان قد حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وأخذ الفقه عن شيخنا الناصر ، وصحب سيدي (عبد السلام الأسمر) وانتفع منه . وكانت ولادته سنة (٩٠٤) أربع وتسعمائة . وتوفي رحمه الله في سنة (٩٩٨) ثمان وتسعين وتسعمائة . ودفن (بعوسجة الجديدة) من حيز (الزاوية) وقبره مشهور يزار . انتهى .

عمر بن عبد الرحمن القريو

قال المحقق الأستاذ محمد ظافر في رحلته : هو الشيخ الفقيه الامام ، العالم ، العلامة ، العابد ، الزاهد ، الفاضل ، الكامل ، العارف ، القطب ، الوارث ، المربي ، ذو الكرامات الظاهرة ، والخوارق الباهرة ، سيدي أبو حفص عمر بن عبد الرحمن الشهير بالقريو : ولد ثاني عشر من ربيع الثاني سنة (٩٠٦) ست وتسعمائة وتوفي أبوه قبل السابع وكفلته جدته (حليمة القريوية) وبها لقب . ولما كبر وضعته في المدرسة فلما حفظ القرآن اشتغل بالعلم ، فأول ما قرأ النحو بمدينة (تونس) وارتحل الى المشرق وقرأ الرسالة على (شمس الـدين

اللقاني) بحثاً وتحقيقاً . ثم : أخذ على شيخنا الناصر ، والشريف يوسف السيوطي ، والشهاب عبد الرحمن الاجهوري ، والجمال ، وحج ثم رجع الى طرابلس واجتمع بسيدي (عبد السلام الأسمر) وأخذ عنه التلقين . ودرس بداخل المحروسة وارتحل الى (الصابرية) من حيز (الزاوية الغربية) وظهرت له كرامات ، وخرق عادات ، توفي بها انسلاخ صفر سنة (٩٩٩) تسع وتسعين وتسعمائة ودفن هناك رحمه الله تعالى .

خلافة السلطان محمد خان الثالث

وفي سنة (١٠٠٣) ثلاث وألف انتقل (السلطان مراد خان الثالث) لدار الجنان . عامله الله بالكرامة والرضوان ، وورث الخلافة بعده ولده (السلطان محمد خان الثالث) .

قال في (خلاصة الأثر) : كان سلطاناً عظيم القدر ، مهاباً ، جواداً ، عالي الهمة ، مظفراً في وقائعه ، صالحاً ، عابداً ، ساعياً في اقامة الشعائر الدينية ، ومن عاداته المرضية ، انه كان اذا ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) نهض قائماً . وبالجملة فأوصافه كلها حسنة فايقة . انتهى [رجع]

ولاية سليمان طاي

وفي سنة (١٠١٢) اثنتي عشرة وألف ثار جند اليكيجرية على

(جعفر باشا) وحاصروه في قصر الحكومة ثم أمنوه على أن يخرج من بينهم فخرج ، وولوا عليها (سليمان طاي) . وكان صاحب عزم وحزم واقدام فضبط البلاد وقام بالأمر أتم قيام وصرف الى شاقية من جنود اليكيجريه وجوه عزايمـه واذاقهم سوء العذاب وقتل بعض رؤسائهم ورفع عن الرعية ما نالهم من عدوانهم ومهد البلاد وصفا له جوهـا ودانت له القاصية .

ذكر خلافة أمير المؤمنين السلطان
احمد خان الاول

وفي هذه السنة توفي (السلطان محمد خان الثالث) طاب ثراه ، وجعل الجنة مأواه .

وافضت الخلافـة من بعده لابنه (السلطان احمد خان الأول) وسعى رحمه الله في اخماد الفتن ، وجدّ في قطع دابر أهـل الفساد ، حتى أبادهم .

•

[رجع] ثم في سنة (١٠١٥) خمس عشرة وألف عادت أهالي تاجوراء الى حالهم من الاستبداد ومنع الجباية وقطع أسباب الطاعة وولوا عليهم رجلا اسمه (أويس) ولاحقهم « بنو رقيعـة » ونزلوا بخيلهم ورجلهم حول بلد (تاجوراء) .

ولما اتصل خبرهم بسليمان طاي سرح اليهم العساكر براً وبحراً وأحاطوا بتاجوراء من كل جهة وأوقعوا بها ، فامتنعت عليهم وطال أمر حصارها . ثم اتفقت أن وقعت دابة لأحد رؤساء بني رقيعة في زرع لبعض اهالي تاجوراء فاغتاظ صاحبه وقتل الدابة فنشأ عن سبب ذلك اختلاف وانحراف بنو رقيعة عن موالاتهم وارتحلوا عنهم فتمكن جند اليكيجرية من اهالي تاجوراء وجاسوا خلال ديارهم وساموهم سوء العذاب وامتلأت ايديهم من الغنائم . ولما تمهدت انقلب الجند الى طرابلس أعزة ظاهرين .

وفي سنة (١٠١٦) ست عشرة وألف اهتم سليمان طاي لتمهيد فزان ودفع المنتزي عليها فسرح العساكر اليها فزحف اليهم في نحو عشرة آلاف مقاتل ، والتقوا (بكثير)[١] واحتربوا فانهزم جند اليكيجرية ثم كروا بعد الهزيمة ودارت بينهم حروب هائلة هلك فيها (الناصر) واختل مصافه ، وافترقت جموعه ، وشردت رواحلهم ، واتبعهم الجند والقتل والنهب يأخذ منهم ما أخذه ، حتى استولوا على جميع ذخائرهم وسلاحهم .

ولجأ أخوه الظاهر بن المنتصر بأهله لأرض السودان ثم تبوأ الجند مرزقاً من غير ممانع ، واستعمل أمير الجند عليها (حسن النعال) وترك معه مقداراً من العساكر وانقلب ببقيتهم الى طرابلس أعزة ظاهرين .

---

(١) موضع كان بين أم « العبيد » و « الرملة » على مسافة يوم من قرية « الزيغن » .

الشيخ محمد بن شعبان

قال في خلاصة الأثر « الشيخ محمد بن شعبان الطرابلسي الحنفي » من اهل طرابلس الغرب ذكره (ابن نوعي) ووصفه بالفضل الباهر . وقال : قدم قسطنطينة في سنة (١٠١٦) ست عشرة والف وتناظر مع علمائها فظهرت مزيته وروعي حقه ، وأقبل عليه شيخ الاسلام (صنع الله افندي بن جعفر) واعطاه قضاء بلده باعتبار المولوية ، وأضاف الى القضاء الفتوى والتدريس فتوجه الى وطنه .

وله تآليف باهرة منها « شرح مجمع البحرين » سماه « تشنيف المسمع ، في شرح المجمع » وجمع مناقب (الشيخ أبي الغيث القشاش) وله غير ذلك من الآثار ما ليس له نهاية ، وفتاويه كلها مسلمة ، توفي في سنة (١٠٢٠) عشرين وألف ، رحمه الله تعالى . اه

●

[رجع] وفي سنة (١٠٢٢) اثنتين وعشرين والف نافقت اهالي فزان وتألبوا على عاملهم واستقدموا الظاهر بن المنتصر من مكانه بأرض السودان فقدم ومكنوه من العمل .

ثم ان سليمان طاي أساء السيرة وبسط في الناس يد الجور ، واطلق يد الجند وأباح لهم في هذه السنة نهب قرية (تاجوراء) فجاسوا خلالها ودمروها وساموا اهلها سوء العذاب ، ونهبوا جميع اموالهم وكافة

مواشيهم . ولما ثقلت وطأته رفعت به الشكاية لمعدن العدل دار الخلافة العلية فحصلت عناية امير المؤمنين « السلطان احمد خان الأول » وصدرت ارادته السنية بارسال اسطولين مشحونة بالعساكر ، فجاءت مرسى طرابلس في سنة (١٠٢٦) ست وعشرين وألف ، ودعي الوالي سليمان طاي الى احديهما وصلب فيه على أعين الناس واستتبت الراحة وعم الامان .

ولاية شريف باشا

وولي شريف باشا وكان ذا شهامة وقيام فيما يفوض اليه ، فأبدى الحزم وقرن بالصواب تدبيره ، وأمضى بالعدل حكمه ، وصرف انظاره الى شاقيه من زعماء جندها وأعراب فلاتها وقبض ايديهم بعد انزال العقوبة بهم وأمن السبل وأضاء الأفق .

خلافة أمير المؤمنين السلطان مصطفى خان الأول

وفي سنة (١٠٢٦) ست وعشرين وألف توفي « السلطان أحمد خان الأول » لأربع عشرة سنة مـــن خلافته . وكان رحمه الله عظيم القدر ، جميل الذكر ، حسنة الايام ، حسام الاسلام ، وأوصى بالخلافة بعد لأخيه السلطان « مصطفى بن محمد خان » ـ لأن أولاده الكرام كانوا صغاراً ـ فبويع له .

وكان صالحاً ، زاهداً ، متقشفاً ، تاركا للدنيا ، ليس براغب فيها ، وصار فراغه لثلاثة أشهر من خلافته .

خلافة أمير المؤمنين السلطان عثمان خان الثاني

وبويع السلطان عثمان خان الثاني وكان جلوسه على سرير الخلافة يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الأول سنة (١٠٢٧) سبع وعشرين وألف . وكان رحمه الله تعالى من أحسن السلاطين خلقاً ، وأجملهم شيما وطبعاً ، له أدب ، وحياء ، وعرفان ، وفيه شجاعة وفروسية ، وكان ينظم الشعر التركي .

خلافة أمير المؤمنين السلطان مصطفى خان الأول الثانية

وفي اليوم الثامن من رجب سنة (١٠٣١) احدى وثلاثين وألف ارتحل (السلطان عثمان) لدار البقاء ، فكانت مدة خلافته أربع سنوات وشهر ، وقيل في تاريخ وفاته ، من الثانية من الرمل وضربها المماثل :

مات سلطان البرايا فهو في الأخرى سعيد
قال لي الهاتف أرخ ان عثمان شهيد
سنة (١٠٣١) ٥١ ٦٦١ ٣١٩

وبويع السلطان (مصطفى خان الأول) وصار فراغه في رابع ذي العقدة سنة (١٠٣٢ اثنتين وثلاثين وألف فكانت مدة خلافته سنة واحدة واربعة أشهر .

خلافة أمير المؤمنين السلطان مراد خان الرابع

وبويع السلطان مراد خان الرابع أخو (السطان عثمان بن أحمد) قال في خلاصة الأثر : وكان عمره احدى عشرة سنة وسبعة أشهر وجاء تاريخ ولايته (مراد خان العادل (١٠٣٢)) ومع صغر سنه كان له عقل ثاقب ، ورأي سديـــد ، وكانت تظهر عليه أمارات الشجاعة ، وقوة القلب ، وكان من اعظم أبطال ذلك الزمان ، بل كان أعلى السلاطين مقداراً ، وأوسطهم همة واقتداراً ، فاشرقت خلافته في سماء الملك شهابها ، واتصلت بأسباب العز أسبابها ، وخضعت لعظمته رؤساء الأكاسر ، وذلت بحرمته وقهره ، تصلب في قمع المفسدين ، سديد الرأي في أمره .

[رجع] واستمر (شريف باشا) والياً على طرابلس الى سنة (١٠٣٥) خمس وثلاثين وألف ، وفيها ثار به الجند وحاصروه بقصر الحكومة فامتنع عليهم ثم احتالوا عليه وقبضوا عليه .

ولاية رمضان طاي

وولي رمضان طاي ، وكان خفيف القيادة عاجز الرأي ، واستخلص

لمشورته حرمة بدوية اسمها (مريم بنت فواز الشبلية) ونالت من إقباله الحظ الأوفر ، فاستخفت به الأعراب وتهاونت بـه الجنود ، وتكدر صفو الراحة وصارت ضواحي الايالة مأوى اللصوص وقطاع الطريق وعادوا الى حـالهم من مصارفة الاستبداد ؛ واستمرت هذه الاحوال الى سنة (١٠٤٢) اثنتين وأربعين وألف .

ولاية محمد باشا الصاقزلي

وفيها نزل (رمضـان طاي) عن ولايته لصهره محمد باشا الساكزلي من مسلمة الروم وكان من خبره : انه كان في مبتكر أمره من أمراء الجنود البحرية بثغر الجزائر الغربية ، وقدم في أسطوله الى طرابلس زمن ولاية شريف باشا ، فوسعه براً وتكرمة ، وقلده قيادة العساكر البحرية ، ثم نال لديه حظاً في الظهور وصاهره وصرف اليه وجوه اعتباره ، ثم لما رأى رمضان طاي من نفسه عدم الاقتدار على رتق فتق الايالة ورفع وهيها ، وكان صهره (محمد باشا) هذا ذا شهامة وكفاية ، نزل له عن ولايتها ، وأتاه التقليد من أمير المؤمنين (السلطان مراد خان الرابع) ونهض بأعباء الايالة ، وبعث العمال وبسط في الناس العدل ودانت له القاصية .

ولما استقرت قدمه وصفا له الجو ، طرح على كل شجرة من الزيتون والنخيل بيضة ، ثم عوضها بعشرين « بارة » ووضع على البضائع والأرزاق المتنوعة الداخلية الى الثغر والخارجة منه « رسم الجمرك » ونظم جنداً خيالة .

وكان يومئذ (عثمان بك الساكزلي) مولى (شريف باشا) الوالي الأسبق عاملاً على « ساحل آل حامد » فاستقدمه من عمله وولاه قيادة الجنود ، وكان أمره ما يأتي ذكره :

ذكر بلد (ساحل آل حامد)
والولي سيدي مفتاح

قال الاستاذ ابو سالم (عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي) في رحلته : هى بلدة كبيرة ؛ ذات نخيل كثير ، ومزارع ، وسواني ، وزيتون .

وبها قبر الوالي الصالح ذي الكرامات الكثيرة ، والمآثر الشهيرة ، سيدي (مفتاح المعروف بأبي حشانه) ، وهو على تل مرتفع بساحل البحر في مكان يعلوه البهاء ، ويتفجر منه السناء ، تسكن النفوس اذا حلت به . وتطمئن القلوب اذا نزلت بقربه . وختمت عند قبره سلكة كنت ابتدأتها قبل ذلك ، وزرته بنية صالحة ، واخلاص قوي ، وطلبت من الله عند قبره مسائل . رأيت اثر الاجابة في بعضها بالقرب ، واني أرجو الله فيما بقي منها .

وهـــذا السيد ممن تواترت عنه كرامات كثيرة ، وجُربت اجابة الدعاء عند قبره ، فلا ينبغي لمن مر بذلك البلد أن يهمل زيارته ...

والذي نبهنا لزيارته ، وأعلمنا بمكانـــه شيخنا سيدي (محمد بن مساهل) وحضنا على زيارته .

وقـــد قيل ان قبره كان مخفياً وأظهره سيدي (عبد السلام الأسمر) ، وكان قـــد أظهر قبوراً كثيرة للأولياء بذلك الساحل . وأظهرت فرسه ايضاً آخرين ، وذلك أنه اذا ركب فرسه ربمـــا تمر بمكان فتبحث برجلها في الارض فيقول لهم الشيخ : « أحفروا فان هنا قبرولي ! » فيجدونه فظهرت بذلك مراراً كثيرة . وفقراء الساحل الى الآن يعرفونها ويقولون : هذا من الذين أظهرهم فرس الشيخ .

ولا بدع في ذلك ، فان الكرامة في ذلك لراكب الفرس لا للفرس ، فقد بركت ناقـــة النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكان مسجده ، وعندما دخل الحرم « يوم الحديبية » . واذا كانت بركة النسبة « للأنبياء عليهم الصلاة والسلام » و (للأولياء رضوان الله عليهم) يظهر أثرها في العجماوات فما بالك بالآدمي الذي هو أشرف المخلوقات ؟..

والله تبارك وتعالى يجعلنا من المحبين لأهل ولايته ، ويحشرنا مع حزبهم وفريقهم دنيا واخرى ، آمين .

[رجع] وفي سنة (١٠٤٣) ثلاث وأربعين وألف نافقت أهالي (تاورغا) [١] وتولى كبرها رجل منهم اسمه جبر (بن موسى) ، ولما

---

(١) (تاورغا) قرية وخيمة على مسافة ست ساعات من بلد « مسراته » يتخللها نهر غزير ، ماؤه عذب فرات تفرع عنه ترع وسواق في البلد يسقون منه نخيلهم وبساتينهم . وأرضها سبخة فينقلب بهـــا طعم الماء للملوحة فاذا ركد في مستنقعاتها تمرر ونشأ من تعفنها وتوخم الهواء حمم محرقة ، غير ان اهل هذه البلد انحرف طبعهم فلا يوثر فيهم الا قليلا . وهذه القرية صعبة المسالك لا يكاد يهتدي الى منازلها الا الخبير .

اتصل (بمحمد باشا) خبر نفاقهم سرح اليهم (عثمان بك) في العساكر ، فارتحل اليهم وانشب معهم الحرب وتنازل الفرسان واصفرت الألوان . ولما حمي الوطيس زاغت العساكر وهلك جماعة منهم في الجولة ، فترجل (عثمان بك) عن فرسه وصاح في الجند فكروا عليهم واستلحموهم وهزموهم ، واتبعت الخيل آثار المنهزمين واستوعبوهم قتلاً وأسراً ؛ وتبوأ الجند (تاورغا) واستباحوها وأسروا أهل المنتزي وولده وأصابوا أموالهم . ولما استتبت الراحة انقلب الجند مظفرين .

وفي أواخر هذه السنة قدم (أحمد بن عبد الهادي) من الديار المصرية في نحو عشرين رامياً وانتزى على «الجبل الأخضر» و «أوجله» فانتفضوا له وعثوا في تلك الضواحي . فسرح لهم (محمد باشا) عثمان بك في العساكر ، ولما شارف ذلك الصقع بعث جواسيسه لاستكشاف قوتهم فاتضح له أن امرهم صعب المزاولة بما لديه من الجنود ، وان لهم من القوة والاستعداد ما لم يخطر ببال فضم جناحيه وأيقظ رأيه وخيم على أوجله وجانحهم للسلم حتى اطمأنت نفوسهم ومكنوه الدخول الى القرية ، ولما تبوأها بجنوده تقبض على عبد الهادي وقتله وسجن عامة أصحابه . وانقادت الأهالي وتمهد الهناء وانقلب عثمان بك مؤيداً .

وفي سنة (١٠٤٤) أربع وأربعين وألف قدم وفد من أهالي (وادي الآجال) [١] على محمد باشا شاكين مما نالهم من جور الطاهر بن

---

(١) وهو واد من أعمال فزان جسيم متسع مخصب كثير الفواكه وفيه ما لا يحصى من انواع النخيل وشجر العدبا ، وبه مراتع للابل قل ان توجد ؛ طوله =

المنتصر المنتزي على فزان .

فأصرخهم وأرسل معهم جيشاً لدفع المنتزي واغذوا اليه السير ، ولما شارفوا مرزقاً وسمع بهم الطاهر فر بأهله ولحق بأرض السودان وتبوأ الجند (مرزقاً) من غير ممانع . ورفع ما نالهم من عدوهم من الظلم وجعل عليهم (احمد بن هويدي الخرماني) عاملاً وترك طائفة من الجند لحراسة البلد وضبط خراجها وقفل ببقيتهم مؤيداً .

واستمر احمد بن هويـــدي في عمله الى سنة (١٠٤٦) ست وأربعين والف .

= نحو الثانية عشر ميلا وماؤه عذب فرات يكتنفه من جهة الغرب رمال ومن الجنوب والشرق جبال شواهق .

يعمره من جهة الجنوب امم من البربر معروفون بالحرمان ومن الشمال طائفة من العرب يسمون الحجاج .

وبالرملة التي غربيه على بعد نحو الثانية عشر ميلا (بحيرة فرعون) وهي بحيرة لا قرار لها ، محوطة بالرمـــل ومنذ عرفت والرمل ينهال فيها ولم يظهر له فيها اثر .

وماؤها حار معدني مسهل للصفراء وطعمه ملح اجاج ورائحته تشبه رائحـــة البحر ، واهل هاتيك النواحي يستشفون به من جميع الامراض شربا واستحماماً .

ويسكن حولها قوم من اهل الوادي يسمون « الدوادة » لاصطيادهم من تلك البحيرة ديداناً حمرا طوالا يأكلونها وبازائها نخيل واحساء ماء عذب لا نظير له .

وعلى ستة اميال منها (بحيرة مندره) وماؤها مثل ماء بحيرة فرعون في الطعم والرائحة وبالقرب منها (بحيرة اللطرون) لاستخراجه منها .

وفيها قدم محمد بن جهيم ابن أخ الظاهر في جموعه ضواري الفتنة وقصدوا فزاناً فزحف اليه العامل بما لديه من العساكر والتقوا بـ (حميرة) [1] واحتربوا عامة يومهم فاختل مصاف العامل وهلك الكثير من جنده ولحق في فله بمرزق واعتصم بها فتبعهم (محمد بن جهيم) وحاصر بها الى أن نفدت أقواتهم وأجهدهم الحصار فاستنجد العامل (محمد باشا) فأنجده .

ولما سمع (محمد بن جهيم) بقدوم المدد أفرج عن البلاد وفك حصارها وذهب متقلباً في قاصيتها وتفرقت أتباعه وشردت رواحلهم . ثم بعث محمد بن جهيم الى (محمد باشا) بواسطة الشيخ (علي الحضيري) الفقيه السبهي يستعطفه ويطلب أن يكون في أمانه ويدخل في طاعته وأن يجعله عاملاً كسائر عماله فأمنه وأحسن اليه واستعمله على فزان .

خلافة السلطان ابراهيم خان

وفي سنة (١٠٤٩) تسع وأربعين وألف ارتحل (السلطان مراد خان) الى جوار الرحمن ، عامله الله تعالى بالكرامة والرضوان ، واسكنه فسيح الجنان . ولم يخلف ولداً ، وبقي من اخوته (السلطان ابراهيم) فبويع له بالخلافه بعد وفاة أخيه . وكان رحمه الله تعالى ملكاً عظيماً ، حسن النظر ، سمح الكف ، زمانه أنضر الازمان ،

(١) بكسر الحاء المهملة والتشديد موضع بين قريتي زويله وتراغن .

وعصره أحسن العصور ، وأطاعته جميع الممالك ، وسكنت بيمن دولته الفتن ، واعتدل به الزمن .

ذكر ولي الله سيدي محمد الصيد

وفي سنة (١٠٥٠) خمسين والف توفي ولي الله بلا نزاع ، بين هذه البقاع ، سيدي محمد الصيد رحمه الله تعالى ورضي عنه . ودفن بالقرية المسماة بالهنشير ، وبينها وبين مدينة طرابلس ستة أميال . والصيد في لغة هذا القطر هو الاسد ، ويسمى بذلك لكثرة ردعه للظلاّم وقهره الجبابرة حتى كان لا يجترىء أحد على معارضته فيما أمر به ولا يتعرض لمن انتسب اليه . وظهرت له كرامات خارقات ، وقد أخذ الطريق عن سيدي عيسى بن محمد التلمساني المشهور بأبي معزى وهو أخذ عن الولي الكبير والعلم الشهير سيدي ابي عمر المراكشي رضي الله عنهم ونفع بهم .

خلافة امير المؤمنين السلطان محمد خان الرابع

وفي سنة (١٠٥٨) ثمان وخمسين والف صار فراغ السلطان (ابراهيم خان ابن السلطان أحمد خان) لتسع سنين من خلافته وبويع بالخلافة (محمد خان الرابع) وكان رحمه الله ملكاً عظيم القدرة ، جميل الذكر ، تفرع من دوحة سناء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء .

•

[رجع] واستمر محمد باشا والياً الى أن مات ليلة الجمعة الموافق للثاني من ذي القعدة سنة (١٠٥٩) تسع وخمسين والف ودفن في تربة رمضان طاي التي على الجادة المارة للبحر من شرقي المدينة ووقف عليها أوقافاً .

ولاية عثمان باشا الساقزلي طرابلس

وولي عثمان باشا الساقزلي مولى شريف باشا المتقدم ذكره وأظهر العدل والانصاف بين الاهالي ، ورفع جميع الضرائب التي أسسها سلفه ومنع القضاة من اخذ ربع السدس الذي كانوا يستوفونه من التركات ، وأسس مسجداً ومدرسة لتعليم العلوم وأوقف عليها أوقافاً جمة . وكفل ولد سيده (شريف باشا) ورقاة مراقي السيادة .

ثم في سنة (١٠٦٠) ستين والف أتاه التقليد من امير المؤمنين (السلطان محمد خان الرابع) وأمر بتجديد القلاع واتخاذ الأساطيل ومحاربة الأعداء . فتوجهت همته لعمل الأساطيل وانتهى عدد أساطيله في خلال مدة قليلة الى (أربعة وعشرين) اسطولاً . وبلغت في الاستحادة والاتقان والاستعداد ما لم تبلغه أساطيل من قبله . فغلب بها على البحر الرومي من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وقويت ريحهم في بسائط هذا البحر وامتدت شوكتهم .

ولما تمكن من الولاية أساء السيرة وكلف الأهالي فوق طاقتهم من انواع الضرائب ، وفرض البضائع وأموال الغنائم عليهم بأرفع الأثمان على

وجه الغضب والاكراه في الشراء والبيع ، فيضطرون لتلك البضاعة التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بأبخس الاثمان وتعود الخسارة ما بين الصفقتين على رؤوس أموالهم . وعم بذلك أصناف التجار المقيمين بالمدينة والواردين من الآفاق في البضائع السائرة . فكسدت الأسواق وبطل معاش الرعايا وضعفت الارباح في المتجر ، وخف ساكن القطر وخلت دياره واختل حاله وتتابع في غيه وانهمك في اساءته حتى تفاقم الخطب ونزل بالناس من الدرك ما لا يعهد له مثيل . قال : رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (ما عدل وال اتجر في رعيته) . وقال : (صلى الله عليه وسلم) (من أخون الخيانة تجارة الوالي في رعيته) وقالت الحكماء : (كيمياء الملوك العمارة ، ولا تحسن بهم التجارة) . هذا ولم يزل عثمان باشا متمادياً على هذه الأحوال وجمع الأموال واحتباسها في خزائنه وقطع ما كان يصل الى الجند من الأرزاق ، فثقل هذا الامر عليهم وزاغت منهم الأبصار وبلغت القلوب الحناجر .

ثم ان ولد شريف باشا منته نفسه الثورة على عثمان باشا ولم يعلم بأن :

الناس أعوان من وافته دولته وهم عليه اذا خانته أعوان

وصادف ذلك ملالاً من الرعية لولاية هذا الأمير لكثرة ظلمه هو وأعوانه ، فمالت نفس كثير منهم الى مقاتلة (عثمان باشا) . وكان (شيخ قبيلة بني نوير من المحاميد) ذا شهامة وبأس شديد قد أظلم الجو بينه وبين الوالي . فاتفقت كلمته وكلمة (ولد شريف باشا) ومن دان بدينهم من الرعية كأهل تاجوراء وطائفة قليلة من العساكر ؛ فلما كاد

امرهم ان يتم أوحى بذلك الى (عثمان باشا) بعض بطانتهم ممن أراد بذلك اتخاذ يد عنده ، فأوجس الوالي في نفسه خيفة منه ـ وكان ممن لا يقعقع له بالشنان ـ فاحتال في القبض عليهم خفية وأظهر التجاهل والغفلة عن امرهم ، وبادر بالخروج الى ناحية تاجوراء حيثما حل ربطهم وحلهم ، وأوعز الى بطانته بعد تحصين البلد بالقبض على (ولد شريف باشا) ومن ساعده اثر خروجه ، وأظهر للرعية عدم المبالاة بذلك وقال : « قد علمت أنكم براء مما نسب اليكم !!. » يخدعهم بذلك لئلا يثوروا ثورة واحدة ، واستعان على تسكين روعهم بالشيخ (عبد الحفيظ ابن الشيخ محمد الصيد) . فلما رأت الرعية استكانته لجانب الأشياخ اطمأنوا ، ولم يزل كذلك الى ان فرغ من أمر ابن شريف باشا وأتباعه فكر على الرعية بقتل ذوي الرأي واغرام اتباعهم بما جعلهم عبرة لغيرهم ، وخلا الجو ، وكان من خبره ما يأتي ذكره :

غريبة !..

قال الاستاذ ابو سالم عبد الله العياشي رحمه الله تعالى في رحلته : اخبرنا شيخنا سيدي محمد بن مساهل الطرابلسي سنة (١٠٦٤) أربع وستين وألف انهم سمعوا في سنة (١٠٦٢) اثنتين وستين وألف صوتاً هائلاً في ناحية البحر كصوت المدافع الكبار من قرب الضحى الى الليل ! قال : وظنناه سفناً لبعض المسلمين تلاقت مع بعض سفن النصارى . وكما سمعناه ذلك الصوت سمعه أهل الساحل الى مسراتة ، وسمعه حتى أهل فزان والاسكندرية ، وسمعه من الناحية الغربية أهل

« جربة » و « سوسة » و « تونس » ، وكل يظن أنه قريب منه . وبعد شهر أو شهرين قدمت مراكب تجارية وأخبروا أن ذلك الصوت لأمر هائل . وذلك أن جزيرة [١] من جزر البحر الرومي خرجت في بعض نواحيها حجارة تطلع من البحر حتى اذا ارتفعت على الماء وعلت في الهواء تصدعت فيخرج منها نار ويسمع لها ذلك الصوت ، فاذا خرجت النار وقعت الحجارة على الماء خفيفة كهيئة الخفافة ، ودام ذلك الى الليل وارتفع من ذلك في الجو دخان كثير فيه رائحة الكبريت ، وأعجب من ذلك انهم قالوا انه اصبح في هذه البلدة كلُّ ما عندهم من الفضة احمر بلون النحاس [٢] .

الشيخ أحمد بن عيسى اليربوعي

كان علماً من أعلام الزمان ، وعيناً من اعيان البيان ، باهر

(١) قال في (لغات تاريخية وجغرافية) أن « وولقان – نيران معدنية – سانتورين » الكائن تحت البحر قذف جزيرة صغيرة بالقرب من جزيرة سانتورين التي هي جملة « جزائر سيقلاد » التابعة لحكومة اليونان وسميت (قايماني) . فلعل أن تلك الاصوات منه .

(٢) قال متصفحه : قد بين الأثيري الأبهري في الهداية أسباب هذه الامور من جهة الطبيعة . اما من جهة الشرع ففي الحديث (ان البحر طبق جهنم) وفيه (ان الله أذن لجهنم بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف) فمثل هذه الامور من آثار تنفسها ولا حاجة الى حذلقة اهل الطبيعة ، وهي كفر ، ان كانت استظهاراً على الشرع . والله سبحانه وتعالى ما فرط في كتابه العزيز من شيء يحتاجه الناس في امور معاشهم ومعادهم من احكام وقصص واخبار عن اسرار صنعه في العالم ، فهو الذي بيده الهداية والارشاد نعم المولى ونعم النصير ا هـ .

الفصاحة ، طاهر الجناب والساحة ، أثنى عليه (الاستاذ العياشي) في « رحلته » بقوله : « وكان الشيخ أحمد بن عيسى من أماثل هذا البلد علماً وورعاً ، وزكاء أخلاق ، وطيب أعراق ، وكان أبوه سيدي عيسى هو قاضي المدينة منذ أزمان كثيرة ، فلما توفي أبوه تولى هذا القضاء ، وحمدت سيرته فيه وتحلى بحلية العدل . ثم استعفى ، ثم أعيد ثانية . وعظم صيته ، وانتشر الثناء عليه ، وكثر مـــادحوه ، الى ان توفي رحمه الله في سنة (١٠٧١) احدى وسبعين وألف وكثر توجع الناس عليه . وأعقب الذكر الجميل فيهم . فلما سمعنا خبر موته تفجعنا لفقده رحمة الله عليه تترى ، ورضوانه دنيا وأخرى » . انتهى .

الشيخ محمد بن أحمد بن مساهل

الفقيه الصوفي الفاضل . ولد رحمه الله تعالى بطرابلس ونشأ بها وقرأ العلوم على غير واحد من أفاضل عصره ، وروى بها وأسمع ولم تكن له رحلة . وكان رحمه الله تعالى من الطلبة المخلصين ومن كبار الحفاظ الثقات المحدثين ، زاهداً ورعاً ومن عباد الله الصالحين . قال الاستاذ أبو سالم العياشي في رحلته : وهذا الشيخ رضي الله عنه من أحسن ما رأينا سمتاً ودلا ، وأصدقهم قولاً وفعلاً ، له مشاركة في العلوم ، وحسن اطلاع على فروع المذهب ، طالت ولايته للفتوى نحو أربعين سنة ، وحمدت سيرته فيها . وله مع ذلك ميل قوي لطريق القوم ، وقد اخذ الطريق على ولي الله بلا نزاع ، بين أهـــل تلك

البقاع ، سيدي (محمد الصيد) . وقلت فيه رضي عنه :

أسيدنا مفتي الورى ابن مساهـــل
ومنهل فضل فاق كل المناهـــل

عليك سلام الله ممـــن غدت لكم
عليه أيادٍ في الفصول الاوائـــل

بنورك يستهدى اذا الارض أظلمت
على أهلها بالجهل أهل السواحـــل

فكم قـــد انلت العرف سائله وكم
منئت بلا سؤل وجدت بنائل اه

وتوفي رحمه الله تعالى في غرة رمضان سنة (١٠٧٧) سبع وسبعين والف .

* * *

[رجع] وفي أواخر سنة (١٠٨٢) اثنتين وثمانين وألف خرجت أساطيل عثمان باشا للغزو فغنمت أربع سفائن تجارية وبهـــا أموال كثيرة ، فاحتبس سائر اموال هذه الغنيمة في خزائنه وقطع ما كان يصل منهـــا لجنود الاساطيل ولم يعطهم سوى ريال لكل نفر منهم ، فثقل هذا الامر عليهم واستثار دفين ضغنهم وثاروا به وحاصروه في القلعة . وذلك في غرة محرم سنة (١٠٨٣) ثلاث وثمانين وألف . فأطلق عليهم المدافع وقابلوه من « برج التراب » واستمر الحرب ثمانية ايام ، لما رأى انه غير مغن عنه سم نفسه في اليوم التاسع ومات .

ولاية عثمان طاي الشوهلي

وولوا الرئيس عثمان طاي الشوهلي ، وجعل كاهيته (علي قبودان) وكان عثمان هذا خيراً ، تقياً ، فاضلاً ، معظماً لحرمات الله .

وكان يومئذ (ابراهيم مصرلي اوغلو) غائباً ، ولما جاء تنكر من ولاية الرئيس عثمان ، وأظهر انحرافه عليه ، واجتمع بأعيان من ديوان اليكيجرية منهم (كور محمد) وفاوضهم في شأنه ثم عقدوا ديواناً واتفقوا فيه على عزله .

وبينا الرئيس عثمان طاي في غفلة من العيش اذ وثب عليه (كور محمد) في جمهور من ضواري الفتنة في العاشر من شهر شعبان هذه السنة وفتكوا به ، وقبضوا على كاهيته (علي قبودان) وأركبوه في سفينة كانت بالمرسى على جناح السفر أعدت لاستبدال الجنود الذين كانوا يومئذ بدرنه[1] ، ثم بدا لهم قتله فقتلوه بالجزيرة التي بمرسى الثغر .

ولاية بالي جاوش

وولي بالي جاوش وجعل كاهيته (مصطفى البهلوان) ، وبعث

(١) معرب عن (درنيس) اسمها القديم . وهي بلدة من (برقه) شرقي طرابلس وفرضتها في الجنوب الشرقي من بنيغازي وبعدها عنها مائتان واربعون ميلا . وأبنيتها صغيرة منتظمة يتخللها عيون جارية في غاية العذوبة معتدلة الهواء مخصبة القاعة ، جيدة المرعى الا ان اراضيها ضيقة .

العمال . وكان مقداماً جريئاً على البطش ذا جفاء وغلظة ، متتبعاً لأهل البغي والفساد حتى أبادهم ، فدانت له القاصية ونفذ امره في العساكر .

وكان الاستاذ الكبير الشيخ (عبد الحفيظ بن الشيخ محمد الصيد) كثير التوجه اليه في الشفاعة فثقل عليه واتهمه واراد البطش بـــه ، ولما شعر الشيخ بذلك منه سافر ولحق بجربة .

محاصرة مراد بك ابن حموده باشا طرابلس

وفي هذه السنة نهض مراد بك ابن (حموده باشا) والي تونس يومئذ الى الجريد لاستشراف عملها ، وبلغه في الطريق ان (عثمان طاي) والي طرابلس ثار عليه جنده وحاصره بالقلعة الى ان مات بها واوصى بأولاده الى مراد بك ، فخرج من الجريد الى طرابلس يستكشف الخبر . ولما بلغ بالي جاوش خبره خرج بمحلة لقتاله ولقيه بموضع يقال له محسن[1] .

وتزاحفوا واشتــد القتــال بين الفريقين وحمي الوطيس ، فاختل

---

(١) وهذا الموضع يعرف الآن بوادي الهيرة — بهاء بعدها مثناة تحتية بعدها راء آخر الحروف — وقد هجا هذا الموضع بعضهم بقوله :

الا لاسقى الرحمن (محسن) قطرة   ولا زال مقبر الجوانب (محسن)
وخيب (قطيساً) من الغيث كله   ولا ابتل فيــه للركائب فرسن

مصاف (بالي جاوش) وهلك الكثير من عسكره ولحق في فله بطرابلس واعتصم بها ؛ وأتبعه (مراد بك) وحاصر البلد فخرج اليه العلماء والأعيان يطلبون منه الكف عنهم ورفع الحصار فاجاب رغبتهم ورجع .

العارف بالله تعالى الشيخ محمد بن الامام

وفي هذه السنة توفي الأستاذ الفاضل ، الذاكر العامل صاحب العلوم اللدنية ، والمعارف القدسية ، القدوة الهمام ، (أبو عبد الله الشيخ محمد بن أحمد بن الامـام) ، وكان رحمه الله تعالى من أعيان العلماء ، ومشاهير الفضلاء ، جمع بين العلم والعمل ، والورع والزهد ، والانقطاع لعبادة الله تعالى ، والتخلي عن الناس والتمسك بطريق السلف الصالح ، كثير التلاوة والخشوع ، وشرح خليلاً شرحاً حافلاً . رحمه الله ونفعنا بأسرار علومه . اهـ

●

(رجع) ولما استقر قدم بالي جاوش في الولاية نقض الصلح الذي كان عقده (عثمان طاي) مع (الانكليز) وجهز خمسة أساطيل حربيـة فيهم مـن كبـار الجند (مصطفى الكبير الاستنكويلي) و (ابراهيم مصرلي أوغلو) و (عمر قاره طاغلي) و (أحمد درغتلي) وبعثهم للغزو .

ثم ادركته المنية قبل عودة تلك الأساطيل وذلك ليلة الثلاثاء

الموافق ثنتين وعشرين من صفر سنة (١٠٨٦) ست وثمانين وألف لثلاث سنين وستة أشهر واثني عشر يوماً من ولايته .

ولاية مصطفى البهلوان جلبي

وقام والياً بعده مصطفى البهلوان جلبي بانتخاب الجند ، وجعل كاهيته (سليمان التوقاتلي) وأقر أرباب المراتب والعمال على أعمالهم ولم تطل مدته وكان طوع الجناب ، لين العريكة .

ثم اتفق ان الأساطيل التي كان بعثها بالي جاوش للغزو غنمت أسطولا حربياً وانقلبوا به ، ولما وصلت مرسى مسراته [١] المعروف بقصر أحمد تقاذف الخبر لأمراء الاساطيل بموت (بالي جاوش) وولاية (مصطفى البهلوان جلبي) ، فتأثروا من ذلك ولم يرتضوا بولايته ، وأطبقوا على الفتك به ، ثم قدموا مرسى طرابلس ونزلت الجنود واجتمعت أولئك الامراء بأعيان العساكر وعقدوا ديواناً وأطبقو على عزله .

---

(١) بلدة كبيرة كائنة شرقي طرابلس على بعد « ١٧٠ » مائة وسبعين ميلا منها معتدلة الهواء طيبة التربة مخصبة القاعة ، ذات نخل كثير وزيتون ومزارع وسواني بها أنواع الفواكه ، وتفاحها كبير الحجم رقيق القشر شديد الحلاوة مسكي الرائحة ، وخوخها في غاية الجودة وبطيخها الاخضر المعروف هنالك بالقوشي لا نظير له . وبها معدن الزيبق والكبريت . ولها ثلاث فرضات عند مدخل « خليج سدرة » المعروف بجون الكبريت وهي مرسى « أبي شعيفة » أو « قصر أحمد » و « الجزيرة » و « العوينية » وعلى جميعها ترد السفن .

وبينا هو في غرة العيش اذ وثبت عليه الجنود وقبضوه ونفوه الى (جزيرة جربة) في سابع ربيع الاول من هذه السنة لخمسة عشر يوماً من ولايته .

ولاية ابراهيم طاي مصرلي أوغلي

واجمع الجند على ولايه ابراهيم طاي مصر لي أو غلي وجعل (عبد الفاتح الروميليلي) كاهيته وبعث العمال .

وكان حازماً معظماً لحرمات الله مؤثراً للعدل والانصاف لين العريكة شديداً على اهل الجور والفسق والتعدي من عماله وعسكره ، وأمنت الطرقات في أيامه ودانت له القاصية . وعمر القلاع وبنى البرج الكائن شرقي الثغر المعروف الآن (ببرج الشعاب) ووجه أنظاره الى مشاقيه من الجنود وكبراء ديوانهم عش الفتنة ، ومنعهم من التجاهر بالفسق وما ألفوه من الخصال الذميمة فاثقلهم هذا الامر .

ثم جهز ستة أساطيل حربية وبعثهم للغزو ، فغنموا ثلاث سفن انكليزية وقدموا بهم ثغر الاسكندرية ، وباعوا ما كان بها من الغنائم وأضمروا الغدر بالوالي ، وأن يولوا مكانـــه (مصطفى الكبير الاستنكويلي) فطير (أوزون حسين جاوش الروميليلي) النجب للوالي بما تعاقدوا عليه ، وكان عموم العساكر يومئذ مضطربة عليه فوقـــع ايقاعهم به وأجمع على التقويض .

وكان ولده قائد المرسى فأظهر للناس انه قد صدر من ولده مـــا

يوجب عقابه وتغريبه ، وخدع بذلك عن قصده وأركبه سفينة الرئيس (عمر الميتشو المسراتي) الذي كان على أهبة السفر للاسكندرية وأصحبه جميع امواله وذخائره شبه العوين . ولما قضى وطره وأقلعت السفينة خرج لذلك البرج وقد أشرف عـــلى التمام موريا بمشارفة بنائه وأمر كاهيته « عبد الفتاح » أن يركب أسطولا ويلحقه هناك بحراً ففعل . ولما حل بالبرج ووفد عليه الاسطول لحق بولده وركب معه وأخبره من كان به من الجند بما بلغه عن امراء الاساطيل بالاسكندرية وذلك في العشرين من محرم سنة (١٠٨٧) سبع وثمانين وألف . ثم انقلب الاسطول وأخبر أهل البلد بذلك فتكدر عيشهم .

ولاية ابراهيم طاي جلبي الانبلي

وأجمع الجند على ولاية ابراهيم طاي جلبي الانبلي وقدموه لولايتها في ذلك اليوم وجعل كاهيته (أحمد الاندرونلي) وأقر العمال عـــلى أعمالهم . وكان خيراً تقيـــاً حسن الخلق لين العريكة . ثم في يوم الخميس الموافق خمسة وعشرين من محرم من هذه السنة قدمت تلك الاساطيل من الاسكندرية ونزلت العساكر بخارج الثغر بموضع يعرف « بعين الفضة » ودخلت الأمراء البلد وعقدوا ديواناً وأطبقوا على رفت ابراهيم جلبي عن ولايته ، ثم رفتوه وأبقوه في منصبه العسكري لكبر سنه لخمسة ايام من ولايته .

الاستاذ محمد أبو راوي

الفقيه الصالـــح العالم المتفنن ، مرشد الطريقة العروسية ، ومعدن

الأسرار القدسية ، العارف بالله تعالى (أبو عبد الله محمد أبو راوي) بـــه عرف ابن محمد الدوفاني ابن عمران بن الغوث الأكبر ، صاحب القدر العظيم ، والصدر السليم ، سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري ابن سليم .

كان رحمه الله تعالى فاضلاً زاهداً ورعاً خيراً نزيه النفس حسن الخلق ومن أجلة الفقهاء ، أخذ عن مشائخ عصرة وأعلام مصره . وكان له باع في علم الخواص وأسرار الحروف والأوفاق ، وألف كتاباً في السير في (وفق المخمس الخالي الوسط) .

وتوفي في التاسع من ذي الحجة سنة (١٠٨٨) ثمـــان وثمانين وألف . وضريحـــه بزاويته الكائنة بساحل آل حامـــد معروف يقصد للزيارة .

ولاية مصطفى الكبير الأستنكويلي

وقدموا لولايتها مصطفى الكبير الاستنكويلي فقبلها بعد امتناع ، وبعث العمال وأبدى الحزم . وكان ذا شجاعة وغلظة في أحكامه وشدة على من يخالفه مع عقل يميز به موضع الشدة واللين من سياسته وكماله ، وكان مقدامـــاً متتبعاً لأهل الشر والفساد حتى أبادهم فانقشع الجو وأضاء الأفق وفر أهل التهم من بوادره . وقد نفى من الجند في يوم واحد نحو ثلاثمائة نفر وعظمت هيبته ودانت له القاصية . واستمر والياً الى أن مات مريضاً بالطاعون الجارف في غرة صفر سنة (١٠٨٨) ثمان وثمانين وألف لسنة وخمسة أيام من ولايته .

ولاية عثمان طاي وكيل الخرج

وقام بالأمر بعده عثمان طاي وكان كيل خرج الجنود ، وله من حسن الخلق ولين العريكة ما استمال به قلوب الجند واعيانهم ، فاتفقوا على تقديمه وكان كبير السن . وأقر العمال وارباب المناصب على مناصبهم وأعمالهم وابدى الحزم وافاض العطاء ولم يحدث في زمن ولايته ما يكدر صفو الأمن لدرايته ولما مهد له سلفه . واستمر واليا الى ان مات في سلخ ربيع الاول سنة (١٠٨٩) تسع وثمانين والف لسنة وشهر من ولايته .

ولاية آق محمد الحداد الاناطولي

وولي (آق محمد الحداد الأناطولي) وأظهر السيرة الحسنة ، والرفق بالرعية ، وأقر ارباب المراتب على أعمالهم وجعل (حسين آبازه) قائد جيشه و (أوزون احمد) كاهيته و (محمودا) خازن داره .

ومحمود هذا من مسلمة (البلنسيان) وهو الذي أسس الجامع الذي بداخل الثغر المعروف به . وأسس مصلى العيد الذي بإزائه وأوقف عليها أوقافاً جمة .

ولما استحكم امر هذا الوالي تغير حاله واظهر من الجفاء والغلظة

ما لم يظن به ، فأطلق يده في ظلم الرعايا وسلب اموالهم بما امكنه ، وعثت في أيامه الجنود والأعراب ، وأتوا بجور بقي في القلوب أثره ، وفي السماع خبره .

ثم اتفق جماعة من الأمراء منهم (خليل بك الأرنأوطي) وكاهيته (اوزون احمد بك) و (محمد الدباغ) و (علي قبودان المنيكشلي) و (محمود خازن دار) وتعاقدوا على الفتك بالوالي . ولما كاد امرهم ان يتم وشى بهم اليه بعض بطانتهم ممن أراد بذلك اتخاذ يد عنده ، فأوجس منهم في نفسه خيفة ثم عاجلهم بالقتل .

ثم ان الوالي الأسبق (مصطفى جلبي البهلوان) نهض من منفاه بجربة فيمن معه من الاتباع ، وخاض القفر ولحق (بنواحي الجبل الغربي) فالتفت به (أعراب المحاميد) وأعلنوا بالعصيان ، واضطرب أمر البلاد واختل نظامها وكثر الثوار وتخطف الناس من السابلة .

ونافقت أهل (غريان) وقطعوا أسباب الطاعة ، وكان قائدهم يومئذ (مراد الارنأوطي) فاتهمه الوالي وأوعز الى أمير جنده ان يبطش به فعاجله مراد ودلف اليه في لمة من اتباعه ، وصادف ذلك ملألأ من الجنود فمالت نفوسهم مع مراد . وبينا الوالي في سلوة من العيش اذ وثبوا عليه وفتكوا به .

ولاية حسين ابازه

وقدموا لولايتها حسين ابازه الذي كانت بيده قيادة الجيوش ، وكان

حسين هذا عاجز الرأي واهي العزيمة فأقر ارباب الوظائف في مناصبهم والعمال على اعمالهم واستخلص (مراد بك الأرناوطي) وصرف اليه وجوه اقباله ، وقلده قيادة الجيش. وكان جموحاً للرياسة طامحاً للاستبداد ، وكان من امره ما يأتي ذكره :

الشيخ محمد بن سعيد الهبري

وفي سنة (١٠٩٣) ثلاث وتسعين وألف توفي العارف بالله تعالى الناسك العابد الورع الزاهد ابو عبد الله الشيخ محمد بن سعيد بن عبد الحق الهبري المستغانمي .

ولد رحمه الله بمستغانم – قرية من عمل جزائر الغرب – وبها نشأ واخذ عن افاضلها وتفنن في العلوم من الاصول والفروع .

ثم ارتحل الى طرابلس واستوطنها واخذ عن الاستاذ الكبير والعلَم الشهير ، العارف بالله تعالى الشيخ سيدي (احمد النفاتي) واهتدى بهديه ، واستنار بنوره ، حتى تمكن من طريق القوم ورسخ قدمه فيها وصار من كبار العارفين بالله تعالى ، ومن اجلاء الشيوخ واكابر العلماء العاملين ، له باع طويل في تفسير القرآن العظيم والاحاديث النبوية ، والأسرار النورانية ، مذلل له القول ، ممهد له الصواب مسخر له الخطاب .

اخبر الشيخ احمد بن عبد الدائم الأنصاري قال : حدثني الشيخ (محمد بن سعيد) عن سبب قدومه لطرابلس واستقراره بها قال :

كنت متعلقاً بالبحث عن صاحب الوقت فحمت اماكن بالمغرب اسأل عنه فقيل لي انه بناحية المشرق فأتيت تونس وزرت أولياءها فقال لي رجل اعتقدت صلاحه : انه بطرابلس . فارتحلت اليها وقدمت جبل غريان فوجدت لدى ضريح من كبار اوليائها رجلاً صالحاً فقال لي : يا ولدي ان صاحب الوقت بغار تاجوراء . ووصف لي البلد والمنزل ، فخرجت من غريان صباحاً ووصلت تاجوراء قبل العصر ، وكنت ألبس قلنسوة اعطانيها رجل اعتقدت صلاحه وقال لي : ان فيها السر . فبينما انا بأزقة البلد واذا برجل عليه قلنسوة حمراء جديدة اختطف قلنسوتي والبسني قلنسوته ، فعز بي ذلك وقال لي : وهذه فيها السر ! . فسألت الرجل ، فقيل لي هو سيدي احمد ابو قطاية — المتقدم ذكره — ثم اتيت الدار التي قصدتها فخرج لي (الشيخ محمد بن الشيخ القطب سيدي علي النفاتي) فتطارحت بين يديه وتكلمت له بمرادي ، فقال لي : لم ار شيئاً سوى ما ترى من ارض ونخل ، ولكن اذهب الى ابن اخي سيدي (احمد) فانه تكلم بما تكلم به ، وهو الآن بالظهرة التي قرب المدينة يعلم القرآن العظيم ، لعل الله يفتح لك الباب على يديه ، فأتيته بالموضع فلما رأيته وجدته هو الذي رأيته في منامي ، فسلمت عليه فلم يكترث بي وغضب وتلظى واستطال علي بالعتب وقال : من دلك علي ؟ فما ازددت الا تعلقاً به . ثم قال : اما علمت ان اهل البلد يسموني احمد الكذاب ! فقلت : يا سيدي ان كنت كاذباً فأكذب معك ، والحالة التي انت عليها اكون عليها ! فحينئذ فرح وجدد لي السلام . وكان له صاحبان وهما سيدي (احمد بن شمس الدين) وسيدي (علي الاسير) وكان يبشرهما بقدومي فصرت ثالثهما

واخذت عليه ، واهتديت بهديه ، رحمهم الله تعالى وامدنا بأسرارهم .
انتهى .

[رجع] وفي هذه السنة اعني (٩٣) ثلاث وتسعين امتنع (النجيب بن محمد بن جهيم) عامل فزان من اداء الخراج وزعم انه اداه وعاد الى حاله من مصارفة الاستبداد فنهض اليه (مراد بك) الأرنأوطي في العساكر مورياً لمشارفة « برقة » ، ولما انتهى الى (الجديد) [1] اظهر لأمراء الجنود قصده ، ثم ارتحل بهم الى نواحي « فزان » وفي اليوم الثالث وصلوا ودان .

ذكر بلد ودان

وهي على (٢٤٠) مائتين وأربعين ميلاً من « مدينة سرت » لجهة الجنوب وبعدها عن طرابلس (٥٣٤) أربعة وثلاثون وخمسمائة ميل لجهة الجنوب الشرقي . فمنها (٨٩) تسعة وثمانون ميلاً الى « ترهونة » ؛ ومنها الى « أورفلة » (٩١) واحد وتسعون ميلاً ؛ ومنها الى « قصر ميمون » (١٩) تسعة عشر ميلاً ؛ ومنه الى صنم من حجارة مبني على ربوة وبقربة قرية خربة نهير يقال لها « كرزه » (٧٢) اثنان وسبعون ميلاً .

---

(١) « الجديد » قصر بسرت من الاثار العتيقة بمواطن الحسون يذخرون به ما لم يمكنهم الظعن به حين انتجاعهم .

وبسفح الجبل الذي بقرب القرية قبور وآثار عتيقة وأعمدة من الحجر المنحوت عليها نقوش وتصاوير الانسان والحيوان وهياكل متنوعة الأشكال والهيئات .

ومن كرزه الى « بونجيم » (٩٠) تسعون ميلاً ، ومنه الى « هون » (١٦٦) ستة وستون ومائة ميل ، ومن هون الى « ودان » (١٦) ستة عشر ميلا .

وينسب اليها (ابو الحسن بن أبي إسحاق الوداني) صاحب الديوان بصقلية له ادب وشعر ذكره (ابن القطاع) وانشد له :

من يشتري مني النهار بليلة لا فرق بين نجومها وصحابي
دارت على فلك السماء ونحن قد دونا على فلك من الآداب
دان الصباح ! ! ولا أتى ؟ وكأنه شيب أطل على سواد شباب

•

قال البكري : « ودان » لها قلعة حصينة . وللمدينة دروب وهي مدينتان فيهما قبيلتان من العرب « سهميون » و « حضرميون » وتسمى مدينة السهميين (دلباك) ومدينة الحضرميين (بوصى) وجامعهما واحد بين الموضعين وبين القبيلتين تنازع وتنافس يؤدي بهم ذلك مراراً الى الحرب والقتال .

وعندهم فقهاء وقراء ، واكثر معيشتهم من التمر ولهم زرع يسير يسقونه بالنضح وبينها وبين مدينة « تاجرفت » ثلاثة أيام . انتهى .

•

[رجع] ثم لحق مراد بك لقرية (دليم) [1] فزحف اليه العامل في جموعه وتواقعوا فهلك النجيب واختل مصافه واستأمن اخوتـــه (مراد بك) فأمنهم .

ثم قدم مرزق وتبوأها وضبط خزانتها ولم يغير على التجار والرعية لامتلاء يده بما وجده وبخزانة العامل ، ولما تمهد الهناء استعمل عليها (محمد الناصر) وانقلب مؤبداً .

ولما قفل حدثته نفسه برفت الوالي فأمر جنود الثغر بالقبض عليه فقبضوه ونفي الى جربـــة في منتصف جمادى الآخرة سنة (١٠٩٤) أربع وتسعين وألف .

ولاية عبد الله الروم ايليلي

وولي عبد الله الروم ايليلي مـــن أمراء جنود الجزائر وكان منتشر الرأي فتغلب عليه (مراد بك الأرناوودي) ولم يكن له الا الاسم فاستضعف الجند أمره وأنفوا من استبداد مراد بك .

وفي يوم الاثنين الموافق لخامس رجب هجموا عليه وقبضوه ونفوه لسنة وثمانية عشر يوماً من ولايته .

---

(١) قرية بعدها عن مرزق نحو ست ساعات .

ولاية عبد الله الازميرلي

وقدموا لولايتها الحاج عبد الله الازميرلي وكان على نسج سلفه من العجز فاستبد عليه (مراد بك) ايضاً .

ولما رأت حكومة (اسبانيا) ما حل بطرابلس من الارتباك وضعف الحامية طمعت في الاستيلاء عليها وبعثت بأسطولها . وجاء في في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة وحاصر البلد ورموها بالمدافع ولم تكن في قلاعها يومئذ قوة كافية لدفاعهم فدهش الساكن واستولى الرعب .

فعقد الوالي مجلساً من الأعيان والأمراء منهم « عبد الله الرجيبي » و « عمر فشلوم » وفاوضهم فيما ألمّ بهم فاتفقوا على مدافعة هذه الأساطيل بغرامة حربية .

ثم أمرهم الوالي بمشورة مراد بك فأجاب « بأن المدينة اذا كانت حاضرة البحر ، ولم يكن بساحتها عمران القبائل !.. ولا موضعها متوعر من الجبل !.. كانت في غرة للبيات !.. وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها . وتحريقه لها لما يأمن من عدم وجود الصريخ لها ... والرأي السديد ... أن تتركوا هذه البلدة للعدو ؛ وأختط لكم بلداً (بالهاني) – موضع يبعد عن الثغر بنحو ساعة – أحسن منها سهلة المرافق ، حصينة المعاقل ، ويصعب منالها على العدو ، ويتضاعف امتناعها وحصنها بموضعها الطبيعي !!.. » فتلطف أولئك الأعيان في

الرد عليه ، وصرفوا له وجوه المداهنة وجعلوا ذلك ذريعة لبغيتهم حتى تسهل لوفاقهم على عقد الصلح ، والعقد على مـــا وقع عليه اتفاق الطرفين من الشروط . وأقلعت الأساطيل وانقشع الجو .

ثم توجه (مراد بك) لاستشراف عمل (ترهونه) وخيم على عين هناك تسمى (وزغه) [1] فبلغه مـــا أغضبه على (حسين قبودان الفلايجي) فأوعز الى الوالي في طلبه للفتك به فتقبض عليه في الخامس عشر من ربيع الآخر سنة (١٠٩٧) سبع وتسعين وألف ، وسيق الى مراد في طائفة من أتباعه . ولما بلغوا به (مقبرة سيدي حموده) صادفوا جماعة مـــن الجند فاستصرخهم حسين قبودان فخلصوه منهم ونقموا على الوالي سوء السير . وفي الرابع والعشرين من هـــذا الشهر وثبوا عليه وحبسوه وقتلوا عامة خواصه وأتباعه لسنتين وتسعة أشهر وعشرة أيام من ولايته .

ولاية ابراهيم طاي التارزي

وولي ابراهيم طاي التارزي ، وكان شجاعاً حازماً مرهوب الحد . وبعث العمال وجعل قائد جيشه (محمد صقال دليسي) و (حسين القلايجي) كاهيته ونفذت أوامره في الجهات .

ثم أجمع عـــلى الفتك بمراد بك وصرف اليه وجوه عزائمه فجهز

(١) وهي عذبة الماء بعدها عن الثغر نحو اثنتي عشرة ساعة .

العساكر وبعثهم لقتاله مع قائد جيشه (محمد بك) وانضم اليهم (عربان المحاميد) والتقوا بمراد بك في جموعه بعرقوب تاجوراء. واحتربوا حروباً هائلة هلك فيها مراد واستلحموا أتباعه وذهب جمعهم شعاعاً ، ثم انقلبت العساكر أعزة ظاهرين .

واستمر ابراهيم طاي والياً الى أواخر شهر ذي الحجة سنة (١٠٩٨) ثمان وتسعين وألف . وبينما هو في غفلة من العيش اذ ثارت الجنود ووثب عليه أولئك الثعالب وفتكوا به لعشرة أشهر من ولايته .

ولاية محمد باشا شائب العين

وولي (محمد باشا الامام شائب العين القاره طاغلي) وأتاه التقليد من خليفة العصر (السلطان محمد خان الرابع) فتمكن به ونفذت أوامره وبسط في الناس العدل . وكان خيراً تقياً نزيه النفس واسع الصدر حسن اللقاء ذا رأي وحزم وروية . وله مشاركة علمية ، مؤثراً للانصاف ، متجانفاً عن العنف شديداً على العمال ، رادعاً لعدوانهم . ووجه أنظاره لتحصين القلاع والأساطيل الحربية . وأسس الجامع الجسيم الكائن بداخل الثغر والسوق الذي باتصاله المعروف بسوق الترك ، وكان من خبره ما يأتي ذكره :

خلافة السلطان سليمان خان الثاني

وفي سنة (١٠٩٩) تسع وتسعين وألف صار فراغ (السلطان محمد

الرابع) وكانت مدة خلافته أربعين سنة وخمسة أشهر ، وبويع بالخلافة أخوه (السلطان سليمان خان الثاني ابن السلطان ابراهيم خان) ، وكان رحمه الله تعالى ملكاً عظيماً جليلاً ترنو اليه الأبصار وتمتـــد نحوه الأعناق بمـــا أولى من صنع الجميل وحاز من كرم الخلال ، وكانت أوصافه كلها دررا ، وأيامه غررا .

[رجع] ثم ان حسين القلايجي كاهية محمد باشا جرى في شأو رياسته طلقـــا ، واحتوت عليه شدة الجهالة وحدثته نفسه بالاستبداد واستمال اليه من امراء الجند (مصطفى صيريك) و (ابراهيم صيغه جقلي) وأتوا بما أوغر صدر (محمد باشا) عليهم فأسرها في نفسه ولم يغير من حاله .

ثم في العشرين مـــن محرم سنة (١١٠١) احدى ومائـــة والف جهز خمسة أساطيـــل حربية وبعثهم فيهـــا للغزو فغنموا أسطولاً حربياً وانقلبوا به . ولما وصلوا الى الثغر عاجلهم محمد باشا وأوعز الى الجنود بالفتك بهم ، فقبضوا عليهم وقتلوهم بالجزيرة التي بالمرسى وجعلهم عبرة ظاهرة . ثم اتفق جماعة من الجنود على الفتك بمحمد باشا فامتعض لذلك خليل بك القاره طاغلي وعاجلهم بالقتل . وانتهى خبره للوالي فسر بما فعله وصرف اليه وجوه اقباله ، وقلده قيادة بعض العساكر ثم صاهره . وكان خليل بك هذا ثبت الجنان . وسافر عدة أسفار ناجحة أشاب فيها غنائم وافرة ، واستمر محمد باشا والياً الى ان كان من أمره ما يأتي ذكره .

الشيخ محمد بن مقيل

الامام العلامة . الحجة الفهامة . الفقيه الصوفي . صاحب العلوم اللدنية . والمعارف القدسية .

ولد رحمه الله تعالى بطرابلس سنة (١٠٥٤) أربع وخمسين وألف ونشأ بها وقرأ العلوم على مشايخ عصره . وخدم الاستاذ (احمد المكني) وتلمذ له ونال علماً وافراً ، واشتهر بالفضل ، والذكاء ، وجودة الطبع ، وحسن الشعر ، والفصاحة ، في النظم والنثر . وكان احد الائمة المبرزين المتبحرين في العربية والفقه في مذهب (الامام مالك) رضي الله عنه .

وتولى الإفتاء وحسنت سيرتـــه ولم تكن له رحلة . ومن نظمه يخاطب الاستاذ محمدا الامام المتقدم ذكره لما وفد على طرابلس :

لقـــد لاح في أفق الذكاء ذكاء به انجاب عن وجه العويص غطاء
وما هو الا الأوحد الجهبذ الذي عليـــه بمضمار الفحول لواء
امام همام قـــد علا منبر العلى فأفحم مـن تبيانـه البلغاء
رئيس لـــه سلطان كل رياسة اذا مـــا تراءى قهقهر البلغاء
هو البارع البحر العبـــاب محمد امـــام له بابن الامـــام جلاء
اليـــه مقاليد البراعـــة سلمت فحق لهـــا فخر بـــه وعلاء

لطائفه جلّت فكم من أفاضل أماثـــل أعيان لهـــا خطباء
ومنهـــا شموس كالغزالة مسبل عليها حجاب اللغز وهي ضياء
وتؤنس في دار الدجا ووصالهـــا ووصل المـــلاح الغانيات سواء
اذا لمحت تضني بلدغـــة لحظها ومن شهدهـــا للذائقين شفـــاء
فهذا خطاب كاشف السر كاسها لتقصيره والعجز فيه وفـــاء
فلا زلت حبراً للفوائـــد لافظاً نفائس منهـــا تنفق الأدبـــاء

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الأحد الموافق لتسع من جمادى الأولى سنة (١١٠٠) مائة وألف .

الشيخ احمد المكني

الفقيه العلامة العارف بالله تعالى الشيخ أحمد بن محمد المكني ولد رحمه الله تعالى بطرابلس سنة (١٠٤٢) اثنتين وأربعين وألف ونشأ بها وحضر مجالس العلم والعرفان وصحب المشايخ ومشاهير الفضلاء من أهل زمانه . وجمع علم الشريعة والحقيقة ومهر في علوم الفقه حتى صار فقيه عصره ، والمشار اليه في مصره ، وتولى الإفتاء بنفس الثغر وكان لا تأخذه في الله لومة لائم . ثم تخلى عن الافتاء وقنع وتورع وأعرض عن الشهوات فأصبح زاهـــداً عابداً متقشفاً . وجرت منه دعوات مجابة وظهرت له كرامات خارقة للعادة ومن مؤلفاته « شكر المنة في نصر السنة » .

قال الأستاذ أبو سالم العياشي رحمه الله : وممـــن لقيته بطرابلس فقيهها الشيخ الذكي ، الفقيه اللوذعي ، خير خلف عن خير سلف ، سيدي أحمد المكني. بيته بيت علم من لدن أسلافه الكرام ، وأبوه سيدي محمد المكني كان أعلم أهل ذلك الساحل ، تولى الفتوى ببلده مراراً واشتغل بالتدريس وله مشاركة حسنة في فنون كثيرة. توفي قريباً مـــن سنة (١٠٥٦) ست وخمسين وألف ولم يخلف الا ولده هذا. واشتغل بالقراءة على شيخنا سيدي (محمد بن مساهل) وعلى غيره. وكان له ذكاء عقل وزيادة نبل ، فمهر في فنون عديدة وفاق أقرانه ، فلما عدل شيخنا (ابن مساهل) عن الفتوى حسبما تقـــدم تولاها هو فحمدت سيرته فيها وظهرت نجابته وسدد في فتواه. وولي ايضاً تدريس الجامع الكبير والخطبة والأمامة ؛ لقيته بداره واستعرت منه (المطول لسعد الدين) فأعاره لي ؛ وكانت له خزانة ليس مثلها لأحد من أهل بلده ، ثم استعرت منه بعد ذلك (العضد على مختصر ابن الحاجب) وكان ذلك قرب رحلتنا فأعاره لي وكتبت له مـــع الرسول بيتين وهما :

فمنوا به قبل الرحيل لنا كما تفضلتم مـــن قبله بالمطول
فانكم أهـــل لكل فضيلة كما انكم أهل لكل تفضل

خلافة السلطان أحمد خان الثاني

وفي رمضان سنة (١١٠٢) اثنتين ومائة وألف ارتحل « السلطان

سليان » الى دار الجنان ، وجوار الرحمن ، عامله الله تعالى بالكرامة والرضوان ، لثلاث سنين وتسعة أشهر من خلافته ، وبويع بعده أخوه « السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان » وطلع في افـــق الخلافة بدراً تِمّاً ، وصدع بأنواع الفخار فجلا ظلاماً وظلماً ، وكان مطمحاً للهمم ، ومرمىً لآمال الأمم .

[رجع] وفي هذه السنة نقض (محمد باشا) الصلح الذي ابرمه سلفه (الحاج عبد الله الازميرلي) مع حكومة (اسبانيا) فبعث خمسة عشر اسطولاً حربياً للمقاتلة ووصلوا الثغر في التاسع والعشرين من رمضان هذه السنة ، وركبت العساكر وأهل البلاد القلاع وتواقعوا بالمدافع ، وكشفت الحرب عن ساقها وحمي الوطيس وهبت الريح المبشرة فخفقت لها رايات محمد باشا وظفروا عليهم ، وانقلب اصحاب اولئك الاساطيل مهيضي الجناح مفلولي الحد عفواً باليأس ، وانقشع الجو وأضاء الأفق .

ثم اتفق ان هذه الدولة اسرت (خليل بك صهر الوالي) وغنمت أسطوله فاتخذت ذلك وسيلة لطلبها من عقد الصلح ، وبعث مندوبها لذلك ، فتسهل محمد باشا وانبرم الصلح على تأييد العهد الأول وأن يكون فداء كل مسلم بنصراني ، ومن زاد عنده أسير ففداؤه مائة وخمسون ريالاً .

وفي سنة (١١٠٥) خمس ومائة وألف طمح (محمد بك) والي تونس وحدثتــه نفسه على جبايــة اهــالي تونس وأعمالها الموطنين

بطرابلس ، وأشرب لفرض الخراج عليهم والزامهم بالمغارم ، فشق ذلك على محمد باشا ، ثم وافاه كتاب من (شعبان خوجه) والي جزائر الغرب يومئذ واظهر له ان محمد بك يريد الاستيلاء على طرابلس والجزائر . واستماله لحربه ، فاستشار هذا الامر دفين حقده وجهز له اسطولاً مشحوناً بالعساكر ونزلوا (ببونة) وانضموا لعساكر الجزائر ، وقصدوا محمد بك فنهض لدفاعهم واحتربوا فكانت الهزيمة عليه . واول من انهزم من جنده (فرحات بن القائد حسن) وكان على العرب . واستولى (شعبان خوجه) على محال (محمد بك) بجميع ما فيها ، ونجا بنفسه الى تونس وشرع في تحصين القلاع والحاضرة ، وجمع الجند للمدافعة واستعد لذلك ، فأتى (شعبان خوجه) في العساكر ونزل (الحريرية) في ذي الحجة من هذه السنة .

وفي يوم نزولهم خرج (محمد بك) لقتالهم ووقعت ملحمة فقتل فيها من الفريقين عدد كثير ثم لاذوا بالحصار ورموا البلد بالمدافع ودخلت (قلعة غار الملح) في طاعته فاستولى على ما فيها من السفن والعدة . ودام حصار تونس ثلاثة أشهر واشتد الخناق على (محمد بك) وتخذل عنه بعض قواده . ورأى انه أحيط به فاتخذ الليل مركباً ونجا بنفسه ليلة السبت الموافق للرابع والعشرين من ربيع الأول سنة (١١٠٦) ست ومائة وألف وخلص الى (القيروان) فغلق أهلها الباب دونه ، فخرج الى الصحراء ، وأصحر معه من تبعه وأقام بها . وبعد فراره خرج اهل البلد الى شعبان خوجه فطلبوا منه الأمان فأمنهم ، ومن الغد ارتحل الى بلده وبعث عسكره وعسكر طرابلس في البحر في مراكب تونس وولى (محمد بن شكر) .

خلافة السلطان مصطفى خان الثاني

وفي هذه السنة ارتحل (السلطان أحمد خان الثاني) الى دار البقا روّح الله روحه ، ونور ضريحه ، ومدة ملكه ثلاث سنين وثمانية أشهر وبويع بالخلافة بعده (السلطان مصطفى خان الثاني ابن السلطان محمد خان الرابع ابن ابراهيم) وكان محباً للعلوم ، والمعارف ، متديناً ، عادلاً ، وعلى جانب عظيم من الرقة ، والحذق ، وكانت أيامه مواسم ، وثغوره بواسم ، ولياليه كلها دررا ، وللزمان حجولاً وغرراً .

•

[رجع] وفي هذه السنة أعني سنة (١١٠٦) ست ومائة وألف خالف (الناصر) عامل فزان وجاهر بالعدوان ، فسرح اليه محمد باشا (يوسف بك) في العساكر فارتحل لقصده وقدم مرزق فبرز اليه العامل في جموعه وتواقعوا فاختل مصاف العامل وتخاذل أنصاره ولاذ بطلب الأمـان فأمنه ، ووضع أوزار الحرب وتبوأ البلد بعسكره واستباحها ، ثم استعمل عليها (محمد المكني) وسيق الناصر الى طرابلس واعتقل بها ، ولما تمهد الأمن انقلب الجنود أعزة ظاهرين واستمر محمد المكني في عمله خمسة أشهر .

ثم في محرم سنة (١١٠٧) سبع ومائة وألف ثار أهل البلد به وتقبضوا عليه ومثلوا بقتله واستقدموا (تمام ابن جهيم) من مكانه

بالسودان وولوه أمرهم . وكتبوا لمحمد باشا بالطاعة والانحياش والالتزام بالمغارم والخراج ، فبعث اليهم (عليا المكني) في العساكر . ولما شارف مرزق استقبله تمام في لمة من أتباعه ومكنه من دخول مرزق فدخلها من غير ممانع .

ثم انتزى (محمد بن جهيم) على جهات « وادي الخرمان » وردد الغزو والغارات على تلك البسايط فارتحل اليه (علي المكني) في طائفة من الجنود ، وخيم بأزاء القلعة التي بالوادي . فزحف اليه محمد بن جهيم في جموعه ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهور لمحمد بن جهيم ونجا علي المكني في فله الى مرزق واعتصم بها . وتبعه محمد بن جهيم واقتحم عليه البلد عنوة وتقبض عليه واعتقله « بالقصر الأحمر » الذي بسبهة . ثم تساقط الخبر الى (محمد باشا) فاضطرم ، ثم أحضر الناصر عامل فزان الأول من محبسه وتجاوز عن ذنبه ومهد عذره وأسنى له العطية وبالغ في اكرامه وأعاده في قوة كافية الى بلده في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة (١١٠٨) ثمان ومائة وألف . وفيها ثار (منصور بن خليفة) بنواحي سرت والتف به من كان بتلك الضواحي من جفاة الأعراب وأجلافهم وصغت أذانهم لناعق فتنته وشنوا الغارات وأظهروا النفاق . فجهز محمد باشا اليهم العساكر مع (يوسف بك) ، وانتهوا اليهم في أواخر رجب من هذه السنة وأحتربوا بظاهر « أم الجن » — موضع بين تاورغا والهيشة — ودارت بينهم حروب شديدة اختل فيها مصاف الجند وهلك الكثير منهم . وأخلص يوسف في فله لطرابلس ، وفارق « منصور بن خليفة » مكان ثورة ولحق في جموعة بأرض « برقة » . فأوعز محمد باشا لمحمد

ابن محمود عامله يومئذ على الجبل الأخضر بالقبض على منصور ، فخرج لقصده بما كان لديه من الجنود وأهل الغابة و « أولاد برعوص » و « أولاد علي » وتزاحفوا ببرقة واحتربوا حروبا هائلة هلك فيها الكثير من أتباع (منصور) واثخنوا فيهم وشردت رواحلهم . ونجا منصور الى ضواحي سرت مفلول الجناح ؛ ثم جمع أوباشاً من العرب ممن يلتمس الرزق بسلاحه ، وعاودوا عيثهم وطلوعهم بسوم الخسف والنهب وتخطف الناس من السابلة ، وأنكر ذلك من فعلهم أولاد الجنود المعروفون (بالقول أوغليه) المقيمون بنواحي « مسراته » و (اولاد عبد الرحمن الجبالي) و (أولاد زيان) و (أولاد سلطان التاورغيين) و (بني معدان) ، واجتمعوا على (عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي) سنة (١١٠٩) تسع ومائة والف وارتحل بهم لقتاله . ونشبت الحروب بين الفريقين فانهزمت جموع (منصور بن خليفة) وتناولتهم أيدي الهلاك بكل مهلك قطعاً بالرماح وهبراً بالسيوف ، وشدخاً بالعصي ، والحجارة ، حتى استلحموا وأجلت المعركة عن (منصور بن خليفة) صريعاً وانقطع أثره .

وفي سنة (١١١١) احدى عشرة ومائة والف جاهر (عبد الله ابن عبد النبي الصنهاجي) بالعصيان والشقاوة وكشف فيها قناعه وجمع أوباشاً من الأعراب وجفاتهم وكل ناعق ، وانتزى على أعمال طرابلس الشرقية وكبس على قرى « يزليبن » و « تاورغا » واقتحمهم بالغارة وأفسد السابلة وأنسف الزروع وتمادى في غوايته وقصد « مسراتة » وبالغ عاملها يومئذ في مدافعته بحيث لم يجد فرصة ينتهزها ولا غفلة يغتنمها . ولما اتصل بمحمد باشا الخبر صرف الى ردعه وجوه عزائمه

وسرح اليه (خليل بك) في العساكر والتقى به في جموعه بوادي أحسان[1] وذاقهم نكال الحرب وحصرهم في محاجرهم ومضايقهم وأخذ بمتنفسهم وسامهم سوء العذاب واستباح ذمارهم وافترقت جموعهم . ونجا عبد الله الى الصحراء مهيض الجناح عفوا باليأس ؛ ورفع (خليل بك) عن الرعية ما نالهم من عدوانهم . ولما تمهد الهناء انقلب منجحاً مظفراً .

وفي سنة (١١١٢) اثنتي عشرة ومائة والف خرج (خليل بك) في العساكر لتمهيد الاعمال الغربية . ولما قدم بهم (شكشوك)[2] اختلف عليه الجند وانقلبوا الى طرابلس ووثبوا على محمد باشا في الحادي عشر من شهر ذي القعدة من هذه السنة وتقبضوا عليه وأمنوه على أن يخرج عن طرابلس فسار الى دار الخلافة لأربع عشرة سنة واحد عشر يوماً من ولايته .

ولاية عثمان الدرغتلي

وولوا عثمان الدارغتلي أحد أصناف باعة القهوة بسوق الترك ولحق

---

(١) وهو محرث لاهل تاورغا على نحو خمسين ميلا منها لجهة الشمال الغربي .

(٢) قرية صغيرة بسفح (جبل نفوسه) بها قوم من المحاميد وهي قليلة الشجر والنخيل .

خليل بك بتونس واستقر بها عند واليها يومئذ (مراد بك بن محمد ابن مراد) في خير جوار وكرامة وجراية ثم انتقل منها الى دار الخلافة العلية ولحق بصهره محمد باشا .

وكان عثمان هذا فظاً ذا جفاء وغلظة عاجزاً عن القيام بأعباء الولاية وكان من امره ما يأتي ذكره :

السيد سعيد الشريف

الشيخ العارف ، مستجمع العلوم والمعارف ، فريد عصره وأوانه . تولد بمدينة طرابلس الغرب وكان والده نقيب الأشراف بها ، وحفظ بها القرآن العظيم وتفقه ، ثم قدم الى مدينة تونس وأخذ عن مشايخ أجلة منهم الشيخ العلامة (محمد القماد) وعن الشيخ قدوة العلماء سيدي (عبد القادر الجبالي) وعن الشيخ سيدي (محمد فتاتة) وعن الشيخ (جعفر قرباصه) وعن الشيخ (علي الاندلسي) وغيرهم من علماء الوقت . وانتهت اليه الرياسة واليد الطولى في المعقول والمنقول ، وبلغ المرتبة العلياء في النحو واللغة والمنطق والمعاني والبيان وعلم الحديث ومصطلحه . وأخذ عنه أجلاء العصر واستفادوا منه كثيراً . وهو شيخ مشايخ عصره في العلم والبركة والدين ، محقق مدقق ، صرف مدة عمره في التدريس ، أفاد وأجاد ورحلت اليه الناس من أقاصي البلاد وأخذوا عنه . وكان يقسم الليل ثلاثاً : ثلثاً للمطالعة . وثلثاً للنوم . وثلثاً للقيام والعبادة . وكان صاحب كشف واشارات لا يخاف الحكام ، وكان

ذا هيبة ووقار ، ويقرأ كتب المعقول عن تحقيق . وله باع طويل في قراءة مختصر الشيخ خليل . وكان إذا حضر مجلساً واجتمعت فيه العلماء لا يؤخذ الا بقوله . وكان متيناً في الديانة تخرج عليه خلف . درّس بجامعة الزيتونة درسين ، فكان يدرس في الصباح ألفية المصطلح وقطب الدين الشيرازي على الشمسية في المنطق ومختصر التفتازاني على التلخيص قراءة تحقيق في جميعها . ويجلس بعد الظهر بـــه ايضاً لإقراء مختصر الشيخ خليل الى قرب العصر قراءة تحقيق أيضاً ، وكان له قـــدم في الطريقة ربما كاشف ؛ توفي رحمه الله سنة (١١١٢) .

العارف بالله الشيخ أحمد البهلول

وفي ليلة السبت الموافق للثاني مـــن رجب سنة (١١١٣) ثلاث عشرة ومائـــة والف توفي العارف بالله تعالى : طود العلم المنيف ، وعضد الدين الحنيف ، ومالك أزمة التأليف ، عالم الصلحاء وصالح العلماء ، شهير الكرامات ، كبير المقامات ، الأستاذ أحمد الملقب بالبهلول (ابن حسين بن احمد بن محمد بن علي بن احمد بن قائد بن احمد بن سيد الناس) .

ولد رحمه الله تعالى بطرابلس ونشأ بهـــا على الاستقامة والصلاح والاهتداء ، وارتحل في طلب العلم الى مصر ولقي بها الشيخ (أحمد البشيشي الكبير) و (الشيخ محمد الخرشي) و (الشيخ عبد الباقي الزرقاني) و (الشيخ الشرنبلالي) وعـــدة أفاضل . وروى الحديث

وتفقـــه بهم في كل العلوم . وناظر وأخـــذ بحظ وافر وعاد الى طرابلس .

وكان رحمه الله غزير المادة ، باهراً في الرواية ، والدراية ، كلفا بالمعاني البديعة ، والألفاظ الصقيلة ، وله القصائد المشهورة البلاغة . منها (تخميسه العياضية ، في مـــدح خير البرية) فاق فيه الأصل ؛ وله الرسائل المشهورة الفصاحة ، والآداب السنية (كالمقامة الثورية) واختصر (العزية) نظماً رايقاً سالماً من الحشو . وله منظومة في العقائد سماها (درة العقائد) وهي سبعون بيتاً لم ير مثلها في سلاسة النظم وعذوبة اللفظ تهب ريح المعرفة مـــن أرواحها ، وتسقط لؤلؤ اليقين على باسم أزهارها ، وله منظومة في مذهب « الامام الأعظم أبي حنيفة » رضي الله تعالى عنه سماهـــا (المعينة) . وكان رحمه الله علامة عصره في كل العلوم ففي اي علم تكلم اعجز فحوله وأفحم بلغاءه وقد مدحـــه الأفاضل بغرر القصائد فمما مدح به :

يا فاضلاً فضله بين الورى ظهرا
وعاقلاً وهو بالبهلول قـــد شهرا

ويا فقيهاً له في الفقـــه مرتبة
أبدى بها سر ما أخفى من اختصرا

وعالمـــاً بتقارير « الشفاء » شفى
أمراض قلب الذي في درسه حضرا

وصح لمـــا روى عنه مشافهـــة
(صحيح متن البخاري) وارتوى دررا

لقد حباك إ'له العرش جل بما
حباك مما بـه قد صرت مشتهرا
يا ابن الحسين جزاك الله مكرمة
أبديت في كل علم للورى عبرا
(عزيـة الشاذلي) كانت منثرة
نظمتها فعلت قدرا علـى النـُظرا
وفي العقائـد أبديت لمشتغل
بعلمها (درة) قد فاقت الدررا
كفاك في مذهب النعمان نظمكم
(معينة) سِرها في السالكين سرى
وكم مسائل قـد كانت مشتتة
جمعتها فغدت كالدر حين يرى
يا أيها العلـَم الفرد الذي افتخرت
بـه طرابلس لما أن بها اشتهرا
دامت عليك من المولى نعائمـه
ولا برحت بسِرّ الله مستترا
ودمتمو قبلـة للقاصدين ولا
زالت فضائلكم في العالمين ترى
بجاه « أحمد » خير العالمين ومن
على البراق الى السبع الطباق سرى

عليـــه والآل والأصحاب قاطبة
تحية عُرفها قـــد أخجل الزهرا

* * *

رحمه الله تعالى ونفعنا باسرار علومه .

* * *

[رجع] ولم يزل عثمان هذا والياً الى غرة ربيع الأول من هذه السنة فثار عليه جنود اليكيجرية ووثبوا عليه وقبضوه لثلاثة أشهر وعشرين يوماً من ولايته .

ولاية الحاج مصطفى الكليبوليلي

وقدموا لولايتها الحاج مصطفى الكليبوليلي وجعل كاهيته (مصطفى شوكلار) وأقر أرباب الوظائف والعمال في مناصبهم وأعمالهم . وكان سيىء الخلق شديد الوطأة فبسط في الناس يد الجور وسامهم الخسف واضطربت في أيامه المسكوكات واشتد على الناس عسفه .

وفي أوائل رجب من هـــذه السنة انتقضت أهالي غريان وأعلنوا بالنفاق فجهز الجنود وعقد عليهم (لسعيد بن المنتصر الزموري) فقدمها وأثخن فيهم حتى استقاموا على الطاعة .

ثم ان (خليل بك) المتقدم ذكره عمر أسطولاً وقـدم نواحي طرابلس ونزل على (الزعفران)[1] .

ووفد هنالك على (عبد الله بن حموده الجبالي ابو طرطور) لذمة حلف قديم كان بينهما فاهتز لقدومه واحتفل للقائه وانتقض له واحتشد العرب وصادف ذلك ملالاً من الرعية من سوء ادارة هذا الوالي فانقاد اليه من كان بتلك الضواحي من القبل فاستفحل أمره وكبر شأنـــه وأصفق الملأ على ولايته .

ثم اجمع (خليل بك) الرحلة الى طرابلس فنهض اليها في جمهور أتباعه ، وانتهى الى الوالي خبره فعسكر بخارج الثغر وأزاح العلل واستخلف كاهيته (مصطفى شوكلار) على البلد وارتحل للقائه ؛ ولما انتهى الى (وادي السماره) لحق خليل بك بطرابلس من جهة الساحل وخيم عليها فمكنه منها وكيل الوالي لما بينهما من المودة القديمة .

ولاية خليل باشا

وتبوأ خليل باشا المدينة في ربيع الآخر سنة (١١١٤) أربع عشرة ومائة وألف من غير ممانع ونزل بقصر الحكومة واستولى على البلد .

---

(١) وهو موضع بضواحي مسراتة عـــلى بعد (١٩٢) ميلا منها لجهة الجنوب الشرقي . وهو أحساء في ساحـــل البحر ماؤها طيب . عليها كثيبان من الرمل الأحمر يظهر مـــن بعيد . ومن وراء الكثبان من ناحية البر (قصور سرت) المتقدم ذكرها . وقـــد اشتهر في تلك النواحي أن الابل اذا خرجت بأذنابها الديدان من لسع الذباب لها ؟.. اوردوها ماءه . فاذا شربته تساقط ما بهـــا من الدود .

ثم ان جند سلفه (الحاج مصطفى الكليبوليلي) انتقضوا عليه وقبضوه ومكنوه من خليل باشا فبعثه الى « تاورغا » وأوعز الى عاملها يومئذ (محمد بن علاق) بقتله فقتله وصفا الجو لخليل باشا وأتاه الفرمان العالي الشان من أمير المؤمنين (السلطان مصطفى خان الثاني) بتقليد الولاية لعهدته فتمكن به وتقررت ولايته .

وكان عزيز النفس ثاقب الفكر عالي الهمة شجاعاً مرهوب الحد فبعث العمال وأمن السرب وبسط في الناس العدل ودنت القاصية .

وصرف الى مشاقيه من أهل غريان وجوه عزايمه وأمها في العساكر وأذاقهم نكال الحرب وسامهم سوء العذاب وجاس خلال ديارهم وأثخن فيهم حتى احتازوا على الطاعة وراجعوا الحق وأخلصوا في الانحياش ورجعوا الى ما ألفوه من الغرامة وقوانين الخراج . ولما تمهدت العافية انقلب منجحا مظفرا .

وأنشأ ضربخانة للمسكوكات واتخذ الألبسة الرسمية المطرزة بالفضة في الأعياد وأصلح شأن دار صناعة الأساطيل الحربية واكتسب شهرة في الحروبات البحرية وأنشأ الجامع الكبير الذي بالمنشية وأقام بالأمر أحسن قيام الى أن كان من خبره ما يأتي ذكره !

خلافة السلطان أحمد خان الثالث

وفي سنة (١١١٥) خمس عشرة ومائة وألف صار فراغ « السلطان مصطفى خان الثاني) لثماني سنين وأربعة أشهر من خلافته وأفضت

الخلافة لأخيه (السلطان أحمد خان الثالث ابن السلطان محمد الرابع) وكان رحمه الله تعالى ملكا هماما ، وأسداً ضرغامـا ، وللدهر جمالا ، وللاسلام ثمالا ، وللمستجير مجيرا ، وللمظلوم وليا ونصيرا .

•

[رجع] وفي هذه السنة استقدم خليل باشا صهره (محمد باشا) فقدم وبقي بطرابلس الى ان مات رحمه الله ودفن بالتربة المخصوصة به التي بلصق جامعه .

وفيها وجه (مراد باي) والي تونس رسلا الى الجزائر بهدية لصاحبها ، فردها عليه وأظهر له العداوة ، فاستشاط غضبا وعزم على غزوهم ؛ وجمع خيله ورجله وكتب الى (خليل باشا) يطلب منه المعاضدة وخرج بمحلة يجر خمسة وعشرين مدفعاً وشارف « قسنطينة » فزحف اليه عاملها (علي خوجه) في جموعه ، وأوقع بهـا وأثخن فيهم وأسرف في القتل . ولما وصل «قسنطينة » امتنعت عليه فأمن أهلها فلم يثقوا بأمانه . ثم ملك القلعة التي بظاهرها عنوة وقتل جميع من بها وأرسل مدافعها الى تونس ثم استأصلها بالهدم .

ووافاه خليل باشا والي طرابلس في جموعه وهو على قسنطينة فأكرمه واعتضد به في حصارها خمسة أشهر ، فأتاه صاحب الجزائر بمحلة . ولما التقى الجمعان كانت الهزيمة على مراد بك وخليل باشا ومن معهما بمحل يعرف بجوامع العلماء وذلك في السابع عشر من ربيع الثاني من هذه السنة ، وقتل الكثير من عسكرهما ونجا (مراد بك)

الى الكاف مفلولاً ومنه الى تونس . ثم كافأ خليل باشا والي طرابلس بأن أباح له « القيروان » وأطلق يده فيها وفي أهلها فتوجه لها بعسكره فدخلها ونهبها وسبى النسوة والذراري وانقلب الى طرابلس .

محاصرة ابراهيم بك الشريف طرابلس

وفي سنة (١١١٦) ست عشرة ومائة وألف خرج والي تونس يومئذ (ابراهيم بك الشريف) في العساكر لقتال طرابلس . وسببه ان واليها خليل باشا المتقدم ذكره كان بينه وبين (مراد بك) والي تونس السابق مودة محكمة وآسفه ما وقع بمراد بك من فتك ابراهيم الشريف هذا ، فغضب لذلك ونصب العداوة له . واتفق ان جاءت هدية من بعض البايات بمصر لابراهيم الشريف فانتزعها « خليل باشا » من يد حاملها غصباً ، كما اتفق أن الريح ألجأت سفينة تونسية الى مرسى طرابلس فأخذ منها خليل باشا ما اراد ليثير غضب (ابراهيم الشريف) ليكون هو المبتدي بالحرب .

فاشتد غيظه وعقد ديواناً بأعيان الجند وأعلمهم بعزمه على غزو طرابلس وقتال خليل باشا ، فوافقوه ، وصاحب الجزائر في خلال ذلك يغري كلا منهما على الآخر ويعده النصر .

فخرج (ابراهيم الشريف) بمحلة في جمادى الثانية من هذه السنة ، ولما شارف طرابلس خرج اليه واليها (خليل باشا) والتقى الجمعان في شعبان ، وكان الغلب لابراهيم الشريف ، وانهزم خليل باشا وقتل

الكثير من جنده وانتبهت محلته ، وأخذت مدافعه ونجا بنفسه الى طرابلس ودخلها متنكراً . فارتحل وراءه (ابراهيم الشريف) وحاصرها وضيق على أهلها ، فأرسلوا اليه يطلبون الصلح على مال جعلوه له ، وكان ذلك بواسطة كاهيته (حسن بن علي) فامتنع واغلظ . فحذره كاهيته غائلة من دعي الى الصلح ولم يجب وقال له : (ان صاحبك الذي أغضبك فر بين يديك هارباً وقتلت جنده وأعوانه !! وأخذت محلته بما فيها : فأي ذنب لأهل البلد ؟..) فصمم على قساوته فدافع الله عنهم بوقوع الطاعون في عسكره ومات به عدد كثير من الجند وكان سبباً في فرار من معه من الأعراب ، فارتحل عنها أواسط رمضان سنة (١١١٦) ست وعشرة ومائة والف ورجع الى تونس .

وفي سنة (٢١) احدى وعشرين عاد (عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي) الى حاله من قطع أسباب الطاعة والعيث وتخطف الناس من السابلة ونهب قافلة فزان ، وكان بها خراج العمل ، فتجهز (خليل باشا) وارتحل لتأديبه في أواساط شعبان من هذه السنة ، ولم يترك في البلد جيشاً ولا ممانعاً لعدم عدو يحفظها منه ، فانتزى (ابراهيم الاركلي) والتقت به أخلاط من أوباش الناس ورعاعهم ، وخيم على طرابلس يحاصرها ، ولم يكن في حساب خليل باشا أنه يحدث نفسه بذلك ، وضيق على البلد .

ولاية ابراهيم الاركلي

واقتحمها في اليوم الخامس من حصارها واستولى عليها . ولما اتصل

الخبر (بخليل باشا) التاب وتحير في امره ثم جاء فيمن معه الى « طرة المنشية » فساق عليه ابراهيم الجنود وتواقعوا سبعة ايام . ودارت بينهم حروب هائلة كانت العاقبة فيها والظهور لعساكر (ابراهيم) على (خليل باشا) وجنوده ، ولحق في فلـه (لعبد الله الجبالي أبو طرطور) واتبعه (قاره محمد الاناطوليلي) قائد جيش ابراهيم في العساكر ، والتقوا « بالشعرير » موضع معروف ، وحاربهم واثخن فيهم وتفرقت جموع (خليل باشا) وشردت رواحلهم والقتل والنهب يأخذ منهم مأخذه . ونجا خليل باشا (لأرض سرت) عفواً باليأس .

وأتبعه (قاره محمد) ، ولما وصل « عين تاورغا » لقي هنالك (عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي) في جموعه ، فحاربه وهلك عبد الله ابن عبد النبي في الجولة وتفرقت جموعه . ثم انقلب (قاره محمد) لطرابلس ولحق خليل باشا بمصر وقدم منها لدار السعادة العلية .

واستقر ابراهيم بالولاية وفتك بشيعة خليل باشا وبطانته وأبادهم نفياً وقتلاً . وبعث العمال ودانت له القاصية ثم عزل (قاره محمد) عن قيادة الجيش ونفاه للمغرب .

ثم قدم من منفاه الى « غريان » فانتقضوا له واعصوصبوا عليه ثم أجمع على محاصرة طرابلس ونهض في جموعه وقدم « تاجوراء » أواخر رجب سنة (١١٢٢) اثنتين وعشرين ومائة والف . فحشد الوالي الجنود ، وعقد (لمحمد بك الجن) عليهم . ونهض لقتالهم ولما التقى الجمعان اختل مصاف (قاره محمد) واستبيح معسكره وانتهبت فساطيطه ونجا الى الجبل مفلول الجناح وقفل (محمد بك الجن) مظفراً .

ثم في خمسة عشر رمضان من هذه السنة ثار (محمد بك الجن) بالعساكر على الوالي وحاصروه بقصر الحكومة خمسة عشر يوماً ثم ظفروا بـه وقبضوه ليلة العيد ونفوه الى الاسكندرية لسنة وشهر ونصف من ولايته .

ولاية اسماعيل خوجه

وقدموا لولايتها (اسماعيل خوجـه) – وكان اماماً بجامـع الخروبة – فتغلب عليه (محمد بك الجن) واستبد عليه بالامر والنهي فاستضعف الجند امره اوأنفوا من استبداد محمد بك الجن عليه فدخلوا عليه على حين غفلة وقبضوه في سلخ ذي القعدة من هذه السنة لشهرين من ولايته .

ولاية الحاج مصطفى طاي

وولي الحاج مصطفى طاي وأتاه الأمر عفواً صفواً لم يمد اليه يداً ولا تجشم فيه مشقة . وكان خفيف القياد فاتر الهمة فأضاع الحزم وأغفل الأمور وكثر الثوار والبغي في زمانه وتخطف الناس مـن السابلة .

وانتزى (قره محمد) المار ذكره وأجلب على قرية تاجوراء في

سلخ ذي الحجة من هذه السنة ، فبرز اليه أهلها واحتربوا فكانت الهزيمة على قاره محمد وخلص الى غريان مفلولا .

ثم نقم الجند على الوالي سوء السيرة وثاروا به أواخر جمادى الأولى سنة (١١٢٣) ثلاث وعشرين ومائة وألف . وتقبضوا عليه وقتلوه لخمسة أشهر وستة وعشرين يوماً من ولايته .

ولاية محمد أبي أميس

وقدموا لولايتها محمد أبو أميس كاتب الديوان وكان طايش الحلم ، لئيم الظفر ، لسانه سلم موادع ، وقلبه حرب منازع ، فأظهر من حسن الخلق ولين العريكة ما استمال به قلوب الجند وأعيانهم فاتفقوا على تقديمه للولاية

ولما نال قصده أسرع الى النكوص على عقبيه وأقبل على التعدي وأظهر من الجفاء والغلظة ما لم يظن منه .

ثم بعث (أحمد بك قره مانلي) أحد اعيان الجند الى غريان بكتابه ، وأوعز فيه للعامل بقتله . فشعر أحمد بك بذلك والتجأ الى أعيان الديوان فعقدوا ديواناً واتفقوا فيه على عزله وولاية (أحمد بك قره مانلي) .

وفي يوم الثلاثاء الموافق لحادي عشر من شهر جمادى الآخرة من هذه السنة وثبوا عليه وقبضوه لخمسة عشر يوماً من ولايته .

ولاية أحمد بك قره مانلي

وولي أحمد بك قره مانلي في صحوة يوم الخميس الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة (١١٢٣) ثلاث وعشرين ومائة وألف ، وبعث العمال واتخذ جمعية علمية لحسم النوازل والمحاكمات الشرعية وكان مؤثراً للعدل والانصاف لين العريكة .

ثم في الحادي والعشرين من هذا الشهر قدم (خليل باشا) الوالي الأسبق في أسطول من دار الخلافة والياً بفرمان عالي الشان ومعه ثمانمائة مقاتل فمنع من الدخول الى البلد فتوجه الى زواره ونزل بعسكره فيها . وأتته جموع من الأعراب ووفد عليه (الشيخ أحمد بن نوير) في جمع من المحاميد . ولما اتصل خبره بأحمد بك سرح العساكر لقتاله وتزاحف الفريقان « بزواغة » واحتربوا حروباً هائلة قتل فيها خليل باشا واختل مصافه ولحق فل عسكره بالأسطول واعتصموا به ثم اقلع بهم الى الاستانة .

وفي يوم الاحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٢٤) أربع وعشرين ، قدم (محمد باشا) — المشهور بجانم خواجه — للفحص عن قتل (خليل باشا) والوقوف على حقيقة الامر فاستقبله (احمد بك) بمزيد الاعتناء وبالغ في تعظيمه واكرامه كما يجب ، وتشبث (محمد باشا) بالتحقيقات فلم يتيسر له الوقوف على حقيقة

الحال لأن أحمد بك اعتنى في الدس عليه ومنع الناس عن الاجتماع به ، ثم قفل ولم يتحصل على خبر صحيح .

واستمر أحمد بك بالولاية وأتاه فرمان من أمير المؤمنين (السلطان أحمد خان الثالث) بتقليد الولاية مع توجيه رتبة بكلربكي ، فاستقر به أمره وتقررت ولايته ونفذت أوامره وأمن السرب ودانت له القاصية .

ثم في أواسط شعبان سنة (٢٥) خمس وعشرين عادت أهالي تاجوراء الى حالهم من الاستبداد وقطع اسباب الطاعة ، وانضم اليهم البعض من عشائر « ترهونة » و « اولاد حميد بن جارية » فبعث اليهم العساكر وحاربوهم وأثخنوا فيهم حتى استقاموا على الطاعة .

وفي أواخر هذه السنة خالفت أهالي « مسلاتة » ونبذوا الطاعة واعصوصبوا على رجل يدعى (ابن حسين) والتف بهم (محمد بن منصور الترهوني) – الملقب بسوق الذيب – وكل مفسد من أجلاف العرب وجفاتهم ، فخرج (أحمد باشا) لقصدهم في العساكر وحاربهم وأثخن فيهم وشتتهم ، وافترقت العساكر في كل وجه ، وجيء بهم أسرى من كل ناحية ، وتوغلوا في تلك الجبال وأذاقوهم الويل والنكال حتى انقادوا ولاذوا بطلب الأمان ، فأمنهم ورجعوا لما ألفوه من الطاعة وقوانين الخراج . ولما تمهد الهناء انقلب (أحمد باشا) بما لديه من العساكر أعزة ظاهرين .

وفي سنة (٢٧) سبع وعشرين نافق (علي بن عبد الله الصنهاجي)

والتف به كل مفسد من سكنة « الجبل الغربي » و « أودية الكمكوم » وثار بهاتيك الضواحي وشنوا الغارات واغتصبوا أموال الرعايا ونهبوا مواشيهم وانتسفوا زروعهم ، ثم فارق مكان ثورته وارتحل بأتباعه ذئاب الغارة الى نواحي « الجبل الأخضر » فلقي وفداً من العساكر ومعهم خراج « قرية أوجله » ، فوثب عليهم واغتصب الخراج وخيل الجند . ثم انقلب ونزل بجموعه بالزغفران من أرض سرت .

ولما اتصل خبره (بأحمد باشا) حشد الجند لقتاله وخرج لقصدهم في اوائل ربيع الأول من هذه السنة ؛ والتقى الجمعان وتواقعوا . ولما حمي الوطيس اختل مصاف (علي الصنهاجي) وهلك الكثير من اتباعه وأتبعت الخيل آثار المنهزمين ، واستوعبوهم قتلاً وأسراً ؛ وأجلت المعركة عن (علي الصنهاجي) وأتباعه مضجعين في مراقدهم كأنما أقعدوا للرداء ، فوطأتهم سنابك الخيل وغشيهم قتام الركاب ، وذهب ذلك الجمع شعاعاً واستولي على أموالهم ونعمهم وكافة حيواناتهم ووجد الخراج بختامه .

وفي سنة (٣٢) اثنتين وثلاثين عقد أحمد باشا لأخيه (الحاج شعبان بك) على عمل « برقة » و « بنغازي »[١] وبعثه في كتيبة من

---

(١) بنغازي – او – بني غازي » واسمها القديم (بنه ريس) او (هبيريس) : وهي مدينة من برقة كائنة شرقي طرابلس وعلى الساحل الشرقي من خليج « سدراتـه » المعروف « بجون الكبريت » وتسميه الافرنج « سيره نائيق » . بعدها عن طرابلس نحو ستمائة وخمسين ميلا . وهي في مكان سهل وارضها رملية قاحلة وفرضتها بجنوب المدينة على بعد نصف ميل منها تدعى « بجوليانة » تحيط بها صخور من جهة قبلتها ، والمدخل اليها من بين تلك الصخور .

جند اليكيجريه يقودهم ابراهيم (التريا كي) و (على الأدغم) لتمهيد تلك النواحي وتثقيف أطرافها وتطويع من كان مخالفاً من العربان وجبايتهم . فارتحل بهم الى ذلك السمت .

وكان ابراهيم هذا جموحاً للرياسة فخالف (الحاج شعبان بك) ونقم عليه سوء السيرة ، وحدثته نفسه بالاستبداد ومد عنقه للولاية وصغت آذان (علي الأدغم) وسائر الجنود لناعق فتنته ، وأطبقوا على رفت (أحمد باشا) واعتزموا لذلك من بلد « درنه » ، وكلما مروا بقبيلة دعوهـــا لموافقتهم فأجابت طوعاً او كرهاً . وقدموا « مسراتة » وأخذوا ما كان بمستودعات الحكومة المحلية التي بقصر أحمد من البارود والرصاص ، ثم قدموا منها لقرية تاجوراء . فجهز (أحمد باشا) العساكر وبعثهم لقتالهم وتزاحفوا بظاهر تاجوراء واحتربوا حروباً هائلة كانت العاقبة فيهـــا والظهور لعسكر (أحمد باشا) وافترقت جموع (ابراهيم التريا كي) وشردت رواحلهم ولحق (علي الادغم) بمصر ونجا (ابراهيم التريا كي) الى الصحراء مفلول الجناح . وانقلب الجند مظفرين وبقي ابراهيم التريا كي يتقلب في البراري الى ان هلك .

وفي سنة (٣٣) ثلاث وثلاثين ثار البعض من « بني علوان » وكان القائم بأمرهم رجل اسمه (احمد الرئيس) ووثبوا على الحاج شعبان بك وقتلوه وشنوا الغارة ، فبعث اليهم (أحمد باشا) العساكر واوقعوا بهم وشتتوهم ولحق (احمد الرئيس) في فله لنواحي « جبل نفوسه » وبقي هناك يتقلب مع اعراب المحاميد .

وفي سنة (٣٥) خمس وثلاثين قدم في جموع من المحاميد وأوباش العرب وجفاتها لأرض سرت وعثوا فيها وطلعوا على أهلها بسوم الخسف وتخطف الناس من السابلة . ولما اتصل خبرهم بأحمد باشا سرح اليهم (ابراهيم بك) في العساكر وأذاقهم نكال الحرب وسامهم سوء العذاب وتقبض على (أحمد الرئيس) وسيق الى الوالي فقتله . ورفع عن السكنة ما نالهم من عدوانهم . ولما تمهد الهناء انقلب العساكر أعزة ظاهرين .

الشيخ ابو الحسن علي بن عبد الصادق

وفي يوم الاثنين الموافق للثاني والعشرين من ربيع الأول سنة (١١٣٨) ثمان وثلاثين ومائة وألف توفي العارف بالله تعالى العلامة ، الفقيه المالكي الفهامة ، ذو التصانيف العديدة ، والفوائد الجزيلة ، (أبو الحسن علي بن عبد الصادق) بن (أحمد) بن (عبد الصادق) ابن (محمد) بن (عبد الله) العيادي . نسبة للعيائدة — قبيلة من بني سليم — . ولد رحمه الله « بساحل طرابلس الشرقي » ونشأ به وحضر مجالس العلم والعرفان وصحب مشايخ عصره وتفقه في العلوم من الأصول والفروع ، وأخذ عن العارفين من أهل زمانه ، ونال أسرار المعارف وخاض بحار الأحوال . وكان أجلاء الشيوخ وأكابر العلماء العارفين ، لا يشق غباره ولا تجهل آثاره وصنف كتباً كثيرة مفيدة منها « شرح الصغرى » للشيخ السنوسي و « منظومة الشيخ عبد الواحد ابن عاشر » . واختصر « رسالة الاستاذ ابن أبي زيد » و « شرحه » ، وله

« منظومة في عيوب النفس » و « شرحها شرحين صغيراً وكبيراً » . وله « تآليف في أسباب الغناء » – أي في علم الثروة – و « شرح منظومة الشيخ عبد الغني بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم » « فيما يجب عيناً وفيما يجب على الكفاية » ، وألف « كتابا في البدع » سماه « تحفة الاخوان في الرد على فقراء الزمان » ، وشرح « منظومة أبي عبد الله الشيخ محمد الصالح الأوجلي في التوحيد » ، ونظم « أصول الطريقة المنسوبة للعارف بالله الشيخ زروق » سماه « هداية المعيد الى الطريق المبتغى الحميد » وشرحه رحمه الله تعالى وأمدنا بأسراره .

الشيخ عبد السلام بن عثمان

وفي خامس شوال سنة (١١٣٩) تسع وثلاثين ومائة والف توفي الناسك العابد ، الورع الزاهد ، العارف بالله تعالى الشيخ عبد السلام بن عثمان . ولد رحمه الله بقرية « تاجوراء » ونشأ بها وقرأ العلوم على مشايخ عصره وتفقه بالشيخ (محمد بن مقيل) وبرع في علم الشريعة وعلوم التصوف . وكان رحمه الله تعالى خيراً ، مرشداً ، هادياً ، داعياً للحق ، ملازماً للطاعة ، حسن الخلق لطيف الطباع ، كريماً ، مأوى للغريب ، جامعاً للأخلاق الحميدة ، ومن خيار عباد الله الصالحين المتمسكين بالسنة . وله تآليف مفيدة ، منها « تذييل المعيار » و « فتح العليم » تعرض فيه لما في بلد طرابلس من الصالحين ؛ وله « كتابة على المختصر » رحمه الله تعالى . انتهى .

خلافة السلطان الغازي محمود خان الاول

وفي سنة (١١٤٣) ثلاث وأربعين ومائـــة وألف . كان فراغ السلطان الغازي (احمد خان الثالث) لسبع وعشرين سنة وأحد عشر شهراً من خلافته ، وجلوس (السلطان الغازي « محمود » خان الأول ، ابن السلطان « مصطفى » ابن السلطان « محمد ») في تاسع عشر ربيع الأول من هذه السنة . فكان حسنة الأيام ، حسام الإسلام ، مشجى لأهل العناد ، مانعاً للبلاد ، رافع علم الجهاد ، باسط الأمان ، قابض كف العدوان ، وكان من أعظم سلاطين آل عثمان عقلاً وهمة وتدبيراً ، ومـــن أغرب الاتفاق أن خرج تاريخ جلوسه قوله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار) .

الشيخ محمد بن العربي

وفي هذه السنة توفي الفاضل الأديب ، والشهم النجيب الأريب ، الشيخ (محمد بن العربي) بن (محمد) بن (حموده) بن (الصغير) الهاشمي) . ولد رحمه الله بطرابلس وبها نشأ وأخذ عن أفاضل عصره . وكان كلفاً بالقراءة ، ثاقب الذهن ، أصيل الحفظ ، جيد الفهم ، عذب الفكاهة ، حلو المجالسة ، وله معرفة جيدة بالأدب ، وخبرة تامـــة بالشعر والخطب ، ارتحل الى مصر ولقي بها الأفاضل ، وسمع وتفقه في

العلوم من الأصول والفروع ، وشارك في كثير من الفنون . ثم عاد الى طرابلس وأسمع فاشتهر فضله ، وذاع أرجه ، وفشا خبره ؛ رحمه الله تعالى ، ومن نظمه يمدح أحمد باشا !!

لك الخير عرج بي على طلل الربع
محط المنى مغنى الكمي المقنّع
وكن خالعاً نعليك بين دماية
مقدسة تبلغ مناك وترفع
هناك المنى والعز حيث تقطعت
تمائمه والمجد منك بمسمع
به صادحات الوُرق تسجع في الضحى
تنادي هذيلاً بين أرواح أجرع
يحاكينني اذ شط عني وليهم
وقد خلّفوا جمر الغضا بين أضلعي
وبت بليل نابغيّ كأنني
ضمينة شرك فرخها وسط بلقع
وأحزان يعقوب تسربلت درعها
وحيك فراشي من سلالة أدمع
وزهر رياض مايس بين جدول
به الماء منساب الى كل ممرع

يحاكي جنى ورد نــدي بوجنة
فبــاء بفضح في صدور ومشرع
فماذا عليهم لو أباحوا اجتنــاءه
لمقلة صبّ مدمــن السهد مصرع
وعيناه قــد أعماهما كثرة البكا
فديمتها تهمي عــلى كل مَربــع
تحاكي نوالاً لاح عن كف « أحمد »
يقسمه مــا بين كهل ومرضع
على الغيث شبهٌ من نداه كأنمــا
يُمــر يداً فوق السحاب المرفــع
ألا فاعجبوا مــن أربــع وملاعب
سحائب سيب منه ليس بمقلــع
فلم لا يكون الورد موطىء أرجل
تجاورهــا من كل شهم سُميدع
أديب ، أريب ، فاضل ، متعفف
نجيب ، حسيب ، عالي القدر ، أروع
أقول لأصحابي عليكم بأحمــد
أفــاد فجاد بالحيــاء المنوع
فكم اضحك المحزون (من نقش اسمه)
وأبكى جرياً بالسكاك مولــع

اتيت وجيش الهم جــر خميسه
فقهقر جنباً مــن حسام مروع

اليك أبا الامــداد حنّت مطيتي
وآمالهـــا سفن وجسمي بموضع

لهـــا منك حاجات وفيك فطينة
سكوتي بها أولى لكم من توجّعي

متى تعلم الايام والدهــر مدتي
لكم تروعي عني وترثي وتخضع

●

[رجع] وبتتابع هذه المظفريات اكتسب (أحمد باشا) نفوذاً زائداً على أسلافه ودانت له القاصية من جميع أنحائها وأسس (الجامع) المعروف به الكائن بقرب « باب المنشية » موضع المسجد الذي بناه حضرة سيدنا (عمرو بن العاص) رضي الله عنه حين الفتح . وبنى (المدرسة) التي باتصاله وأوقف عليهـــا أوقافاً كثيرة ، وبنى البرج المعروف (ببرج المندريك) الكائن في الجهة الغربية من ميناء طرابلس على الجزيرات الصغار الممتدة من الساحل الى البحر على طول مئات أذرع . واستمر والياً الى أن توفي في السادس عشر من شوال سنة (٥٨) ثمان وخمسين .

ولاية محمد باشا

وولي ابنه محمد باشا بفرمان عالي الشأن ، ولم تظهر في خلال مدته

مناقشة داخلية بمـــا مهد له والده. وجدد الأساطيل. وكانت أمراء الأساطيل أصحاب شجاعة واقدام، وكانوا يهجمون بمراكبهم على الأعداء بسواحل « البحر الأبيض » فيقتلون ويسبون، فاكتسب بذلك شهرة وكان من خبره ما يأتي ذكره :

الشيخ سالم بن قنونوا

وفي هـــذه السنة توفي الاستاذ العلامة، والحبر الفهامة، سالم بن قنونوا. ولد بقرية « يزليتن » ونشأ بها وتفقه بأفاضل عصره. وكان رحمه الله من أعيان العلماء، ومشاهير الفضلاء، حافظاً، فهيماً، متقناً للنحو واللغة، عارفاً بالحديث وطرقـــه، وأسماء رجاله. قال في التذكار : انه رحل الى مصر ولقي بها الأفاضل وأخذ عنهم ونال علماً وافراً ثم عاد لبلده وأسس مدرسة بأزاء منزله، وكان يجلس فيهـــا ويقرىء، وانتفع به خلق كثير رحمه الله تعالى.

●

[رجع] وفي سنة (٦٤) أربع وستين تهور محمد بارتكاب أمر لا تؤمن سوابقه وروادفه وهو عقد معاهدة مع دولة الانكليز بلا استيذان من الباب العالي.

خلافة السلطان عثمان خان الثالث

وفي سنة (١١٦٧) سبع وستين ومائة والف ارتحل (السلطان

« محمود » خان الاول) الى جوار الرحمن ، وشرفه الله بالكرم والرضوان ، لأربع وعشرين سنة من خلافته . وبويع بالخلافة اخوه (السلطان « عثمان » خان الثالث) ابن السلطان « مصطفى » وطلع في أفق الخلافة الكبرى قمراً باهراً ، وبدراً زاهراً .

العارف بالله تعالى الشيخ محمد الماعزي

وفي هذه السنة توفي شيخ السالكين ، وقدوة المحققين ، الأستاذ أبو عبد الله محمد بن مصطفى القول اوغلي الملقب بالماعزي امام العارفين . ولد رحمه الله تعالى بطرابلس وبها نشأ وأخذ عن أماثل عصره ، وفحول مصره ، وتفقه في العلوم من الاصول والفروع وصار احد الأئمة في القراءات وعلوم القرآن الكريم ومن كبار المحدثين ، والحفاظ الثقات المخلصين . وكان رحمه الله شديد الزهد كثير العبادة ، له كرامات خارقة ومن خيار عباد الله الصالحين . قال في التذكار : انه رحل الى الحرمين ولقي بمكة الاستاذين (بهاء الدين الهندي) و (ابا الحسن السندي) وأخذ عنهما ونال علماً وافراً ثم عاد الى طرابلس ؛ وكان يجلس بزاويته التي بالمنشية لبث العلوم ، وانتفع به خلق كثير رحمه الله ونفعنا بأسراره انتهى . [رجع]

ولاية علي باشا قره مانلي

وفيها أعني سنة سبع وستين توفي (محمد باشا قره مانلي) وولي

ابنه علي باشا ، فسار على قدم ابيه وأقام بضبطها أحسن قيام وكان من خبره ما يأتي ذكره :

خلافة السلطان مصطفى خان الثالث

وفي سنة (١١٧١) احدى وسبعين ومائة والف توفي (السلطان « عثمان » خان الثالث) روّح الله روحه ، وزاد في الجنة فتوحه ، لنحو اربع سنين من خلافته وبويع بالخلافة بعده (السلطان مصطفى خان الثالث ، ابن احمد الثالث ، ابن محمد الرابع ، ابن ابراهيم) وظهر في سماء الخلافة بدر هدى ، لمن راح وغدا ، وأخذ في تنظيم ملكه وتقوية ما وهن منه .

[رجع] وفي سنة (٧٧) سبع وسبعين عقد علي باشا معاهدة مع (جمهورية البلنسيان) ثم في سنة (٧٩) تسع وسبعين غنمت عسكر اليكيجرية سفينتين من سفن تجار الجمهورية فطلب قنصلها استردادهما من علي باشا ولم يتيسر له لاصرار العساكر وضعف نفوذه فيهم فاتفق أن أحد ضباط طرابلس البحرية قدم بأسطوله الى أحد مراسي البلنسيان غازياً فبرز اليه أسطولها وتواقعوا فقتل الضابط وبعض الطائفة وأسر الأسطول ، فلما سمعت العساكر لاذوا بالانقياد وانعقد الصلح بين الحكومتين وجرت معاهدة ثانية .

الاستاذ أبو عبد الله محمد النعاس

وفي هذه السنة توفي الأستاذ العلامة ، والحجة الفهامـة ، طيب الانفاس . أبو عبد الله الشيخ محمد بن عبد الحفيظ النعاس . ولد رحمه الله بقرية تاجوراء ونشأ بها على الاستقامة والصلاح والاهتداء . وطلب العلم وحضر مجالس العلم والعرفان وتلمذ للأستاذ (أبي عبد الله محمد بن يحيى) كما قرأ على (الشيخ عبد السلام بن عثمان) وجماعة من أفاضل عصره . وقد برع في العلوم الشرعية ونال حظاً وافراً مـــن علوم التصوف والأسرار الالهية ، وكان من كبار الفقهاء المحدثين ، ومن الحفاظ الثقات الاثبات المخلصين ، وعباد الله الورعين الصالحين ، وكان يجلس بالمدرسة التاجورية ، لبث العلوم الشرعية ، وانتفع به خلق كثير . انتهى .

خلافة السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول

وفي سنة (١١٨٧) سبع وثمانين ومائة وألف توفي (السلطان « مصطفى » خان الثالث) لست عشرة سنة من خلافته . وبويع بالخلافة بعده أخوه السلطان الغازي (عبد الحميد) خان الأول (ابن السلطان أحمـد خان ثالث) ابن السلطان (محمـد الرابع) ابن (ابراهيم) وطلع في أفق الخلافة بدراً تِما ، وصدع بأنواع الفخار

فجلا ظلاماً وظلماً ، وكان أخوه السلطان (مصطفى) خان الثالث قد ترك له نهاية الحرب الجسيمة مع الروسية فأمره باتخاذ الجيوش وتكثيرها فنال بالجد والحق مناه ، وجدد سناه .

خلافة السلطان الغازي سليم خان الثالث

وفي سنة (١٢٠٣) ثلاث ومائتين والف ارتحل (السلطان عبد الحميد خان الأول) لجوار الرحمن ، أدخله الله تعالى الى الجنان ، وشرفه بالكرامة والرضوان ، لست عشرة سنة من خلافته . وبويع بالخلافة السلطان الغازي (سليم خان الثالث) ابن « مصطفى » الثالث ابن « أحمد » الرابع ابن « ابراهيم » . وظهر شمساً في سماء الخلافة فتسنم المجد بشيمته ، وجذب العلى بهمته . وبعد جلوسه وجه همته الى اصلاح العساكر وتقوية العمارة البحرية ، وأمر بجمع الجيوش المجتمعة قبل ذلك ، فاجتمع في وقت قريب نحو مائة وخمسين ألف مقاتل وكان اجتماعهم في مدينة « صوفية » .

●

[رجع] وفي أواخر ولاية (علي باشا) ساءت حالته وانحلت عرى الايالة وأهمل التنسيقات العسكرية والتنظيمات السائرة ، وثقل عليه اعطاء مرتبات العساكر وعجز عن القيام بمهام الأمور ، فتتابع فرار العساكر ، وخلا الجو للأنذال حتى صار النهب والغصب بالسبل والأسواق علنا من غير مبالاة ، وكثر الهرج والمرج فانتدب بعض

الأعيان والأمراء للمفاوضة فيما ألم بهم من الاضمحلال وسوء الحال. فأجمعوا على عرض ما نزل بهم على أعتاب الخلافة واستمداد المراحم بالالتفات اليهم ، فلما سمع بذلك (يوسف بك) اصغر أولاد علي باشا توقع عزل والده وقدوم والٍ آخر من دار الخلافة فصمم على اتخاذ الوسائل الموصلة ، بزعمه ، لأخذ زمام الولاية بيده . وكان وقتئذ (الشيخ خليفة بن عون المحمودي) شيخ قبيلة (بني نوير) صاحب نفوذ ، فكتب اليه بعجز والده عن القيام بأعباء الولاية لطعنه في السن ، وأنه يخشى على البلاد من بعض الأيادي الأجنبية ، واستمده على ولايته فاجابه بالموافقة وأنه مستعد لمظاهرته عند سنوح الفرصة . فتقوى طمع يوسف بك وهجم ذات يوم على أخيه (حسن بك) وكان جالساً مع والدته ، فلما شعرت به أخذت في ممانعته وصرخت ، فوثب عليها وقطع يديها وقتل أخاه حسنا .

وفي ثالث عشر ذي القعدة سنة (١٢٠٧) سبع ومائتين والف قدم الشيخ (خليفة بن عون) الى طرابلس في جموعه من عربان الضواحي وانضم اليهم أهالي « المنشية » و « الساحل » ، وأجمعوا على تولية (يوسف بك) ، وحاصروا البلد . فانحجر (علي باشا) في المدينة ثمانية وثلاثين يوماً والحرب قائمة على ساقها ، وخرج الكثير من أهلها فراراً من الفتن وعواقبها .

ولما تحقق (علي باشا برغل) الجزيري ضعف الايالة وما ألم بها واختلاف أمرائها وثب عليها ، وكان ذا رتبة بالجزائر ، وخرج منها بذخائره وأمواله في البحر فأتى دار الخلافة العلية فوجد أخاه كاهية لقبودان باشا ، فتوسل به وأخبر الدولة بحال طرابلس من خروج

أهلها واختلاف ولاتها والفتن المفضية الى سفك الدماء ، وطلب أن يكتب له عهد بولايتها ويتوجه لاستنقاذها ولا يكلف الدولة مالاً ولا عسكراً ، فحصل الفضل بولايته عليها .

ولاية علي باشا برغل الجزيري

ولمـــا حصل على عهد الولاية جمع عسكراً من المطوّعة أكثرهم أرناووط ، واكترى تسعة مراكب فحملهم وجهزهم بما يلزم من الأقوات والسلاح ، وقصد بهم مدينة طرابلس ، وكان وصوله اليها في احدى وعشرين ذي الحجة من هذه السنة على حين غفلة ، وأخبر الناس وهم في خناق الحصار ان بيده فرماناً سلطانياً بولايته عليها والمدد العثماني وراءه ... فحصلت دهشة وحيرة للفريقين ، فرفع الحصار وفتحت أبواب البلاد ودخل يوسف بك ورؤساء جموعه وعقد مجلساً عمومياً من العلماء والأعيان بدائرة الحكومة للمفاوضة .

ثم اتفق رأي العموم بتمكين البلاد لعلي باشا برغل لأن عدم قبوله عين الخروج من طاعة أمير المؤمنين ونقض لبيعته ، وذلك شقاق وشقاوة في الدارين والعياذ بالله تعالى ، مع أن دفع هذه الأساطيل ليس بسهل ، وعلى فرض محوهم وازالتهم ، فلا يؤمن بأس السلطنة السنية .

ثم أفرجوا له ورأوه من الفرج بعد الشدة فتمكن (علي باشا برغل) من المدينة وقلاعها وأنزل آلاته وذخائره ، وخرج (علي باشا قره مانلي) فاراً بنفسه الى تونس مؤملاً من واليها يومئذ (حموده

باشا) المعونة ، لأن بينه وبين والي الجزائر أخ علي باشا برغل المشار اليه عداوة ، فلربما تحدث أمور تكون سبباً لنيل مراده بسهولة ، كما قيل « مصائب قوم عند قوم فوائد » . ولحق به ابناه (علي بك) و (يوسف بك) بتونس .

وكان (حموده باشا) لما بلغه وصول (علي باشا قره مانلي) أركب أعياناً من رجال الحكومة لاستقباله . ولما وصل عظم مقدمه وأكرم نزله وأسكنه « العبدلية الكبرى » بالمرسى ، وأجرى له ما يناسب مقامه وبالغ في اكرامه وأكرم ابنيه وأتباعهم بما ينبغي لعزيز قوم ...

وقد كان الوزير (مصطفى خوجه باشا) أشار على الباي لما ظهر دخان الفتنة بين آل قره مانلي ان يرسل جنداً لإطفائها قبل تطاير شررها الى أطراف المملكة التونسية فلم يفعل ، لأن همه اذ ذاك الجزائر .

ولما استولى (علي باشا برغل) على طرابلس ودانت له القاصية وجبى البلاد وصفا له جوها من أولاد قره مانلي ، تحدث مع رجاله في الاستيلاء على مملكة تونس ووزع أعمالها بينهم . ومنهم (قره محمد التركي) وعده بولاية « جربه » فقال له : « ان هذه الجزيرة ذات خصب وثروة عظيمة ، وكانت من أعمال طرابلس واغتصبها والي تونس من سوء ادارة أسلافه ، فالبدار للفرصة !.. هذه الجزيرة قريبة منا وعسكرنا حاضر مستعد للقتال » .

فوجهه بألف مقاتل من الجند في سبعة مراكب بلا استئذان من

الباب العالي ، فوصلها خامس ربيع الأول سنة (٢٠٩) تسع ومائتين ، فأرست تلك السفن بها قريباً من « برج اغيرس » من « مرسى الرملة » . ونزلوا للبر ليلاً فتلقاهم من واطأهم من أهلها ومنهم (خليفة العامل) ، وكانت ليلة مظلمة ، وهجموا على الجزيرة صباحاً ففر عاملها (حميدة ابن قاسم بن عياد) بعد أن وضع حرمه في زاوية الشيخ أبي زيد ، وأتوا منزل القائد فنهبوا سائر ما فيه وقتل بعض خدامه ، ثم نادى (قره محمد) في الناس بالأمان وفتح مكتوباً زعم أنه من مقر الخلافة والله أعلم بما فيه ...

ثم أن العامل (حميدة بن عياد) خرج من البرج الى الساحل في حيرة فأتاح له القدر سفينة من سفنه خرجت للغزو فلجأ اليها في زورق وأتى « صفاقس » ، فتلقاه عاملها (محمود بن بكار الجلولي) وطير الخبر الى الباي فأتاه به الوزير (مصطفى خوجه) وقال له : « كيف ترى اضاعة الحزم ؟ ان « جربة » اخذها (علي باشا برغل) وعامله (قاره محمد) فيها الآن وعاملك نجا بنفسه لصفاقس » .

فجمع أرباب شورته بمسجد بيت الباشا وأخبرهم الخبر ، ولم يقع اتفاق على رأي . ومن الغد جمعهم بالمسجد صباحاً فقال له الوزير (يوسف صاحب الطابع) « ان اضعنا الحزم في اول الأمر ، فلا نضيعه الآن !.. وقد كان توقفنا في انجاد (علي باشا قره مانلي) لما أتى تونس انما هو الأدب مع السلطة العلية ، على ان ما يدعيه (علي باشا برغل) من الفرمان غير محقق عندنا لاننا لم نره ولا سمعنا بخبره ممن يوثق به ؛ ويحتمل انه ثائر !! ولما تعدى واستولى على قطعة من

بلادنا ... وجب علينا المبادرة بارسال محلة لطرابلس وارسال عسكر في البحر لافتكاك جربة من يد قاره محمد !! »

واتفق الرأي على ذلك واستشار الباي في هذا الامر أبا عبد الله (محمد بيرم الأول) فأشار عليه بان « هذا أمر سياسي !. أنفع الاشياء فيه استعانتك بأهل الرأي ورؤوس الجنود والأكابر ، اما العلماء ؟؟. فإنك لا تجد عندهم فائدة لك ، ولا تأمل منهم فتوى ... تعتمدها في الحرب بين المسلمين . وبيعة السلطان منعقدة بعنقك وأعناقنا !!. واذ توافق العلماء في الفتوى وشاع ذلك ... ربما يكون ذلك سبباً في الوهن ... » وكان استشاره في ذلك مشافهة بحضرة الوزير يوسف صاحب الطابع فاستحسن رأيه ، ولما خرج قال للوزير : إنه نصحني .

ولما عزم بعد الاستشارة أمر بإحضار المحلة وتعمير المراكب وعزم على السفر بنفسه فعارضه (يوسف صاحب الطابع) بأن « الجيش معرض للنصر وضده ... فإذا انهزم الجيش وأنت أميره انهزمت المملكة ، بخلاف أمير من امرائك وانت في قاعدة مملكتك !.. » فقال : من يقوم مقامي والحالة هذه ؟ فقال له : هذا الأعرج القادم ! وكان الوزير (مصطفى خوجه) قادماً متوكياً على عصا لنقرس كان به . ولما وصل اليهما قال له الباي « يا أبي !! ان يوسف أشار علي بسفرك في المحلة لطرابلس على ما بك من مرض » فقال له : إني حاضر لكل ما تريد ولو أكون على محفة ، والموت بالأجل وان حضر !! فلا اشرف من الموت عندي في خدمتك » .

ثم جمع رجال مملكته واستشارهم في سفره بنفسه فأجابوه على

لسان واحد « بأن خروجك من الوطن لا سبيل اليه !!! » فقال لهم « من يكفي هذا المهم ؟ » فقالوا له : « الوزير (مصطفى خوجه) وان عاقه المرض فكاهية المحال » فقال لهم الوزير « وان ما بي من المرض المعاشر لا يمنعني !!. » نوقـــع الاتفاق على سفره وان يخرج مطلق التصرف وهو من الحزم في الحرب ، لأن توقفه على المشورة ربما تفوت به الفرصة .

وفي الثاني والعشرين من ربيع الاول سنة (٢٠٩) تسع ومائتين خرجت (محلة زواوه) ومعهـــا بعض (عروش) وأميرها ابو الحسن (علي اللوح) باش حانبه مقدمة لحملة الوزير وفيها (يوسف بك) ابن علي باشا قره مانلي .

ثم خرجت محلة الوزير مصطفى خوجه يوم الاحد الثامن من ربيع الثاني من السنة بصناجق الباي ، والنوبة ، وشاوش السلام ، وبها عسكر الترك ، والمدافع ، والمخازنية وسائر المزارقية والفرسان ، من عروش الأعراض !! بعد ان زاد الباي في مرتب الجند !.. وأفاض العطاء في الناس . وعين عشرة آلاف بعير لحمل الاقوات ، والعلفة ، والآلات ، غادية رائحة بين تونس وطرابلس دون ما بعثه من الذخائر في البحر لصفاقس وقابس . وسار الوزير بالحملة ومعه (احمد بك) ابن علي باشا قره مانلي وأراح الجنـــد في المنازل الطيبة بحيث لم يسمهم ضجر ولا ملل .

فوصل طرابلس يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الثانية . ولم تزل اعيان القبائل من طرابلس يتعرضون بهداياهم لأبناء قره مانلي ،

وكلما أتى وفد منهم أكرمه الوزير وكساه وشكره على حسن الوفاء الا قبيلة تسمى « الجراجرة » طلب يوسف بك من الوزير الاغارة عليهم لعنادهم وتأخرهم عن الطاعة ؛ فجرد عليهم الوزير أربعة آلاف فارس أمَّر عليهم الكاهية (احمد بالضياف) فهزمهم وأتبع أثرهم وخضد شوكتهم وقتل الكاهية في حربهم .

ولما وصلت الحملة الى طرابلس كما تقدم ، وانتظر الوزير قدوم أهـــل المنشية لظنه انهم من حزب يوسف بك قره مانلي فلم يقدم احد ، عبأ لهم جيشاً من جند الترك المخازنية و (أوجاق الكاف) وقبيلة (المثاليث) وأصحبهم المدافع . فهجموا عليها وصابروا القتال ، فأخذوها يوم الاحـــد السابع والعشرين من جمادى الثانية ، وتملكوا حصونها وأتراسها ونهبوها .

ووجه بقية العسكر في اليوم لقتال المدينة فدافع أهلها بمـــا في قلاعها من المدافع ، ومات كثير من عسكر تونس . وفي يوم الاثنين عبى الجند لقتالها ايضاً فوجد أبوابها مغلقة وأهلهـــا على الأسوار مستأمنين ، وأخبروا بفرار (علي باشا برغل) وقـــد بلغ الوزير في الليل خبر هروبـــه في البحر ، وأبوا من فتح الابواب الا اذا أتاهم الوزير بنفسه وكلموه . فأتاهم فطلبوا منه الامان فأمنهم ، وطلبوا منه منع العساكر مـــن دخول المدينة للنهب ، فأجابهم لذلك ، ووعدهم بالجميل ووفى ولان لهم في الخطاب .

ففتحوا الأبواب ودخـــل الوزير بالأخوين ، احمد ويوسف ونزل بقصر الامـــارة فأتاه النذير بأن علي باشا برغل وضع فتيلاً طويلاً

قرب خزنة البارود ، ولم تزل النار سارية فيه . فأمر بإزالته في الحين وشكر الله على لطفه بعباده .

ولاية أحمد بك قره مانلي

ثم أحضر العلماء وأعيان الجند ووجوه البلاد وولى أحمد بك قره مانلي والياً على طرابلس ، ثم أحضر أخاه يوسف بك وعقد له على العربان والخروج بالمحال ، وأعلنت المدافع بالسرور ورجع الوزير لمحلته ، وصار العسكر التونسي حارساً للبلاد وأهلها لا يدخل أحد الا لصلاة أو قضاء وطر بغير سلاح . وطير بخبر النصر الى الباي فوصله يوم الأربعاء سابع رجب سنة (١٢٠٩) تسع ومائتين وألف . وأما (علي باشا برغل) فانه نجا لأرض الحجاز ومات بها .

ولما رأى أهل طرابلس انكفاف أيدي العسكر التونسي عن النهب أهدوا لهم مائة ألف محبوب تحمل بها اغنياؤهم . ولما وصلت للوزير وزعها في العسكر وأعطاهم أربعين ألف محبوب من عنده .

ولما تمهد الوطن لأولاد قره مانلي واستقام أهله على جادة الطاعة وانسدل ستر العافية والأمان ، لوى الوزير مصطفى خوجه عنان الأوبة الى تونس ، وشيعه يوم رحيله أحمد ويوسف بك المومى اليهما وأعيان طرابلس .

وكان وصوله الى تونس يوم الخميس الحادي والعشرين شعبان من السنة المذكورة في موكب حافل ويوم مشهود ، وتلقته الأعيان ورجال

المملكة ، وقابله الباي في المحكمة ، ولما قبل يده وقف في موقف وزارته وأقبلت وفود التهنية عليه .

وبعد ذلك طلب (علي باشا قره مانلي) الرجوع الى وطنه وأولاده فجهزه وهاداه ، وأركبه البحر في مركب حربي ببقية بنيه وآله ، وأركب الأعيان لمشايعته ، فوصل لطرابلس آمنا مسرورا . هذا ما كان من خبر طرابلس .

وأما خبر جربة فلما تم تجهيز الأسطول التونسي خرج من حلق الواد بأربعين مركباً ما بين حربية وحمولة للعسكر والآلات وأميره (الحاج علي الجزيري) في أربعة الآف مقاتل انتخبهم الباي من أبطال الجنود . وكان سفرهم في الرابع عشر من ربيع الثاني من هذه السنة ، ووصل جربة في الخامس والعشرين من الشهر . واتفق أن وصل لجربة مركبان أحدهما للحجاج والآخر بالسلع لتونس ، ولا علم لهما بأن جربة في تصرف (قاره محمد) عامل (علي باشا برغل) فجعل عليهما عسة لأخذ ما فيها فخلصها الأسطول التونسي وأرسلها لصفاقس قبل ابتداء الحرب . ونزل (الحاج علي) بعسكره الى البر ، وبنى الأتراس للمدافع والبونبة ، وتترس (قاره محمد) أيضاً ونشبت الحرب بينهما نهاراً واحداً زال زواله بزوال عسكر قاره محمد . فانهزم وفر هارباً الى الساحل القبلي فوجد في مرساه مراكب مشحونة بالمدد من الميرة والعدة بعث بها (علي باشا برغل) من طرابلس ، فركبها فاراً بنفسه الى طرابلس .

واستولى (الحاج علي الجزيري) على « جربة » تاسع جمادى

الأولى من هذه السنة وأرسل بخبر النصر الى (الباي) وبعث له اربعمائة جندي طرابلسي من عسكر طرابلس أخذهم أسرى ، فقابلهم الباي بجزيل الانعام وأثبتهم في ديوان جنده وترقى بعضهم الى منصب الطاي وغيره من المناصب .

ولما استقر (الحاج علي) بجربة وعلم مواطأة بعض أهلها لقاره محمد ، أمر العساكر بنهب سوقها وزواياها حتى « زاوية سيدي ابراهيم الجمني » رضي الله عنه ، وشدد على أهلها . وبعد أيام أتى العامل (حميدة بن عياد) ومعه جموعه من فرسان الاعراض وعلى مقدمته مولاه (احمد كورجي) فوجد البلاد بيد (الحاج علي الجزيري) فسرح من معه وبقي بجربة والتصرف للحاج علي .

ولما وفد أهل جربة على الباي عاتبهم عن تسليم بلادهم فاعتذروا بأن الأمر كان فجأة ومنازلهم متفرقة وشكوه جور العامل فعفا عنهم كما هو الواجب بعد القدرة وغض الطرف وتجاهل سياسةً مع علمه بأعيان من أعان (قره محمد) وعزل العامل وولى عوضه (مصطفى بن حسن الكبير) ، وعسفُ العمال إنذار بخروج الأعمال .

ولما استقر أولاد قره مانلي بولاية طرابلس وانتزعت جربة من يد المنتزي عليها وكثرت الأراجيف بالأخبار عن الدولة العلية جمع الباي وزراءه وأعيان البلاد وقال لهم : « أمير المؤمنين ، (السلطان سليم خان) أنكر عدم الارسال من تونس لتهنيته بالخلافة على العادة ، مع محاربتنا لعلي باشا برغل واخراجه من طرابلس ، والظن أن فعله لا يصدر الا عن الاذن من الدولة ، ولربما ترى الدولة ، فعلنا هذا عصيانا

وخروجاً من الطاعة ، ولا طاقة لنا بعواقب ذلك ، اذ لا حامي لنا غير الدولة العثمانية ، صانها رب البرية ، فالرأي أن نبعث من يهنىء ويعتذر » ، فوافقوه .

ثم تكلموا فيمن يستكفى به في هذا الأمر المهم فقال له الوزير (مصطفى خوجه) هذا هو المستكفى به ولا نجد غيره وأشار الى (يوسف صاحب الطابع) ووافقه كل من حضر . فقال صاحب الطابع : لا أرى نفسي أهلاً لذلك ، وحيث ارتضيتموني ، فأرجو الله أن أكون كما ظننتم ، ولكن أطلب أن توسعوا في الهدية ليكون عظم المقدار معيناً على الاعتذار . فأجيب لذلك وشرع الباي في احضار الهدية وتوسع فيها بما اقتضته مذاهب الحضارة من الأسلحة المذهبة والتحف المرصعة بأنواع اليواقيت والجواهر .

وسافر (يوسف صاحب الطابع) في ذي القعدة من السنة المذكورة وقدم (دار الخلافة) وتلقته الدولة بصنوف احسانها وجزيل اكرامها على عادتها ، وقبلت الهدية ووقعت موقعاً حسناً ورأى حاملها في خزائن الدولة ما بهر عقله وأخجله عن استعظام هديته ؛ وأنزلته الدولة العلية بدار حسنة في جهة قريبة من (سراي بروني) وقبودان باشا يومئذ (حسين باشا) . ولما فتح باب الخطاب ، قال له قبودان باشا المشار اليه : « ألم تعلموا أن أولاد قره مانلي أثارت أغراضهم نيران الفتن بايالة طرابلس ؟.. وأهلكوا الحرث والنسل !.. حتى فر الكثير من أهلها ؟.. وليتكم إذ أخرجتم (علي باشا برغل) جعلتم فيها أمير جيشكم حتى لا تكونوا أزلتم فساداً بفساد ؟؟... » وطوّل الملام في هذا الصدد ؛ فقال له صاحب الطابع ، » ملامكم مسموع

ومقبول !!. ونطلب من المراحم والفضل العفو والصفح والرضا ... »
ثم بين أعذاراً طويلة أعرضنا عن شرحها ، والتمس منه عرض الفاظ للحضرة العلية السلطانية . وكان قبودان باشا اذ ذلك هو الذي يتولى مباشرة رسل الاوجاق .

وبعد أيام قال له « بينت أعذارك على أمير المؤمنين وهو يقول لك : عفا الله عما سلف !!.. و (حموده باشا) لم يكن عندنا بموضع تهمة » ، فعند ذلك طلب من الدولة الفرمان السلطاني وشعار الولاية لأحمد بك قره مانلي وأخيه يوسف ، فوقعت الاجابة من غير توقف .

ولما حضر ذلك ، توجه به رسول الدولة ، الى طرابلس وعند وصوله تلقته الأمراء والأعيان ، وجمع موكباً مشهوداً بالعلماء وكبراء العساكر ووجوه البلاد وغيرهم . وقرأ عليهم (الفرمان العلي الشان) وأطلقت مدافع السرور وصار إجراء مراسم التبريك .

ثم في أواسط شعبان سنة (٢١٠) عشر ومائتين خرج أحمد بك لناحية تاجوراء للخلاعة وزيارة الأولياء فيها على الرسم المعتاد فانتقضت عليه الأهالي بإغراء أخيه يوسف ، ففر الى مسراتة ومنها الى مالطة لسنة وشهرين من ولايته .

ولاية يوسف باشا قره مانلي

واتفقوا على ولاية يوسف بك وقدموا بذلك استرحاما لدار الخلافة بواسطة حموده باشا والي تونس .

وفي سنة (٢١١) إحدى عشرة ومائتين ورد (فرمان عالي الشأن) بتقليـده الولاية فاحتفل بقراءته وأطلقت مدافـع السرور ووفدت وفود التهاني .

ثم تشبث بوضع الاستحكامات ، وغزا الاعداء بالأساطيل الموجودة غزوات عديدة ، وأنشأ أبراجاً جديدة في بعض المواقع من سور طرابلس وفي عدة نقاط خارج البلد ، وبنى حائط السور الممتد مـن قرب الحكومة من جهة البحر الى دائرة الكمرك وثلاثة عشر أسطولاً حربية بأموال الغنائم .

الشيخ الكاتب مصطفى المصري

وفي سنة (١٢١٣) ثلاث عشرة ومائتين وألف توفي اللوذعي الأريب ، ذو الذكاء العجيب ، والأدب الظاهر ، والحفظ الباهر ، والفطنة النقادة ، والقريحة المنقادة ، الشيخ (الكاتب مصطفى) بن (قاسم) المصري .

ولد رحمه الله تعالى بطرابلس وبها نشأ وقرأ العلوم على أساتيذ عصره ، وأعلام مصره ، منهم (الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكانوي البرناوي) و (الأستاذ محمد بن سالم الفطيسي) والعلامة (عبد السلام ابن محمد بن ناصر) ونال علماً وافراً .

ثم استخلصه (علي باشا قره مانلي) لخدمته واتخذه مستشاراً وكبير الكتاب ونال لديه حظاً تاماً في الظهور وحسنت سيرته . وله

تآليف منها « كتاب المسائل المهمة ، والفوائد الجمة ، فيما يطلبه المرء لما أهمه » وأسس (المسجد) الكائن بداخل الثغر بقرب سوره الشرقي و (الكتّاب) و (المدرسة) المتصلين به و (خزانة كتب قيمة) وأوقف على ذلك أوقافاً جمة رحمه تعالى .

●

[رجع] وفي هذه السنة كلف (يوسف باشا) دولة الاسويج بدفع مائة ألف فرنك عطية وثمانية الآف فرنك سنوية فرفض قنصلها هذا الاقتراح فارسل يوسف باشا الأساطيل لمهاجمتها ، وبث السرايا على سواحلها والقبض على مراكب رعاياها التجارية فغنموا (سبعة سفاين تجارية) فالتجأ السويج الى نابليون بونهبارت) وهو وقتئذ بمصر .

وفي سنة (٢١٣) ثلاث عشرة ومائتين وألـف انعقد الصلح بواسطة مندوب (بونه بارت) على أن تدفع السويج ثمانين ألف فرنك غرامة ، وثمانيـــة الآف فرنك سنوية . وترك تلك السفائن الى الحكومة المحلية وتعاد أسارى الاسويج [1] .

---

(١) قال متصفحه : (السويج) أمة من أمم النصرانية . يقال لهم بلسان العرب (السويد) بالدال المهملة .

وعليه قولي :

بالمـــزح قـــال الندامى ارطن لنا ؟ .. بالسويدي
فقلت : واطـــول شوقى الى مـــدام دريـــدي

والريد في لغتهم القديمة الملك . و (الدال) المضمومة علامة الاضافة عندهم . والكلام فيه تورية شائقة ؟!. انتهى .

ثم طلب قنصل الأمريكان من يوسف باشا المعاهدة معه مثل معاهدة السويج لأن أساطيل طرابلس الحربية كانوا يقبضون على مراكبهم التجارية ويربطون عليهم البحر ويفتكون بهم . فكلفه باعطاء مبلغ جسيم ، فطلب القنصل تخفيفه بواسطة حسن باشا والي الجزائر ، فرفض يوسف باشا مداخلته وأصر على طلبه وحمل حرصه على الخوف واستأنف غزوهم والفتك بهم فأثخن وغنم .

ثم في سنة (١٢١٧) سبع عشرة ومائتين وألف قدمت عدة أساطيل أمريكانية لمرسى طرابلس وحاصروا البلد ورموها بالمدافع وتواقعوا وامتد ضرام الطعن والضرب نحو عشرين يوماً ثم تسقط أسطول منهم وأخذ غنيمة وقفل بقية الأساطيل الى مالطة .

وفي سنة (١٨) ثماني عشرة انتقضت أهالي غريان فسرح اليهم يوسف باشا جيشاً تحت قيادة (الحاج أحمد آغا الخازندار) فأثخن فيهم وقتل رأس الفساد (الشيخ عبد الوافي) وسامهم سوء النكال حتى استقاموا على الطاعة ، فجبى اموالهم وأغرمهم مبالغ جسيمة .

ثم ان الامريكانيين لاذوا ببث الدسائس ، وأظهروا لأحمد بك قره مانلي والي طرابلس السابق بأنهم قادمون لنجدته ، فأخذوه من جزيرة مالطة الى اسطولهم وقدموا به بلد « درنه » فاهتزت السكنة لقدومه واحتفلوا للقائه وانقاد اليه من كان بتلك الضواحي من القبائل وقدموا اليه الهدايا . فقوي أمل احمد بك في الاستيلاء على طرابلس وأعلن بولايته ، فاستحوذ على يوسف باشا الخوف وارسل ابنة محمد بك في قليل من العساكر الى بنغازي بتعليمات مخصوصة ، واتخذ الوسائط

لإقناع الامريكانيين ومصالحتهم .

ثم في سنة (٢٠) عشرين انعقد الصلح معهم بواسطة والي الجزائر (حسن باشا) و (وارنقطون) قنصل الانكليز وحررت المعاهدة .

ثم ان الامريكانيين أغفلوا (احمد بك) واخـــذوه الى اسطولهم وبلغوه الى الديار المصرية وفق تعهدهم .

ثم ان محمد بك قره مانلي توجه من بنغازي وقدم درنه فوفدت عليه عموم الأهالي وأتوه بالطاعة وانسدلت الأمنية .

وفي سنة (٢٢١) احدى وعشرين ومائتين تجاسر (الشيخ احمد سيف النصر) بما يوجب اخلال العهود وتكدير صفو الراحة ، وتعرض لسفن بعض تجار أجانب كانت بسواحل سرت فأرسل اليه يوسف باشا ابنه (محمد بك) في العساكر فزحف اليه (الشيخ أحمد) في جموعه من العربان ، وتحاربوا محاربة شديدة هلك فيها الشيخ أحمد سيف النصر والكثير من قومـــه ، وتشتتت جموعه وقبض على ابنه (عبد الجليل) وكان اذ ذاك لم يبلغ الرشد وانقاد لمحمد بك من كان بتلك الضواحي من العربان وتمهدت العافية .

وفي هذه السنة انتقضت أهالي غدامس وامتنعوا من اعطاء الجباية وكان من امرهم ما يأتي ذكره :

خلافة السلطان مصطفى خان الرابع

وفي احـــدى وعشرين ربيع الاول سنة (١٢٢٢) اثنتين وعشرين

ومائتين وألف صار فراغ السلطان الغازي (سليم خان الثالث) بن (السلطان مصطفى خان الثالث) لثماني عشرة سنة وثمانية اشهر من خلافته . وبويع بالخلافة السلطان (مصطفى خان الرابع ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول) وورث الخلافة كابرا عـــن كابر ، وتزينت باسمه صدور المنابر .

ثم في الرابع مـــن جمادى الأولى سنة (١٢٢٣) ثلاث وعشرين ومائتين وألف صار فراغه لسنة وشهرين من خلافته ، وفي ليلة القدر من هذه السنة ارتحل الى دار البقاء شهيداً ، روح الله روحه ، ونور ضريحـــه .

خلافة السلطان الغازي محمود خان الثاني

وجلس السلطان الغازي (محمود خان الثاني ابن السلطان « عبد الحميد » خان الأول) على سرير الخلافة السنية . وكان مـــن أعظم الخلفاء وأقواهم اقداماً ، واجتهاداً ، وأكثرهم توكلاً على الله واعتماداً ، وهو الذي فك نظام « اليكيجرية » ، وأسس العساكر النظامية ، ومهد المسالك ، وأمن السالك ، وبسط الأمان ، وقبض أكف العدوان ، وحصلت الأمنية .

الخبر عن ابتداء اختراع العساكر اليكيجرية

كانت اكثر العساكر على عهد السلطان (عثمان خان) طاب ثراه : من فرسان « التركمان » ولم يكن لهم معرفة بالضبط والربط العسكري ولا انتظام في حال القتال فأشار (خليل باشا) على أمير المؤمنين (السلطان أورخان) في سنة (٧٦٣) ثلاث وستين وسبعمائة بتأسيس (أوجاق اليكيجرية) بأن يأخذ خمس الأسارى من الغانمين ويرتبهم عسكراً على هذا الأسلوب .

فاستصوب (السلطان أورخان) رأيه وكان يومئذ الجهاد في بلاد الروم متتابعاً ! فكانت تسبى الأسرى وتأتيه كالسيل الهامي ، والبحر الطامي ، فاجتمع منهم بالآستانة طائفة كثيرة فأمر بتعليمهم على الرمي بالبنادق .

ثم ميزهم وأرسلهم الى خدمة الشيخ العارف بالله تعالى (الحاج بكتاش) ليعلمهم بعلامة ويسميهم باسم ويدعو لهم بالخير والظفر .

فلما اجتمعوا عند الشيخ قطع كم قبائه وكان من لبد فألبسه رأس رئيسهم ودعا لهم بالبركة وسماهم (يكيجري) ومعناه العسكر الجديد . ثم صار تمام انتظامه على يــد ابنه (السلطان مراد خان) واستمر اوجاق اليكيجرية الى زمن (السلطان محمود خان) طاب ثراه حتى أزالهم سنة (١٢٤١) احــدى واربعين ومائتين والف وأحدث النظام الموجود الآن . [رجع] .

وفي سنة (١٢٢٥) خمس وعشرين ومائتين أرسل يوسف باشا ابنه (علي بك) في العساكر الى « غذامس » فقدمها وحاصرها ثلاثة أيام ، ثم أتاه علماء البلد والأعيان بالطاعة والانقياد واستوفى ما تراكم لديهم من الجباية وأغرمهم عشرين الف مثقال من الذهب العين وعشرين الف محبوب ، وولى عليهم عاملاً ورجع .

ثم في سنة (١٢٢٧) سبع وعشرين ومائتين وألف تردد قنصل السويج في اعطاء السنوية ففسخ يوسف باشا المعاهدة معه وجاهر بالحرب ، فندم القنصل ولاذ بطلب السلم فاقترح عليه يوسف أن يدفع ستمائة الف فرنك وان لا يؤخر السنوية عن ازمنتها المعينة .

وفي اثناء هذه المخابرات عزل القنصل وبعث ليوسف باشا من هذه الحكومة هدايا ثمينة وخمسة وسبعين ألف فرنك لبقاء الصلح وحصل الوفاق .

وفي هذه السنة تسامح (الشيخ محمد الشريف) عامل « لواء فزان » عن ارسال الخراج واولع بالغناء وانهمك في اللذات ومعاشرة المضحكين والصفاعين ، واهمل الضبط والربط فغضب يوسف باشا لذلك ، ووجه له القائد (محمد المكني) في العساكر وقدم « مرزق » وعسكر بخارجها موريا باراحة العساكر والسفر الى بلد « برنو » وخدع بذلك عن قصده فقدم اليه (ابن أخ العامل) وأوضح اليه ما ألم بالاهالي من الضرر وسوء الحال من تصرف عمه ، فأغراه على قتله ووعده بأن يوليه مكانه فاشرأب لذلك ووثب على عمه وقتله وأخبر القائد ، فدخل البلد بعسكره وتبوأها من غير ممانع

وحل قصر الحكومة وجمع العلماء والأعيان ، ثم أحضر ابن أخ العامل واعترف لديهم بقتل عمه فنقموا عليه والتمسوا من القائد معاقبته وجعله مثلاً للسامع وعبرة للمتوسم فقتله . وتمكن المكني من اللواء وانقادوا اليه وأتاه الأمر عفواً صفواً ونال أربه بلا مشقة .

وفي سنة (٢٣١) احدى وثلاثين ومائتين انتقضت بعض اعمال (برنو) على حاكمها يومئذ (الشيخ محمد الأمين الكانمي) وعجز عن تأديبهم .

وكان الشيخ محمد الأمين هذا قد قدم طرابلس وقرأ العلوم فيها على اساتيذ اعلام منهم (الشيخ محمد ابي طبل) و (الشيخ عبد الله بن غلبون) .

فاستصرخ يوسف باشا بواسطة مشائخه فسرح اليه (القائد محمد المكني) في العساكر والمهمات الحربية وقدم بلد « برنو » ، وبعثه (الشيخ محمد الأمين) الى الثائرين وقاتلهم قتالاً شديداً ودوخ بلادهم بسنابك خيله حتى استقاموا على الطاعة ، وانتظم للشيخ محمد الأمين الأمر ، ثم انقلب بعدد وافر من الرقاق والمتاع .

وفي هذه السنة اعتزلت قبائل نالوت « قبيلة بني نوير » . وذلك ان سكنة « جبل نفوسة » ومن بنواحيه من القبائل الجسيمة كانوا في حالة الفوضى والاستبداد والحكم فيه لمن غلب . وكان المتغلب عليهم من ابتداء ظهور القرەمانلية الى هذا العهد رؤساء « قبيلة بني نوير » من (المحاميد) وكانت الرياسة فيها منحصرة يومئذ في الشيخ (أبي القاسم ابن الشيخ خليفة بن عون المحمودي) .

وفي سنة (١٢٣٢) ثنتين وثلاثين ومائتين والف توفي الاستاذ الكامل ، والعلامة الفاضل ، الشيخ (محمد) بن (عبد الكريم) بن (أحمد) بن (عبد الرحمن) بن (أحمد) بن (عبد العزيز) بن (محمد) بن (أحمد) بن (محمد) بن (عبد الرحمن) بن (عيسى) بن (محمد) بن (عبد الله) بن (محمد) بن (عيسى) الأوسي الانصاري الأندلسي الأصل ثم طرابلسيه وبها ولد .

وتلقى العلوم عن أعلام عصره ، وفحول مصره ، وكان فقيهاً تاجراً ، واسع العلم ، كثير الحفظ ، والرواية ، فريد عصره عقلاً وفهماً ، وفريد أوانه جلالة وعلما ، مع ورع ، وحسن سمت ، ووقار ، وارتفاع همة ، وعذوبة ألفاظ ، وملاحة ايراد ، ومن القائلين بالحق والعاملين به .

تولى النيابة بنفس الثغر بعد والده وحسنت سيرته وقرنت بالعدل أحكامه .

ألف كتاباً سماه (الارشاد ، لمعرفة الأجداد) ضمنه ذكر أسلافه الكرام ، وتراجم آله العظام ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وآله يعرفون قديماً ببني (العَسَوُسْ) وهو لقب منحوت من (عيسى الأوسي) الجد الأعلى الوافد من (الأندلس) الى طرابلس في

أواخر المائة السابعة عند غلبة الاسبانيول . وحديثا يعرفون بآل (النائب) لتسلسلهم خلفاً عن سلف في النيابة الشرعية وخدمة العلم الشريف . ووالده :

العارف بالله عبد الكريم أحمد

قال في (الارشاد) : كان فقيهاً عاملاً ، قاضياً ، جليلاً ، عادلاً ، رئيساً ، أوحد العلماء ، شرف الفقهاء ، واسطة المدرسين ، محدثاً ، لغوياً ، خطيباً ، متقناً ، أصولياً ، متكلماً ، صالحاً ، زاهدا ، ورعاً ، قوّاماً ، خاشعاً ، له نور ، وعليه قبول .

أخذ عن الاخوين الفقيه المحدث (أحمد) والعلامة (محمد) ابني (السكلاني) والفقيه الأمام (علي) بن محمد بن صالح .

ولي النيابة مكان والده رحمهما الله وحسنت سيرته وكان لا تأخذه في الله لومة لائم ، وله شعر رائق ، وأدب فائق ، منه قوله .

يا مشتكى حزني !! شرخ[1] الشباب غدا
والشيب وافى فعِلق[2] العمر ضاع سدى

(١) « الشرخ » اول الشباب .

(٢) بالكسر النفيس من كل شيء وجمعه اعلاق .

ناديت بالويل اذ بانت طلائعه [1]

ووفده رام للفودين أن يفدا [2]

وقلت ما تبتغي مني كفلت به

لودت من قبل ذا من أجله لودا [3]

أجابني بلسان الحال ينشدني

لا تبتئس يا فتى فالعيش عيش غدا

يوم ترى فيه من خاف الإله على

كثبان مسك فلا يخشون فيه ردى

وجوههم أسفرت [4] بالبشر ضاحكة

والمبلسون استجاشوا [5] بالبكا كمدا

يا طول حسرتهم .. يا عظم حيرتهم ..

لا يذكرون بها مالاً ولا ولدا

يا مشتكى حزني !! من خاف نار لظى

فكيف لا يألف الأحزان والسهدا

---

(١) من يبعث من الجيش ليطلع على طلع العدو .

(٢) « الفود » معظم شعر الراس مما يلي الاذن والموت .

(٣) من لا يميل الى عذل ولا ينقاد الى امر والشديد الذي لا يعطي طاعته .

(٤) أضاءت وأشرقت .

(٥) اي طلبوا الجيش .

مــن خــاف أدلــج[1] والموعــود مرتقــب
والعبـــد لم يتخـــذ زاداً ولا عـــددا
مثقــل الظهر قـــد ضـــاعــت شبيبته
سبهللا[2] بضيا التسويــف قـــد حـــددا
انـــا الى الله انـــا راجعون لـــه
مـــن نفس سوء رأت غي الهوى رشدا
يـا رب يـا رب لطفـاً منـك يشملني
بجـاه مـــن قـــد أتى للعـالمين هـــدى
عليـــه أزكى صلاة منـــك دائمـــة
كـــذا سلام ذكي مـــا صـــدى وردا[3]
والآل والصحب مـــا أنشى حليـــف أسا
يـــا مشتكى حزني شرج الشباب غـــدا

* * *

وقد خمسها تخميساً جليلاً .

(١) بالفتح السير من اول الليل .

(٢) لا في عمل دنيا ولا في آخرة .

(٣) « الصدى » العطش و « ردى » الاشراف على الماء دخله او لم يدخله .

وكان قبل موته بنحو سنتين كثيراً ما يردد كلام الغوث سيدي (أحمدي بن عروس) رضي الله عنه حيث يقول :

ما غرها ؟. غرهـا البين !. واهـل العقـول استراحوا
مـا دافنت من سلاطين ؟. وسيسان بالجير طـاحوا
اين الـذي قبلنـا اين .؟ لعبـت عليهم وراحـوا

ثم مرض نحو الشهرين وتوفي في غرة ذي الحجة الحرام عـام (١١٨٩) تسعة وثمانين ومائة وألف . ودفن بمقبرة آله جوار سيدي المنيذر الصحابي رضي الله عنه . ووالده :

الأستاذ أحمد بن عبد الرحمن

قال في « الارشاد » كان من العلماء الأعلام ، الأجلة الفخام ، فقيهاً ، محدثاً ، متقناً في جميع العلوم ، بارعاً في المنثور والمنظوم ، مع نزاهة وعفة ، وعذوبة ألفاظ ورقة ، وطهارة صدر ، وحسن خلق ، سريرته كعلانيته .

أخذ العلوم عن افاضل من الأئمة منهم الاستاذ الكبير العارف بالله تعالى الشيخ (محمد بن سعيد الهبري) والأستاذ (احمد بن عمر) (القيرواني) أصلاً (الطرابلسي) داراً ومنشأ .

ولـه تعليق على (البخاري الشريف) و (شرح لطيف على الأجرومية) نحو الثمانية كراريس .

ولي النيابة بعد والده وتوفي قرب الزوال يوم الجمعة السادس عشر من محرم فاتح سنة (١١٥٥) خمس وخمسين ومائة والف ودفن بمقبرة آله . ووالده :

العارف بالله تعالى عبد الرحمن بن أحمد

قال في الارشاد : كان من اولياء الله الذين جمعوا العلم والعمل ، زاهداً ، تاركاً للشبهات ، رقيق القلب ، شديد الحزن ، غزير الدمعة ، مجاب الدعوة ، حسن الأخلاق .

أخذ عن جماعة من العلماء منهم العارف بالله تعالى الاستاذ (أحمد ابن محمد بن محمد البهلول) والفقيه المفتي (الشيخ محمد بن مساهل) وتولى النيابة بعد والده وتوفي عند الزوال يوم الأحد مهل محرم الحرام سنة (١١٣٠) ثلاثين ومائة والف .

ودفن بجوار آله . ووالده :

الأستاذ أحمد بن عبد العزيز

قال في (الارشاد) : كان صالحاً ، فقيهاً فاضلاً ، نحوياً لغوياً ، عروضياً ، ورعاً زاهداً ، عارفاً بالحديث وطرقه ، ومعرفة رجاله ، كثير المتابعة لما كان عليه (المصطفى صلى الله عليه وسلم) ، معتكفاً

بالمسجد الذي اسسه والده ، غالب أوقاته يعلم الناس العلم ، وكان جميل العشرة مع صحبه ، حسن اللقاء ، محباً للفقهاء والمساكين ، مؤثراً لهم ، حريصاً على ايصال النفع لعباد الله .

تولى النيابة الى ان توفي ليلة الاثنين سادس اشرف الربيعين سنة (١٠٢٣) ثلاث وعشرين والف .

ووالده :

الأستاذ عبد العزيز بن محمد

قال في « الارشاد » : كان فقيهاً ، تاجراً ، له حظ جليل في العلم ، وباع متسع في الادب ، وهو الذي اسس المسجد الكائن بداخل المدينة بقرب سورها الغربي وضريح الشيخ المزار (سيدي عمران) واستوطن آخر عمره عند الجلاء واستيلاء الاسبانيول على طرابلس سنة (٩١٦) ست عشرة وتسعمائة بجبل غربان واسس جامعاً بوادي النخل وكان يؤم الناس به ، ورفض الدنيا ، وتجرد لأعمال الآخرة ؛ وانقطع الى الله عز وجل ، مجتهداً في ذلك على أقوم طريقة ، الى ان توفي ودفن بازاء مسجده وقبره يزار .

وقفل ابنه الاستاذ (احمد) السالف الذكر الى طرابلس بعد الفتح .

وأصل هـــذا البيت من (الاندلس) من بلاد الثغر الشرقي انتقل

عند الجلاء وغلبة (الفونس) ملك اسبانيا عليه الى طرابلس أواخر المائة السابعة .

ونسبه في « الأندلس » الى (أبي عبد الله محمد بن عيسى بن « بقاء » الأنصاري) .

قال العلامة (احمد المقري) في « نفح الطيب » عند تعريفه ببعض من رحل من « الأندلس » الى البلاد الشرقية من نصه : « ومنهم أبو عبد الله :

محمد بن عيسى بن بقاء الأنصارى

من الثغر الشرقي أخذ القراآت بالسبع . وأخذ عنه جماعة من أهلها .

وكان شيخاً ، فاضلاً ، حافظاً للحكايات ، قليل التكلف في اللباس .

ذكره (ابن عساكر) وقال : رأيته !!. وسمعته ينشد قصيدة يوم خروج الناس للمصلى للاستسقاء على المنبر أولها :

استغفر الله من ذنبي وان كبرا
واستقل له شكري وان كثرا

وكان يسكن وادي الحجارة ويقرأ بالمسجد الجامع . وولد في الثاني

والعشرين من شعبان سنة (٤٥٤) أربع وخمسين وأربعمائة ، وتوفي يوم الأربعاء عند صلاة العصر ، ودفن يوم الجمعة لصلاة الظهر الثامن من ذي الحجة سنة (٥٢٢) اثنتين وعشرين وخمسمائة ودفن في مقابر الصحابة بالقرب مـــن قبر (الدرداء) رضي الله تعالى عنهم ، قال : وشهدت أنا غسله ، والصلاة عليه ، ودفنه .

وذكره (السلفي) رحمهم الله جميعاً وأمدنا بأسرار علومهم . انتهى .

* * *

[رجع] ولما اشتدت وطأتهم وكثر عيثهم !.. اعتزلتهم « قبائل نالوت » وامتنعوا عن اعطاء الوضائع التي عليهم . وكانت هذه القبائل ذوي بسالة .

فالتمس الشيخ أبو القاسم بن خليفة سنة (٣٣) ثلاث وثلاثين من (يوسف باشا) المعاونة على ردعهم فسرح اليه « ابنه احمد بك » في العساكر والذخائر والمهمات الحربية وقدموا (نالوت) وانضم اليهم الشيخ أبو القاسم وجموعه وحاصروا تلك القبائل وأوقعوا بهم ودارت بينهم حروب هائلة ، هلك فيها الكثير من الفريقين . ثم دخلوا « نالوت » عنوة وأخذوا أهلها تحت الطاعة والانقياد واستوفوا مـــا ما تراكم لديهم من الوضائع ، ومائتين وخمسين رأساً من الرقيق في مصاريف الجيش . وصفا الجو للشيخ أبي القاسم المحمودي وقفل أحمد الى طرابلس وأوضح ليوسف باشا تفاصيل تلك الوقائع وأهمية نقطة

الجبل وما اشتمل عليه من الأراضي الجسيمة المنبتة .

فصمم عـلى الاستيلاء عليـه واستقدم الشيخ أبا القاسم بن خليفة وأضمر الفتك به كي يخلو له الجو بزعمه فيستولي على هذا الجبل من غير ممانع . فقدم في سنة (٣٦) ست وثلاثين واحتفل بقدومه وعظم شأنه وأسكنه بيتاً جسيماً وأسنى جرايته وأنعم عليه بهدايا نفيسة وبعد قليل أمر بقتله فقتل غيلة بداره ليلاً .

وفي صبيحتها أظهر الاسف عليه وقبض على رجلين من فقراء الخبازين وقتلهما بتهمته ظلماً دفعاً للشبهة وبقي الجبل متشوشاً وعلى حالة من الفوضى .

وفي هذه السنة عقد يوسف باشا معاهدة تجارية مع « حكومة طوسقانه » .

وفيها صرحت « حكومة سردانيه » باستنكافها عن اعطاء السنوية . وبعد مناقشة وجدال حصل الوفاق على لغو السنويه وتعويضها بأربعة آلاف فرنك هدية يقدمها كل قنصل جديد عند قدومه ، ثم بدلت قنصلها مرتين في خلال أمد قليل وقدم كل قنصل بهديته . ثم ارسلت قنصلاً ثالثاً بلا هدية ، فغضب يوسف باشا وبث السرايا على سواحلها وربط البحر على مراكبها التجارية وغنم ثلاثة مراكب .

وفي الثامن من صفر سنة (٤٠) اربعين أرسلت ستة اساطيل حربية سردانية وحـاصروا طرابلس وكتب أمير الاسطول ليوسف باشا باسترداد تلك السفن والتمس بقاء الصلح وحقن الدماء فرفض طلبه ،

وأول التماسه ، وركبت العساكر وأهل البلد القلاع وتواقعوا بالمدافع ودارت رحى الحرب سبعة ايام . وفي ليلة الثامن ركبت عساكر سردانية الزوارق واحرقوا أسطولين طرابلسية ونزاوا الى البر خارج السور من جهة باب البحر فخرجت لهم العساكر واحتربوا واشتد القتال وحمي الوطيس فركنت عساكر سردانية الى الفرار والاعتصام بأسطولهم .

ثم انبرم معهم الصلح بأن يعطوا سبعة آلاف فرنك ولا يؤخذ منهم فيما بعد سنوية ولا هدية وأقلع اسطولهم .

وفي سنة (٤٢) ثنتين واربعين نافقت بعض اعمال « برنو » واعلنوا بالشقاق وعادوا الى حالهم مــن الاستبداد وقطع اسباب الطاعة . ولـمـا انسدت على حاكمهم (الشيخ محمد الامين) وجوه الانتصاف بعث ليوسف باشا يستنجده لكشف بلواه ، ومدافعـة اعـداه ، فجهز له يوسف باشا العساكر وعقد عليهم (لعبد الجليل ابن غيث بن سيف النصر) وارتحل بهم في اواخر هذه السنة وخاض القفر بمن معه ولحق « برنو » ، وسرحه الشيخ محمد الأمين الى تلك الأعمال وضيقوا عليهم وجاسوا خلال ديارهم وأذاقوهم نكال الحرب حتى استقاموا على الطاعة ورجعت تلك الأعمال لمـا ألفوه من الانقياد . ولما تمهد الهناء انقلب (عبد الجليل) مؤيداً بمبالغ وافرة من الرقيق والمتاع .

وفي هذه السنة أعني سنة (٤٢) اثنتين واربعين ارسل يوسف باشا ولده علي بك في قليل من العساكر على حال ضعف من العدد والمهات

الحربية للاستيلاء على الجبل الغربي . ولما شارف تلك الضواحي بعث علي بك جواسيسه لاستكشاف قوتهم فاتضح له أن أمرهم صعب المزاولة بما لديه من العساكر ، وأن لديهم من القوة والاستعداد ما لم يخطر له ببال ، فضم جناحه وخيم بالبيضة وطلب المدد .

وكانت هذه الايالة يومئذ في حالة العجز والضعف ونقصان الجباية فندم (يوسف باشا) على تهوره ثم لاذ بارتكاب أخف الضررين واستقدم جنده فرجع بخفي حنين .

وفي هذه السنة ثار (عبد الصمد بن سلطان) ببعض « قبائل ترهونة » وقدمهم (الحاج محمد بيت المال) في العساكر وأوقع بهم وأثخن فيهم وشتت جمعهم وانسدلت الأمنية .

وفيها ورد من دار الخلافة العلية (فرمان عالي الشأن) بتوجيه رتبة بكلربكي الرفيعة لعهدة يوسف باشا وأطلقت مدافع السرور ووفدت عليه وفود التهاني .

ثم أن « حكومة النابوليتان » لما تحققت ضعف الحكومة المحلية وما ألم بها من الصعوبات والنقص في الأموال والأنفس والثمرات وما نالته حكومة سردانية من الامتياز اقتدت بها واقتفت بها على أثرها وأمرت قنصلها بطرابلس بأن يصرح بامتناعه عن إعطاء السنوية ، وبعثت بأسطولها لحصار طرابلس فوافى مرساها سنة (٢٤٥) خمس وأربعين ومائتين وحاصروها أربعة عشر يوما ثم باشروا الحرب وتواقعوا بالمدافع ثلاثة أيام ولم يحصل منهم ضرر في البلد .

وفي اليوم الرابع انعقد معهم الصلح بأن يؤدوا للحكومة المحلية ثلاثة وثلاثين الف فرنك ، وأن تكون السنوية باسم هدية بلا وقت معين . ثم رحل النصارى بأسطولهم .

وفي هذه السنة وقع خلاف بين بعض قبائل ضواحي (سرت) و (أورفله) واشتدت المنازعة بينهم حتى أدت الى المقاتلة فاضطرت الحكومة لردعهم وكفهم عن بغيهم ، فوجه اليهم يوسف باشا ولده ابراهيم بك في خف من العساكر ، وقدم أورفله فحاربهم ثلاثة أيام ثم جنحوا للسلم بواسطة مشايخ (أولاد أبي سيف) ولم يتحصل منهم شيء في مقابلة مصارف المحلة لاستخفافهم بوطأة الحكومة وضعفها واضمحلال جميع قواها البرية والبحرية .

وذلك أن يوسف باشا لما انتقل من طور الشبيبة الى طور الشيبة استهان بأهل الايالة واغتر بظاهر الطاعة المرضية من أهلها ، وحملهم بمقتضى ما كان له من اطلاق التصرف من مصاريف شهواته وألوان لذاته أكثر من طاقتهم ، حتى آل الأمر الى فاقته وفاقتهم ، فباع من أسطولها الحربية وسك مدافعها النحاس فلوسا وأرخى عنان التصرف لأبنائه وأصهاره وقسم الايالة بينهم . فأعطى لأكبر أولاده (علي بك) « غريان » ولمصطفى بك « مسراته » ، ولعثمان بك « الخمس » . ولعمر بك « أورفله » ولابراهيم بك « يزليتن » ، ولمملوكه مصطفى بك « درنه » . فأرسلوا العمال من طرفهم وساءت سيرتهم وعظم ظلمهم واتخذوا طرقاً للجباية وفق مصالحهم الذاتية ، واتسع الخرق على الراقع الى غير ذلك مما نقم من أعماله وأذن بزواله .

(يحكى) : أن صهره ونصيحه (مصطفى بك قورجي) صاحب الجامع بطرابلس قال له يوماً « ان سيرتك قاضية الى الانحلال ؟؟.. فنظر الى شيبته وقال له « يا مصطفى !. قد طاب زرعك ؟ » أشار الى الفتك به فقال « والله أرضى أن تقتلني وتستقيم !! » .

ولم يزل الحال يثقل بقدر الضعف حتى استحوذ على عموم الأهالي الافلاس ، فاستغرق يوسف باشا في الديون من تجار الاجانب بفائض فاحش ، وانهمك في الملذات ومعاشرة المضحكين والصفاعين وسماع الالحان ، واهمل الامر حتى حلت مواعيد الديون وطلبت أربابها حقوقهم بواسطة قناصلهم . وكان أشدهم طلباً قنصل الفرنسيس فثقل طلبه على يوسف باشا وأغلظ في الجواب ، فغضب القنصل وسافر وكان من خبره ما يأتي ذكره :

وفي سنة (٤٦) ست وأربعين انتقض (عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر) ولحق بنواحي « أورفله » والتف به من كان بتلك الضواحي من أجلاف العرب وكل ناعق ممن يلتمس الرزق بسلاحه ، وأظهروا العصيان .

وان (عبد الجليل بن غيث) هـذا من سراة قومه (اولاد سليمان) وكانت مواطنهم بصواحي (سرت) وقد تقدم ذكر انتقاض ابيه (غيث) والفتك به والقبض على (عبد الجليل) هذا فنشأ في جو عناية يوسف باشا وتحت كنفه واصطناعه ، واختلط بابنائه على احسن الوجوه من التربية . وكان جموحاً للرياسة طامحاً للاستبداد

كما قيل :

اذا كان الطباع طباع سوء ... فلا أدب يفيـد ولا أديب

فلما قفل من « برنو » كما تقدم جرى شأو رياسته طلقا فحدثته نفسه بالاستبداد وأجمع على الانتقاض ، وأعلن في هذه السنة بضواحي أورفله النفاق ، وانضم اليه من كان بتلك القاصية من جفاة الأعراب ؛ وصغت آذانهم لناعق فتنة ، ونهض فيمن معه وقدم بلد « سوكنه » وتبوأها ثم انتزى على بلد « مرزق » وكان من خبره ما يأتي ذكره :

وفي هـذه السنة أعني سنة ست وأربعين قدم لمرسى طرابلس (الأميرال روزامبل) في سبعة أساطيل حربية فرانساوية وحاصرها واقترح على الحكومة تكاليف شديـدة وانتظر الجواب عنها ثمـانية واربعين ساعة . فعقـد يوسف باشا مجلساً من الأمراء والأعيان ، واتفقوا على التشبث بتعديل تلك التكاليف لعجزهم عن المدافعة وفقد القوة وضعف الحامية . وأرسل لذلك (الحاج محمد بك المال) فحصل بواسطته الوفاق وأن يكون دفع نصف الدين في الحال والباقي بعد انتهاء اربعة اشهر .

فاقترض يوسف باشا ذلك المبلغ من بعض الاجانب واعطى للأميرال وحررت المقاولة على الواح وعلقت بالأسواق وفق الاقتراح واقلع الاسطول .

وفيها : كتب يوسف باشا تبريكاً لقعود امبراطور فرانسه (فيلب الاول) وجعله وسيلة لحصول المعارفة معه وسعياً لتبديل هذا القنصل . ووجه به (الحاج محمد بيت المال) فقدم « باريز » وتوفق لعزل

القنصل وولى بدله غيره . وكان صاحب دراية فأظهر ليوسف باشا الخلوص والمودة ورغبة على وضع نظام الكمرك ، فأسسه برأيه وزاده نفوذاً على سائر القناصل فثقل ذلك على (وارينقطون) قنصل حكومة الانكليز وأخـذ في التضييق على يوسف باشا بطلب ديون تجـار الانكليز .

وفي خلال هـذه المدة تجاسر نفر من العساكر بتحقير ابنته ، وآخرون بسبه واهانته . وبتتابع هذه الوقوعات ازداد اغبراره فأبرق وأرعد وأنزل بيرقه وأصر على طلب دفـع جميع الديون في ثمانية وأربعين ساعة ، وبعد انقضائها ركب أسطوله وسافر الى مالطه .

فتحير يوسف باشا وعقد مجلساً مـن الأمراء والأعيان لذلك ، فأشاروا عليه بتوزيع تلك المطالب على الأهالي ، فطرح عشرة آلاف فرنك على سكنة الثغر من المسلمين ومثلها على اليهود ووزع الباقي على اهل المنشية والساحل ومن بجوارهم من النواحي القريبة وكانوا يومئذ في حالة الفاقة ، من جور العمال ، والضرائب المتنوعة ، وسوء السيرة ، ونقصان الفلاحة ، وفلوس النحاس ، وقلة سكة الفضة ، حتى آل الامر لفاقتهم .

فثاروا بسبب ذلك عليه لائذين بطاعة حافده (محمد بك) وذهبوا اليه بمكانه من المنشية ، وعقدوا الأيمان لديه والمواثيق والعهود عليه . ثم أتوا بستان يوسف باشا فنهبوا سائر ما فيه واتخذوه مقر الحكومة الموقتة . واستعدوا للمظاهرة والمقاتلة فانحجر يوسف باشا في المدينة محصوراً .

وفي يوم الخميس السابع والعشرين من صفر سنة (٤٨) ثمــان وأربعين كتب (يوسف باشا) اعلانات بتركه لتلك التكاليف . فأولها الثائرون على غير ما وضعت له واستمروا على طغيانهم .

في يوم الجمعة الموالي بعث اليهم (حسن بك البلغزي) في ألف من العساكر وتواقعوا بموضع سوق الثلاثاء . ولمــا حمي الوطيس اختل مصاف حسن بك البلغزي واعتصم في فله بالثغر ، وأغلقت أبوابه وبنى عليها واستمر الحرب بالمدافع واستفحل أمر الثائرين .

فاستنجد يوسف باشا باي تونس بكتاب محصله « ان اقامة بيتنا كانت على يد بيتكم ، ولكم علينا منة ، وفضل ؛ والآن تداعى ذلك البنا والمطلوب من فضلكم !! تلافيه قبل ان يخرج بما يظهر لكم من الاعانة » .

فجمع الباي رجال حكومته لذلك فأشار (سليمان كاهية) و (محمد كاهية) وغيرهما بأن « هذا الأمر يجب الاعتناء به قبل أن يتفاقم الحال ... ويلزم (الدولة العلية الثمانية) اطفاء نار« الفتنة في الاسلام . ولربما يسري الفساد من طرابلس الى الأعراض بسهولة !.. »

وعارضهم (الوزير شاكر) صاحب الطابع بأن « حكومتنا المحليه والحالة هذه في ضيق !! ولا نضايق على أنفسنا ليتسع غيرنا ... » الى غير ذلك حتى قال البعض من أكفائه انه « لا يتأتى له السفر بنفسه لخدمته المانعة له !.. ويخشى ان سافر غيره .. ربما يكون بذلك له وجاهة !!.. » (وربك أعلم بما تكن صدورهم وما يعلنون) وتم رأيه ووقع غض الطرف .

ثم ان حصر الثغر اقتضى ان كل من يرد اليه من صغار المراكب تأخذه جماعة المنشية فأخذوا مركباً للجرابة بما فيه ، فرفعوا شكايتهم لباي تونس ، فوجه (الأمير الاي سليم) الى يوسف باشا لأنه لا يعرف حاكما بطرابلس وعملها غيره وان عجز ، يتوجه الى أحفاده بالمنشية ، فان ردوا ما أخذوا والا آذنهم بحرب .

فقدم طرابلس وأجابه يوسف باشا بالعجز وأنه ينتظر الاعانة من تونس ، فتوجه الى المنشية وطلب من محمد بك رد ما أخذوه وان الباي بتونس لا يعرف الا صاحب مدينة طرابلس ، ولا يعرف الثوار وله أن يعين يوسف باشا على الثائرين فامتثلوا وردوا ما أخذوه والتزموا أن لا يتعرضوا لسفن تونس .

تنازل يوسف باشا عن الولاية لابنه علي بك

ولما تفاقم الخطب ويئس يوسف باشا من النجاح تنازل عن ولايته لابنه علي بك أملاً في حصول أمنية الأهالي فيه وانقيادهم اليه ، وأطلقت المدافع اعلانا بولايته وكتب يوسف باشا الى قبودان البحر بدار الخلافة يومئذ (خليل رفعت باشا) بذلك ، فازدادت نفرة الثائرين والتفت عصبيتهم وقويت شوكتهم . (واذا أدبر الأمر كان العطب في الحيلة) ، فأمر علي بك بهدم بيوتهم بالمدافع فهدمت واستمر الحرب .

وفي غرة ربيع الآخر سنة (٤٩) تسع وأربعين أتاه فرمان عال

بتقليد الولاية وتوجيه رتبة بكلربكي فأطلقت مدافع السرور .

ولما سمع (الحاج محمد بيت المال) بولايته وكان يومئذ ببنغازي آسفه ذلك لما بينهما من العداوة وسافر الى مالطة .

وفي سبع وعشرين رجب من هذه السنة قدم الى المنشية في ثلاث سفائن تجارية مشحونة بالمهات والذخائر الحربية اعانـــة من بعض الأعداء ، وأرسل علي باشا أسطولين لضبطهما فأحرق منهما أسطولا وغنم الأسطول الثاني سفينة منهم ·

ثم في أواسط جمادى الأولى سنة (٥٠) خمسين قـــدم (محمد شاكر افندي) في أسطول من دار الخلافة العلية حاملا لسيف وفرمان عالي من أمير المؤمنين ببقاء علي باشا على ولايته ، فتلقاه بمن حضر من آل بيته وأكابر المأمورين والأعيان ، وأطلقت المدافع استبشاراً لقدومه وبالغ في اكرامه ، ثم ذهب الى الثائرين واستقدم أعيانهم ومحضهم النصح واجتهد في اصلاح ذات البين فأجابوه بأن « هذه الحروب والفتن الأهلية أبادت قواهم ، وشتتت شملهم !.. وانسلبت امنيتهم في هؤلاء العائلة . واسترحموا انقاذهم من قبضة ظلمهم ... » وقدموا له عرضاً عمومياً بذلك ، فأخذه ووعدهم بالجميل ورجع الى المدينة .

وفي اواسط شعبان من هذه السنة رجع وارينقطون قنصل دولة الانكليز في اسطولين حربية ، وقدم اعتماده لعلي باشا مع كتاب دولته بالتبريك ، وأطلقت تسعة مدافع من القلعة ترضية لدولته وفق طلبها ، وتسع مدافع رعاية لذات القنصل وثلاثة وثلاثين مدفعاً لافتتاح بيرقه وصرخ الاسطولين مثل ذلك .

وفي سلخ هــذا الشهر عزم (شاكر افندي) لدار السعادة . وفي أوايل ذي الحجة من هذه السنة قــدم اسطول فرانساوي وعلى اثره اسطول انكليزي وأخبر اميراهما ان الدولة العلية مهتمة بتجهيز عدة اساطيل حربية ، وسيكون قدومهم قريباً الى هــذا الطرف لردعهم واطفاء نار الفتنة ، وشوقا الفريقين عــلى الوفاق قبل قدوم تلك الاساطيل وضياع امتيازهم . فلم يصغ لقولهما وذهبت تلك المساعي أدراج الرياح ودامت هذه الفتنة والحروب الأهلية نحو العامين حتى منّ الله على هذه الايالة بالفرج بعد الشدة ، واستوفت آل قره مانلي ما قدر لها من المدة .

ولاية الفريق الاكرم نجيب باشا

وفي اوائل محرم سنة (٢٥١) احدى وخمسين ومائتين قدم الفريق الاكرم نجيب باشا في اثنين وعشرين اسطولاً حربية مشحونة بالمهمات والعساكر السلطانية ، فاحتفل علي باشا بقدومه واستقبله في اسطوله وأُطلقت منه مدافع السرور .

وفي اواخر هذه الشهر استقدم علي باشا للأسطول ، وعند قدومه اليه أمر بالقبض عليه وقدم البلد في موكب عظيم ، وحل « بيت الباشاوات » واستحضر القاضي والمفاتي والعلماء والاعيان وأعلن بولايته وأمر باتخاذ اسباب التحفظ وفتحت ابواب البلاد . وتدارك الله تعالى بلطفه أحوال العباد . ثم ذهب في موكبه وحل قصر الحكومة وقرىء

فرمانـــه العالي بكمال التعظيم وابتهج العموم بالفرح والسرور وكان يوما مشهوداً ، ومن مواسم الأعياد معدوداً ، وقدمت وفود التهاني وقام سوق الأمن وخمدت نار الحرب وبلغت كل نفس مناها . وقتل محمد بك قره مانلي نفسه ، وفر اخوه احمد بك الى مالطه . وارسل علي باشا الى الآستانة العلية . وانقرض بيت آل قره مانلي وتفرقوا أيدي سبأ وحصل المنى ، والله يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ويعزُ من يشاء ، ويذل من يشاء ، وهو على كل شي قدير .

وهذه ثمرة التصرف بالشهوات ، وغض الطرف عـــن الغوائل والآفات ، واستعمال الشدة في موضع المداراة .

وفي أوائل صفر من هذه السنة عقدت لجنة مـــن أعيان الثغر وخارجه لدى الحاكم الشرعي يومئذ الشيخ (أحمد التوغار) لحسم النوازل الشرعية .

وفيه وفد (الشيخ غومه المحمودي) في مشيخة من قومه على الوالي وأعطوه مطاعة والانقياد وكساهم بالبرانيس ثم حبس الشيخ غومه لبعض أيام من قدومه باغراء بعض أرباب الغايات .

ثم جمع كافة العلماء وعموم المشايخ وأعيان الفريقين بجامع درغود باشا للتأليف بين قلوبهم ، ونزع الغل من صدورهم . وتيسر الوفاق بين الفريقين ، والتسامح عما فرط وعقدت بينهم عهود ومواثيق وتعهدوا باعطاء جبايتهم على الأسلوب الذي كان به التعامل زمن يوسف باشا ، وحرروا بذلك محضرا وقدم للوالي وعدت هذه الموفقية من كرامات (طرغود باشا) رحمه الله تعالى ، وتمهدت الراحة وأمنت الساحة .

ثم استحسن (نجيب باشا) ضرب أنواع من البارات لتسهيل المعاملات فضرب منها القدر المطلوب بلا استئذان من الباب العالي ثم عزل .

ولاية محمد رائف باشا

وولي الفريق محمد رائف باشا ، وكان وصوله في أواسط جمادى الأولى من هذه السنة فأزال الضربخانه وخلى سبيل الشيخ غومه المحمودي . واستقدم والدة محمد بك حافد يوسف باشا قره مانلي واخته من تاجوراء لأسباب سياسية ، فامتنعتا ولاذتا بأهل تاجوراء واستجارتا بهم فاعصوصبوا لهما وجاهروا بالنفاق . فسرح اليهم (محمد باشا) العساكر في أوائل شوال سنة (٥١) احدى وخمسين ونازلوها وأوقعوا بهم حتى استقاموا على الطاعات وفرت تلك العائلة الى مسراتة ناجين بأنفسهم .

وفي أوائل ذي الحجة من هذه السنة قدم (أحمد نظيف افندي) قاضياً بطرابلس بفرمان عالي الشأن وهو أول الموالي الكرام . وكان خيراً راضعاً لثدي المعارف ذا علم وفضل وانصاف ، ومجموع كمال أوصاف ، حسن السيرة لا تأخذه في الله لومة لائم .

وفي أوائل ربيع الأول من سنة (٢٥٢) اثنتين وخمسين ومائتين قدم طرابلس اثنا عشر أسطولاً حربية بالعساكر والمهمات الحربية ، قدم بهم : قبودان البحر ، ومشير الطوبخانه ، وسر عسكر طرابلس ، (المشير

طاهر باشا) ودخل البلد في موكب حافل وقدمت اليه وفود التهاني . ورأى اضطراب الأحوال فعسكر بخارج الثغر . ولثلاثة عشر يوماً من قدومه كتب أوامر لجميع الجهات في طلب عموم المشايخ والأركان بالقدوم عليه وتقديم واجب الطاعة اليه . وعين لهم ميعاداً ومن تأخر بعد عاصياً فلم يقدم عليه منهم أحد .

وفي أواسط ذي القعدة أجمع الحركة على مسراته فجهز الأساطيل وشحنها بالعساكر والذخائر الحربية وقصد بهم مسراته ولحق بـــه طابوران من العساكر التونسية قدم بهم الوزير (شاكر صاحب الطابع) في ثلاثة مراكب حربية وتسعة مراكب متجرية بثلاثمائة من جياد الخيل بعثهم أحمد بك والي تونس اعانة . وخرجت خيله ورجله الى البر فلقيهم (عثمان الأدغم) في جموعه ووالى عليهم القتال وتعددت فيهم الوقائع واتصلت الحروب ثمانية وعشرين يوماً حتى أثخن فيهم ، وأخذت البلد عنوة وفر عثمان الأدغم الى « ترهونة » ناجياً بنفسه ثم رفع السيف ونادى في الناس بالأمان .

ولما استكمل أمر الفتح وشؤونه انقلب راجعاً براً فأتوه كافة أهالي البلدان التي مر عليها بالطاعة والانقياد .

ولمضي عشرين يوماً من أوبته عزم في العساكر فيهم (حسين باشا المصري) و (عثمان باشا) و (درسون بك) لتمهيد ترهونة . ولمـــا شارفها اختلفت كلمة عربان تلك الضواحي وبادر قسم منهم بالانقياد وأصر الباقون على العناد ، فغزاهم واستباح عليهم حتى اثخن فيهم وشتتهم وقبض عـــلى عثمان وولده الأدغم واعتصم فلّهم بجبال غريان وانقلب مؤيداً .

ثم سقمت سريرة مير اللــــواء حسين باشا المصري والأمير ألاي درسون بك ومرضت أهواؤهما فأفسدا بعض القبائل واتيا بما أوغر صدر طاهر باشا فأوعز للجند في القبض عليهما .

ففر حسين باشا الى الاستانة وقُبض درسون بك وسيق الى دار السعادة .

وفي أوائل ذي القعدة من هذه السنة عزم طاهر باشا في العساكر المنتظمة الى غريان فلقيه غومه في جموعه ، وتواقعوا ودارت بينهم حروب هائلة هلك فيها الكثير من الفريقين ، وضبط غومه مدفعاً ومهمات كثيرة ، وفي اثناء هذه المحاربة عزل محمد رائف باشا .

ولاية طاهر باشا

وولي طاهر باشا وأتاه فرمان بتقليد الولايـــة مكافأة لخدماته السابقة ، فجنح للسلم وتارك الشيح غومـــه وولى مديراً على غريان وأعاد اليه غومه تلك المهمات والعدد الحربية بتمامها . ثم لوى عنان الأوبة واستمر في الولاية الى محرم سنة (٥٣) ثلاث وخمسين وعزل .

ولاية حسن باشا الجشمة لي

وولي الفريق حسن باشا الجشمة لي ، وكان قدومـــه في أواخر

هذا الشهر . وقفل طاهر باشا الى الآستانـــة وأخذ معه عثمان الأدغم وكان متكاسلاً عن طلب الظهور جانحاً الى السكون مقبلاً عـــلى اللذات ، وأغفـــل الحزم ، فخرجت جميع الأهالي من ربقة الطاعة واختلفت الأهواء بكل جانب ، وبدا ما كان في قلوبهم من المرض وانحصر نفوذه في « المنشية » و « الساحل » و « تاجوراء » . ولما اتسع الخرق عـــلى الراقع تشبث ببعض تهويلات ، فعسكر بظاهر الثغر مورياً الرحلـة لقتـال المفسدين وتـدويخهم . ثم فرق تلـك الجموع وتكررت منه هذه التظاهرات العقيمة الفائدة ، واستمر في الولاية الى جمادى الآخرة سنة (٣٥٤) أربع وخمسين ومائتين وعزل .

ولاية علي باشا عشقر

وولي الوزير علي (عشقر باشا) وقدم طرابلس في أواسط هذا الشهر وبمعيّته (درسون باشا) المار ذكره ، ونهض بأعباء الإيالة وقام بها أتم قيام ، وأصلح ما ثلم من القلاع وما خرب من الجوامع ، وانشأ قصر الحكومة بأورفلة ، ومحل حكومة بالموضع المعروف بأبي نجيم ، الكائن بين سكونه وأورفله ، وشكل هنالك ناحية وسماها بالآثار المجدية . وولى حليم باشا على بنغازي .

ثم كثر لديه المنافسون وارتفعت اليه السعايات حتى قويت عنده ونمى اليه بعض سماسرة الفتن ببعض الأعيان ، منهم الحاج محمد شالابي بيت المال ومحمد آغا التركي فقبض عليهم ونفاهم الى دار السعادة العلية وكان من خبره ما يأتي ذكره :

خلافة السلطان الغازي عبد المجيد خان

وفي تسعة عشرة من ربيع الأول سنة (١٢٥٥) خمس وخمسين ومائتين وألف انتقل (السلطان محمود خان) الثاني الى دار الجنان ، وجوار الرحمن ، عامله الله بالكرامة والرضوان ، لاحدى وثلاثين سنة وعشرة أشهر من خلافته . وجلس (السلطان الغازي عبد المجيد خان) ابن (السلطان محمود خان) وطلع على الدنيا بدر هدى ، فقمع العدا ، وجمع بين البأس والندى ، وكانت أيامه مواسم ، وثغوره بواسم .

•

[رجع] وفي هده السنة جمع (عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر) اوباشاً من العرب وانتزى على جهات طرابلس الشرقية وردد الغزو على بسائطها ، فاكتسحها بالغارة وعاث فيها وكبس على نواحي « يزليتن » و « تاورغا » و « ساحل الأحامد » و « الخمس » و « مسلاته » فاقتحمها بالغارة وفساد السابلة وانتساف الزرع .

ولما سمع (علي عشقر باشا) بما نزل بتلك النواحي من أجلاب (عبد الجليل) سرح جيشاً من العساكر المنتظمة وعساكر (القول أو غلية) ومعهم (حسن بك البلعزي) لحسم هـــذا الداء ، فلقيهم (عبد

الجليل) في جموعه ، وتواقعوا بظاهر بلد « مسلاته » نحو ثمان ساعات . فانهزم عبد الجليل وترك عياله وأهله ومهماته وفر الى نواحي فزان وكان من خبره ما يأتي ذكره :

وبادر أهل الخمس والساحل ويزليتن وتاورغا وأورفله وأتوا بطاعتهم بلا محاربة ، ولما اضاء الأفق وتمهد الهناء والراحة وأمن الساحة قفلت العساكر مؤيدين .

وفي هذه السنة رجع (غومه) الى حاله من الأجلاب على طرابلس ، وقدم في جموعه الى « وادي الهيرة » فسرح اليه (علي باشا) ، القائمقام (بكر بك) في العساكر فلقيهم (غومه) في جموعه وتواقعوا نحو خمس ساعات ، فانهزم بكر بك وانقلب في فله راجعاً . وضبط (غومه) نواحي « الزاوية » و « العجيلات » و « زواوه » فمال (عشقر باشا) الى المداولة بالسياسة فضم نشره وأيقظ رأيه كما قيل :

الرأي قبل شجاعة الشجعان　　　هو أول وهي المحل الثاني

وبعث ثقاته في التفريق بين أولئك الجموع ومحضهم النصح ، فاختلفت كلمتهم وجنح بعضهم الى الطاعة والانقياد ، وهاجت بينهم الفتن بسبب ذلك . وبلغ (عشقر باشا) اضطراب احوالهم فسرح اليهم (احمد باشا) في عساكر وقدم « الزاوية » وناجزهم الحرب ودوخ البلاد وفتح المعاقل ، واجفل « غومه » الى « الجبل » مهيض الجناح وانتهى الى « ترهونه » ، ووالى عليها القتال واثخن فيهم وانقلب مؤيداً .

ولما كانت سنة (١٢٥٧) سبع وخمسين ومائتين والف اجمع (احمد باشا) الحركة الى « غريان » فاحتشد الجنود واحتفل بتجهيزهم وقدم بهم غريان . فلقيه غومه في جموعه وتواقعوا ، ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها غومه الى الجبل مفلولاً ، وهلك الكثير من سراة قومه ، وأُسر نحو السبعين من وجوه اصحابه واشخصوا الى طرابلس وقتلوا ، ثم رفع احمد باشا السيف ونادى بالأمان . ولما فرغ من امر الفتح واستقامت الاحوال عاد الى طرابلس .

ثم في سنة (٥٨) ثمان وخمسين عاد (عبد الجليل) الى حاله من الأجلاب وانتزى على « سوكنه » و « هون » و « ودان » ونهب حيواناتهم وأفسد زرعهم وقتل نحو الثلاثين رجلاً من وجوه « ودان » ، وردد الغزو على تلك البسائط وتمادى في غوايته . ثم فارق محل ثورته وقدم في جموعه الى ضواحي « سرت » .

ولما انتهى (الخبر) لعشقر باشا بعث اليه عامل مسراته يومئذ (حسن بك البلعزي) في العساكر المنتظمة وكافة القبائل المطيعة . وتواقعوا ودارت بينهم حروب شديـدة اختل فيها مصاف (عبد الجليل) وقتل الكثير من صناديد رجاله ولاذ بالفرار ، ولم يجد اليه سبيلاً فلجأ لجبل صغير هنالك يعرف بالقاره ، مفلول الجناح عفواً باليأس ، فأحاطت به العساكر من جميع جوانبه وحاصر سبعة ايام . ثم صار الظفر به والقبض عليه وعلى اخيه (سيف النصر) وقُتلا وبعث برأسه الى طرابلس وأُسر (احمد المريض) و (مصطفى الأدغم) و (محمد ابو عايشه) وسيقوا الى طرابلس ، وصار قتل

احمد ومصطفى عبرة ظاهرة وعظة للمتفكر وعفي عن (محمد أبو حج عايشه) وأُطلق وثاقه وتفرقت تلك الجموع وتمهد الهناء وانقلبت العساكر أعزة ظاهرين .

الأستاذ محمد النائب العسوّس الانصاري

وفي هذه السنة توفي الأستاذ الفاضل العلامة ، الفقيه المالكي الصوفي الحجة الفهامة ، ذو الفطنة النقادة ، والقريحة المنقادة العارف بالله تعالى (الشيخ محمد) بن (محمد) بن (عبد الكريم) النائب الأوسي الأنصاري .

ولد رحمه الله سنة (١١٨٧) سبع وثمانين ومائة وألف بطرابلس ونشأ بها وحضر مجالس العلم والعرفان . ولقي الأستاذ الكبير العارف بالله تعالى (الشيخ محمد حسن ظافر المدني) وتخرج به وأخذ العلوم عن أساتيذ عصره ، وأعلام مصره ، فأصبح متقناً لعلم الحديث ، متفنناً في العلوم ، من الأصول والفروع ، عالماً بأقسام البلاغة ، ومعانيها ، حائزاً لقصب السبق فيها ، وكان له معرفة بطريق القوم الصوفية ، وعلماً من أعلام العرفان ، ولـه تقدم في النظم والنثر على طريق التحقيق والبيان .

ومن بعض ما قذفه من درره ، وفاه به من محاسن غرره ، هذا التشطير :

هذه أنوار ليلى قد بدت
وجلاها النور في أحسن زي
هزمت جيش النفوس سطوة
ولسلب العقل يا صاحي تهي
فالفتى من سلبته جملة
وأزالت عن مرياه الغطي
ذاك من حاز الوصال دفعة
لا الذي تسلبه شيئاً فشي
لا ترى في شمسها ظل السوا
قد طوت بساطه الأنوار طي
عجباً تراه في وحدتها
وهي شمس وهي ظل وهي في
وإذا الحسن بدا فاسجد له
نافي التقليد عن ليلى ومي
حرم الله حللت أمنا
وسجود الشكر فرض يا اخي

●

ولي النيابة بنفس الثغر بعد أخيه الاستاذ (عبد الكريم) بن (محمد) رحمهما الله والتزم فيها الصرامة في تنفيذ الحدود، والحزامة

في اقامة الحقوق ، والكشف عن البيان في السر ، والصدع بالحق في الجهر ، لم يستلمه مخادع ولا يكده مخاتل ، ولا تأخذه في الله لومة لائم .

ولاية الوزير محمد أمين باشا

ثم صار انفصال (علي باشا) وولي الوزير محمد أمين باشا وكان من الوكلاء الفخام ، وقدم في ستة من جمادى الآخرة سنة (٢٥٨) ثمـــان وخمسين ومائتين وبمعيته (عزمي بك) وهو أول دفتر دار قدم الولاية .

فأجرى التنظيمات الخيرية ورتب القضاءات والمديريات واللواآت وأسس المجالس والأقلام والدفاتر ، وعدل أموال الجباية وأجرى نظام المجالس والأقلام والدفاتر ، وعدل أموال الجباية وأجرى نظام تذاكر المرور وانشأ المستشفى العسكري الكائن بالمنشية ، وجعل الاميرالاي بكر بك متصرفاً بفزان ، وولى من معتبري الأهالي قائمقامين ومديرين بكفائل قوية ، واجتهد في المواد السائرة . ثم استقدم (الشيخ غومه) بأمانة بواسطة « مصطفى بك قورجي » فقدم عليه وعظم من مقامه ونوه مجلسه ولطفه برتبـــة « قبوجي باشي » وولاه عضواً بمجلس الادارة ، واسنى جرايته وبالغ في اكرامه ، واستوطن طرابلس بأهله من يومئذ .

ثم حصل خلاف وعدم وفاق بين غومه و (اللواء أحمد باشا)

فألقى القبض عليه ونفـــاه فانتقضت لذلك (قبيلة المحاميد) وعموم أهالي الجبل وجاهروا بالعصيان .

وفي أوائل صفر سنة (٢٥٩) تسع وخمسين ومائتين جهز أحمد باشا العساكر وارتحـــل بهم لقتالهم ولحق ببلد « ككله » وتواقعوا والتحمت الحروب وتجاوبت الأصداء وزلزلت الأقدام وهلك الكثير من الفريقين ، ثم جنحوا الى السلم وضرعوا الى الأمان فأمنهم .

وقدم بلد « يفرن » وضبطها عنوة ، وأثخن في أهالي بلد « فساطو » واقتحمها عليهم وافترقت العساكر في كل جهة وتوغلوا في تلك الجبال وأذاقوهم الويل والنكال حتى انقادوا ولاذوا بطلب الأمان ، فأمنهم وبادرت أهالي « نالوت » و « غذامس » وأتوه بالطاعة .

ثم انتقضت أهالي « ككله » و « يفرن » فعاد اليهم وأثخن فيهم وهلك الكثير من صناديد رجالهم وأخذوا تحت الطاعة ، ولما تمهد الهناء انقلب أحمد باشا بما لديه من العساكر أعزة ظاهرين .

فاكتسب أحمد باشا بهذه المظفريات نفوذاً بين الأهالي ، ولم يبق للوالي معه الا الاسم ، فثقل ذلك عليه وأنهى بذلك الى الباب العالي .

وفي سنة (٢٦١) احدى وستين ومائتين نافق مدير « ككله » وجاهر بالعصيان ، والتف به من كان بتلك النواحي مـــن جفاة الاعراف فقدمهم أحمد باشا بالعساكر وناجزهم الحرب وقتل العامل واقتحم البلد وانقلب مؤيداً .

ثم احتوت شدة الجهالة عـــلى اتباع غومه يقال له (مولود) واستطرده الحتف فأقبل بـــه بلد يفرن واستمال أهله واستغواهم فجاهروا بالعصيان ، فبعث اليهم (الوالي محمد امين باشا) الميرالاي (اسماعيل بك) في العساكر وناجزهم الحرب واتصلت فيهم الوقايع حتى استقاموا على الطاعـــة وانكف راجعا الى طرابلس وتمهد الهناء وعم الأمن في جميع الأقطار فبعث الوالي العمال وسائر المأمورين لكافة الأنحاء والجهات . وفي خلال هذه المدة استقدم (أحمد باشا) لدار السعادة بموجب اشعار الوالي وترفعت رتبة الأمير الاي بكر بك وصار عوضاً عنه . ثم عزل (محمد امين باشا) .

ولاية محمد راغب باشا

وولي الوزير محمد راغب باشا وقدم في اوائل جمادى الاولى من سنة (٢٦٣) ثلاث وستين ومائتين بأهله ، راكباً باخرة ، وقفـــل بها سلفه .

وهي اول باخرة قدمت طرابلس وأول وال قدم بعياله . وفي هذه السنة توجه (احمد افندي) متصرف لواء الجبل الى غريان لمشارفة عملها وانتهى الى بلد « ككله » فهجمت عليه اهالي البلد ليلاً وقتلته غيلة . ولما اتصل الخبر بالوالي سرح اليهم (اللواء بكر باشا) في العساكر وعاقبهم عقوبة مؤلمة وجعلهم مثلاً للسامع .

العارف بالله الشيخ محمد حسن ظافر

وفي هـــذه السنة توفي الامام الكبير ، والاستاذ العلَم الشهير شيخ السالكين ، وامام العارفين ، وقدوة المحققين الأستاذ (محمد حسن بن حمزة ظافر المدني) ودفن بزاويته بمسراته . وضريحه ظاهر تقصده الزوار ، من جميع الأقطار .

وكان رحمه الله تعالى مـــن افراد الرجال ، وصدراً من صدور الأولياء الابدال ، لا يشق غباره ، ولا تجهل آثاره .

وقد ترجم له العلامة السيد أحمد بن اسماعيل البرزنجي المدني بما خلاصته : « هو نير فلك المعاني المحيط ، وإذا انتظمت قلادة الكاملين فهو الوسيط ، محيي الطريقة الشاذلية ، ومنبع الأنوار النبوية .

ولد رحمه الله بالمدينة المنورة سنة (١١٩٤) اربع وتسعين ومائة والف ، من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف ، ونشأ في سرح ذلك الجناب العظيم ، ملحوظاً بعناية الملك الكريم ، وأخذ عن مشايخ أجلة ، وبـــذل في خدمتهم جهده كله ، ثم حمله طلب الوصول الى الحق ، ان يسيح في الأرض غربها والشرق . ولما تمّ له في سياحته خمس وعشرون سنة ، رأى (المصطفى صلى الله عليه وسلم) ومعه الشيخان « أبو بكر » و « عمر » فقال له صلى الله عليه وسلم مـــا معناه : « إذا أردت الوصول الى الله ذي الجـــلال ، فعليك بصحبة

العربي الدرقاوي » . فأسرع للامتثال ، وجدّ في السير حتى وصل اليه ، وقبّل قدميه ، وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » مبتدئاً بالحديث متوسلاً به اليه .

فقال له الأستاذ العربي : من أي البلاد أنت ؟.. قال له — من مدينة الرسول . قصدتك لتأخذ بيدي !..

فقال له — والله لو جاءنا كلب من (مدينة الرسول) لوضعناه على الرؤوس والجباه ، فضلاً عمن كان من أهلها !!. مرحباً بك وسهلاً ؛ وسوف يصيبك من فضل الله خير كثير ان شاء الله .

ثم لقنه أوراد الطريقة الشاذلية ، وذلك في صفر من سنة أربع وعشرين ومائتين وألف . وأقام في خدمته سنين يستمد من أسراره وأنواره اللدنية ، ثم رجع الى المدينة بأمر أستاذه المذكور . وحين الوداع قال له « جعلتك وصلة بيني وبين (سيد الأحباب) » .

فقدم المدينة واستقر بها ما شاء الله مستمداً من فيض أنوار الرسول ، حتى فاز بحقيقة المشاهدة ونال المأمول ، فبينما هو تجاه الحضرة العلية ، مستغرقاً في الأنوار النبوية ، اذ سمع خطاباً روحانياً يقول « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » ، فعلم أنه قد أعطي مقام التذكير وراثة عن سيد المرسلين .

ثم حقت روحه لمربيها فتوجه نحو الغرب لتجديد العهد السابق ، وتوديعاً لذلك الحب المشارق ، فلما استتم في خدمته ثلاثة أشهر ، انتقل الأستاذ (مولاي العربي) الى عليين ، ومشهد المقربين ، واستخلفه على ميراث الأسرار ، فحصل الفتح به وعمر القلوب بالأنوار .

ثم توجه الى نحو المشرق فلما وصل الى طرابلس الغرب أقام بها ، وأشرقت شموس الهدايـــة فيها ، وظهرت له كرامات ، وخوارق عادات .

فمن كراماته رضي الله تعالى عنه أنه لما وصل الى طرابلس الغرب كان يومئذ الوالي عليها يوسف باشا قره مانلي فاجتمع بالأستاذ وابتهج بقدومه ، واهتز للقائه ، واعتقد فيه اعتقاداً كاملاً ، وأجله اجلالا شاملا ، وبالغ في تقريبه والطافه لما رأى في حضرته من الاستقامة ، التي هي محط الكرامة ، وقال له : ان شيخك الاستاذ (مولاي العربي الدرقاوي) أرسل لي كتاباً وقال لي فيه : « استوص بطريقنا خيراً فانها ستحل ببلادك » .

ثم لما حصل للأستاذ الظهور ، فكان له بسبب ذلك من الوالي النفور ، أوجب اعراض الأستاذ عليه ، وأخذ في أسباب الرحيل من طرابلس من أجل ما وصل الوالي اليه ، وعند سفره قال لخواص أصحابه « إن يوسف باشا بعد الآن لا يفلح فان شجرته انقلعت من عروقها وفي الشمس طرحت » . وقد كان الأمر كما ذكر ففي أقرب وقت اختل نظامه وقامت عليه القيامة ، وندم ولم تنفعه الندامة .

ومنها ما حصل له مع طاهر باشا . فقد بلغني بطريق التواتر أنه لما قدم من دار الخلافة ، وجد بها اختلالاً وقياما في بعض جهاتها فكتب أوامر لسائر عمال الولاية يأمر أركانها بالقدوم عليه ، وتقديم واجب الطاعة اليه ، وعين لهم ميعادا من لم يحضر فيه يعد عاصيا . وكان الأستاذ رضي الله عنه قدم من زاويته التي بمسراته لمـــا سرت

الفتنة في تلك النواحي وأقام بزاويته التي ببلد جبل غريان معتزلاً فيها ومنقطعاً لعبادة ربه .

فلما بلغه أمر الوالي أجاب بالامتثال ، وتوجه في جماعة من تلامذته في الحال ، قاصداً مدينة طرابلس . فلما وصلها قام بعض حساده ووشى في حقه للوالي وأوهمه بأن هذا الاقبال الحاصل له من الخلق عليه ، لربما يكون بسببه ما لا خير فيه ، فأضمر له الوالي السوء في نفسه ، واستدعاه لمحل حكمه ، بعدما استحضر مـــن العسكر المسلح جانباً تحت أمره .

فقدم الأستاذ ومعه جماعة من تلامذته الذين قدموا معه وجم غفير من أعيان أهل البلد وعلمائها وأفاضلها ، فلما شاهد الوالي تلك الهيئة توهم صحة تلك الوشاية ، وأضمر سوءاً لولا سابقية العناية ، وعامل الأستاذ بمعاملة قاسية خارجة عن المرام ، وقابله خارج مجلسه في جملة أتباعه وقوفاً على الأقدام ، وسأله : من أي بلد أنت ؟ قال له : من المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام . ثم قال له : ما قصدك بهذه الجمعية ؟ قال : جمعتنا محبة الله وترويض انفسنا بطاعته ، وعمارة أوقاتنا بذكره ، قال : بل جمعتهم لتثير بهم فتنة تكون بها رئيساً في البلاد ، وتسعى في الأرض بالفساد ، قال : هؤلاء الذين تراهم من اهل البلد ، وأما الذين قدموا معي فهم قليلون في العدد . فقال : أفرزهم من ... بينهم فأمر أهل البلد بذلك فلم يمتثلوا . فقال : اذا تعطيني كفيلاً . فتقدم عمي (الشيخ سيدي عبد الكريم) وهو يومئذ النائب المالكي بنفس الثغر وعمي العالم الفاضل (الشيخ سيدي محمد) ووالدي العالم الكامل (الشيخ سيدي حسين) وقالوا : نحن الكفلاء . فقال :

وأنتم من يكفلكم ؟ وكان الأستاذ متوكئاً على عكازه فأخذه الحال ، وتجلى فيه بصفة الجلال ، وبعدما كان عكازه بيده فعلى الأرض رماه ، وقال بأعلى صوته الله ، الله ، فتلقى ذلك الاسم الشريف الحاضرون من الأخوان ، ورسم الذكر في ذلك المكان . وقد هز الوجد العسكر الواقفين للغفر ، فتركوا سلاحهم ودخلوا الذكر ، وكذا أتباع الوالي ومن حضر ، وبعدما اخذ الذكر في غاية الانتطام ، مع قوة الشطح والهيام ، أشار حضرة الأستاذ فيه بالختام ، وبقوا بغاية التعظيم واقفين ، والأيدي مبسوطة والأستاذ يدعو لحضرة مولانا أمير المؤمنين بالنصر والظفر وبالخير لكافة المسلمين . وبعدما ختم الدعاء قال : وأما انت يا طاهر باشا وكلنا أمرك الى الله تعالى فتقدم اليه الباشا بكمال الخضوع وقبل ذيل جبته وطلب منه السماح . فتوجه الأستاذ ومن معه بذكر الجلالة الى محل اقامته بمدرسة الكاتب مصطفى خوجه وقد أرسل له الوالي ضيافة متممة ثم قدم بنفسه زايرا ومعتذراً . ولم يزل على كمال الرعاية معه حتى توجه الأستاذ الى زاويته التي بمسراته وبعد وصوله لها انفصل طاهر باشا من الولاية وتحقق ان ما فعله مع الأستاذ كان سبباً في عدم نجاح استقباله . والوالي الذي أتى من بعده احترز غاية الاحتراز من أن يتبع منواله ، لما بلغه ما جرى من سلفه كما أخبر بذلك أيضاً من أتى من بعده . ولا زالت هذه المنقبة دائرة على مسامع الوزراء ، وشاد فخر هذا الأستاذ بين كافة الناس والأمراء ، رضي الله تعالى عنه ونفعنا بأسراره . آمين بحرمة سيد المرسلين .

ثم لما كانت سنة الرحيل ، وانتقاله الى حضرة الجليل ، أمر بقراءة الموطأ حتى تم ؛ ثم طلب اعادته الى ان وصل القارىء باب الجنائز

فقال « حسبنا هذا وليكن عملكم به بعد الوفاة » ثم أوصى بما يلزم وقال : قد ورد علي وارد الأنس ، هز ذاتي الى حضرة القدس ، قائلاً « من أحب لقاء الله أحب الله لقاه » واستخلف ولده الأكبر سيدي الشيخ محمد على مريديه ، وأمره بالتقوى في مـــا يخفيه ويبديه ، ثم مرض أياماًا فدعاه داعي الحبيب ، فكان لشوقه أسرع مجيب ، رحمه الله وأمدنا بأسراره .

●

وقد مدحته الأفاضل بغرر القصائد منها قصيدة مدحه بها العالم الفاضل الشيخ عبد القادر القرقري امام جامع الجمعة بمدينة « برنو » ونصها :

بلـــغ تحيـــة عاشق مشتاق

وسلام ذي كلف الى السبـــاق

شمس الهدى بدر الدجى مروي الصدى

بحر الندى المدني الامـــام الراقي

وانشر لنادي ذي النسيب المنتقى

مـــا قد نشرت له من الأشواق

وأنا الذي في حبـــه ووداده

ثَبْتُ الفؤاد ولست بالوقواق

واذا سمعت مـــن الأحبة ذكره

شهقت اليـــه الروح أي شهاق

واذا نطقت فجلُ قولي سرمــدا

مــن لي برؤية وجهــه البراق

أحييتَ من سر الطريقة ما عفى

ونشرتــه في سائر الآفــاق

ورميت عن قوس الطريقة فاتقى

سر الحقيقــة سائر العــراق

وغرست في تلك الأراضي والقرى

غرس الكرام فبــاء بالأعراق

وحويت بالهمم العليــة منصبا

متخلقــاً بمكارم الأخــلاق

وجررت أذيال الشهامــة مشهراً

سيفاً يطحطح كل ذي عيهــاق

طوبى لمــن حط الرحال بقابكم

وانساب في حلــق الفتى الغيداق

لولا العوادي والأعــادي زرتكم

حساً ولو سحباً عــلى السمحاق

لكنني اذ عاقني حكم القضــا

أهــدي سلامي للولي الساقي

وأبوء معترفاً بذنبي طالبــاً

منه الدعــا باللطف والارفــاق

وسهولة السير المجد لذي البقـــا
حتى أُعـــد به مـــن السباق
وعلى مريديـــــه الكرام تحيتي
مـــا غنّت الورقـــاء في الأوراق

•

ولاية الوزير الحاج أحمد عزت باشا

وولي الوزير الحاج احمد عزت باشا وقدم الولاية في خامس المحرم سنة (٢٦٥) خمس وستين ومائتين . وفيها تقدم جنديان براً فارين من عساكر الجزاير فحضرا بين يدي الوالي وطلبا التشرف بدين الاسلام فاستوضح الوالي حقيقة امرهما من قنصل فرنسه يومئذ فأجاب بأنه لا المام له بهما فصار تلقينهما كلمة التوحيد وقيدهم في العساكر الجليلة . ولشهرين من قدومها فر احدهما الى الكنيسة والآخر الى بيت القنصل فجلبا بمعرفة الضباط ووضعا في الحبس . ثم ان القنصل طلب تسليمهما من الحكومة فأجيب بأن طلبه مخالف للعهود ولا يسوغه النظام . ثم توجه الوالي الى بنغازي لمشارفة عملها واستخلف على الولاية خالد باشا .

وفي ثامن شوال من هـذه السنة قـدمت لمرسى طرابلس باخرة فرنساوية . وفي العشرين منه قـدمت تسع بواخر حربية واحاطوا

بطرابلس بحراً من كل جهة ، ثم كتب أمير الأساطيل لوكيل الوالي في طلب تسليم الشخصين المتقدم ذكرهما أو الحرب بعد مضي اربع وعشرين ساعة . فاستعد خالد باشا لقتالهم واحتفل بتأهب العساكر واحتشد أهالي المنشية والساحل ومن يجوارهم من القبائل وتهيأ للحرب ؛ وأحضر لديه أرباب الشورى من امراء العساكر ومعتبري الايالة لذلك . ثم ان خالد باشا لم يجوز المحاربة بوجه واسعف النصارى بطلبهم بواسطة كاتب المال اذ ذاك أمين افندي وقفلت الاساطيل . وفي الخامس والعشرين من هذا الشهر قدم الوالي وبدىء في احصاء النفوس وتوزيع الإعانة العمومية فحصل بسبب ذلك تشاويش نتج من عدم تفهيم الاهالي كما يليق ثم عزل .

ولاية مصطفى نوري باشا

وولي الوزير مصطفى نويري باشا وقدم طرابلس في غرة ذي الحجة سنة (٢٦٨) ثمان وستين ومائتين ، وصرف عنايته في تنظيم الأمور فعزل مدير المنشية وقبض على نحو الخمسة عشر رجلاً من اهالي المنشية والساحل وأبعدهم ، فاندفع بذلك الفساد وحصل الأمن وفهم الاهالي كيفية احصاء النفوس واسباب استيفاء الاعانة كما يجب ، فامتثلت الأهالي وقدموا الاعانة .

وفي سنة (٢٦٩) تسع وستين ومائتين أرسل مأمورين الى قضاء فساطو لا ستيفاء أعشار الزيتون فخرجوا عن حد نظامهم وأسرفوا في

عملهم فضربهم أهالي القضاء وطردوهم وأعلنوا بالعصيان ، فقدمهم أحمد باشا الصغير في العساكر وعاقبهم عقوبة مؤلمة وأقام فيهم أياماً ورجع .

ثم في سنة (٢٧١) احدى وسبعين ومائتين فر (غومه) من منفاه وقدم الى ضواحي تونس وأقام بمحل يعرف بمطماطه وكتب الى الوالي والتمس العفو والاستخدام ، فلم يقع طلبه موقع القبول ، فقدم الجبل والتفت به قبائل نالوت ، وقاباو ، ويفرن ، ومن كان بتلك الضواحي من العربان .

وفي رمضان من هذه السنة قدم في جموعه الى مركز متصرفية الجبل وحاصر المتصرف فاستمد الوالي فبعث اليه الامير ألاي (اسماعيل بك) وقائمقام الطوبجيه (مصطفى بك) وقوماندان خيالة العرب (محمد أغا انديشه) في العساكر . فزحف اليهم غومه في جموعه بموضع يعرف بالرومية وتحاربوا محاربة شديدة هلك فيها الكثير من العساكر وانهزم مصطفى بك في فله وقدم غومه مركز متصرفية الجبل ، واقتحم القصر وضبط ما كان فيه من المهمات والمدافع والعساكر . ثم أرسل جميع المهمات بتمامها الى والي الولاية مع عريضة التمس فيها العفو والاستخدام فلم يقبل طلبه . فاستمر غومه على شقاوته واستفحل أمره وضبط كافة الجبل وأتاه أهالي غريان بطاعتهم ثم قدم الى بلد الزاوية وانتهى الى قريتي « ورشفانه » و « جنزور » وانضمت اليه أهالي تلك النواحي .

فزحف اليه (عبد الله باشا) و (أحمد باشا) في العساكر فلقيهم في جموعه بقرقارش وتواقعوا ؛ واشتد الحرب فانهزم غومه

وهلك الكثير من قومه . ثم حمل عليهم (أحمد باشا) في جنزور وتواقعوا واشتد الطعان فانهزم البغاة الى « قرية الماية » وأخذ أحمد باشا في اتباع المفسدين ومحوا مواقع عينهم . فدوخ ما وراء « الزاوية » واستباح عليهم واحتازهم حتى استقاموا على الطاعة . وفر الشيخ غومه الى الجبل .

ولاية عثمان باشا

وفي خلال هذه المدة وقع انفصال (مصطفى باشا) وولي على طرابلس الوزير (عثمان باشا) وقدمها في العشرين من صفر الخير سنة (٢٧٢) اثنتين وسبعين ومائتين .

فكتب الى غومه بطلب ارسال (قاسم باشا المحمود) متصرف لواء الجبل فارسله ؛ وقدم اليه فسرحه لقتال غومه في العساكر ، فلحق بمعسكر عبد الله باشا اللواء بموضع يعرف بالكدوه وقدموا (الرومية) — موضع معروف — فصادفوا غومه بجموعه في تلك الضواحي ، فحملوا عليهم وتواقعوا واشتدت الحرب بينهم نحو الثماني ساعات هلك فيه الكثير من أتباع غومه ، وانهزم في فله الى قضاء فساطو .

ثم أرسل اليه الوالي برنوساً محلى بالفضة وحصاناً من جياد الخيل مع بعض الأعيان واخذ عليه تعهداً بالخروج من الجبل وأن لا يعود

اليه فيما بعد وأن لا يتعاطى ما يكدر صفو الأمن ويخل بالراحة العمومية ، فخرج من الجبل في سبعين نفراً من أتباعه وتمهد الأمن .

وقدم غومه الوطن التونسي ونزل باطرافه من جهة الأعراض ، وكاتب الباي ليقبله أو يشفع فيه عند الباب العالي وتوسل في مطلبه بقنصل فرانسة ، فأتى الباي وحسن له قبوله وقال لـه : استجار بحرمك ... الى غير ذلـك . وحذر النصحاء الباي من تداخل أي قنصل كان في أحوال البلاد ومن عاقبة هذا القبول .

فقبله غير مفكر في عاقبة أمره واقفاً عند ظاهر الحال واستهان به وكاتب الباب العالي شافعاً فيه فأجيب بأنه من المفسدين في الأرض . وطلب منه الباب العالي اعانة الباشا بطرابلس على القبض عليه . فأنف لذمته أن تخفر ، وبقي غومه بأطراف ولاية تونس والتفت عليه أتباع كل ناعق من أهل الفساد الذين يطلبون الرزق بسلاحهم . وأحس الباي منه بمبادي الشر فكاتبه أن يرحل لدواخل العمالة قرب القيروان أو الحاضرة ، فتعلل بتعذر ذلك لكثرة من معه بسوائمهم وواسطته قنصل الفرنسيس يحطب في حبله ويستر مساويه .

ولم يزل يفسد في العربان ويستميل ضعفاء العقول بالتنفير من أداء الاعانة وكف العقارب عن لسعها تكليف ما ليس في وسعها . ولما تفاقم الأمر ، وكاد أن يتسع الخرق على الراقع لزم الباي تلافي الحال ودفع الضرر فجهز محلة بالفرسان من المخازنية وأمراء العروش القريبة من تلك الناحية بالاتفاق مع المحلة وبعث بها الآيا كاملا من عساكر النظام بالساحل ومـــا يلزمه من المدافع والطوبجية ، ولم يستقدمهم

لتونس رفقاً بهم ، وأمر أمير المحلة بقودهم الى سوسة وأطلق يده في الاستنجاد بمن يريده من العروش والعسكر ، وتطوع (أمير الأمراء أبو محمد رشيد) بالسفر مع عسكر المحلة طوع اذن أميرها ، لما في هذا الأمير من السياسة التي يقود بها أنظاره وأكفاءه .

ونص ما كتبه الباي

« من عبد الله ، سبحانه ، المتوكل عليه ، المفوض جميع الأمور اليه ، المشير محمد باشا باي ، وفقه الله لما يرضاه ، وعانه على ما أولاه ، وإلى طرق الصلاح هداه ، والهدى هدى الله » .

الى حماة الوطن وأهل الغيرة على الامرة والصولة خاصة أولادي ، ومحلهم وان بعد ففي فؤادي ، كافة العساكر ، والضباط والفسيالات ، المأمورين منا بالسفر الى الاعراض ، مع أمير الأمراء ، وفريد الكبراء ، وفخر الاركان : الوزير السيف الأمضى ، والثقة المعتمد الأرضى ، ابننا (محمد) أمير الاعراض قرن الله بالنجاح مسعاهم ، وحفظهم ورعاهم ، وحما حماهم ، وثبت على قوس الطاعة مرماهم .

اما بعد السلام عليكم ، وملازمة الدعاء اليكم ، فأنتم بقوة الله أعظم قوتي ، ومظهر صولتي ، بغيرتكم أقتاد العصاة من نواصيها ، ولا يبعد بشجاعتكم قاصيها ، ويدين لأمر الله بالطاعة متعاصيها ، وقد قرن الله سبحانه النجاح والظفر بطاعة المأمور للأمير ، في الشاق واليسير ، والقليل والكثير ولاينبئك مثل خبير ، وطاعة الأمراء والولاة من أول واجباتكم ، فلا يخفى عنكم ، وسبحان من يقول (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) والاخلال بواجباتها قطع

لسلك كل جماعة ، وهو السبب الأعظم والعياذ بالله في الاضاعة ، وانتم بحمد الله معتصمون فيها بحبل المتين ، وانما امتثلت قول الله (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) ، وهذا أمير محلتكم ، المحوطة بأمن الله وهمتكم ، الذي اخترته لإعزاز رايتكم ، واظهار شجاعتكم ، المبنية على أساس طاعتكم ، كما اخترتكم لبذل النفوس في انفاذ ما يأمركم به وقد رعاه عيني ، اذ هو معكم كالجزء مني ، فحسبه ان يأمركم بما هو مأمور به من الأعمال ، وحسبكم المسارعة للامتثال ، في اي جهة وعلى كل حال ، فارفعوا اليه سائر اموركم ، مما يتعلق بفردكم وجموعكم ، وقد اذنته ان يتصرف بما يراه في اميركم ومأموركم ، أعلموا أنه يباشركم بيدي ويأمركم بلساني ، وهو وان بعد عني فهو نصب عياني ، لأنه الثقة الأمين على ما يراه منكم ، وارجو الله ان يسمعني ما ينفعكم ويسرني ، والله المسؤول ان يسدد منكم القول والعمل ، ويبلغني من صلاحكم غاية الأمل .

وقد أمرنا العمدة الثقة الأحزم الأحظى ، نخبة الأركان ، وعمدة أهل الشان ، وفارس ميادين السيف والسنان ، امير الامراء ابننا رشيد أن يعلن بقراءة هذا الظهر على جمعكم ، حتى يمتزج أمره ونهيه بقلبكم وسمعكم ، فأنتم الأولاد البررة الطائعون ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، ويبقى هذا الظهير بعد قراءته في موكبكم ، بيد من قلدته في هذه الوجهة أحكامكم ، وجعلت بيده التي هي يدي زمامكم ، وقد أمرته أن تكون قراءته بمرأى منه ومسمع ، في ذلك المجمع ، واستودعكم الله الذي ما خاب طائعه ، ولا ضاعت ودائعه ، والله ولي

المؤمنين ، وكتب في العشرين من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف . »

ولما وصل هذا الأمير الى نحو غومه كاتبه مخيراً له « بين أن يرحل لدواخل المملكة ، او يبعد عن اطرافها ، وان خاف يبعث معه من يوصله منجاته .. » فتعلل وأفضى الحال الى الحرب في مفاوز الصحراء فقاتله حتى شتت جموعه وشردهم وفر غومه ناجياً بنفسه . وكانت مدة السفر بهذه المحلة ستة اشهر . ومهد تلك الجهة وأعاد لها الراحة ، وامن الساحة ، ورجع منصوراً مشكوراً . وعاد غومه الى حاله من الأجلاب على وطن طرابلس وغزا قائمقامية « غدامس » . ولما اتصل خبره بوالي الايالة (عثمان باشا) سرح اليه اللواء (مصطفى باشا) في العساكر ومعه (علي بك رئيس) الارنابودي والحاج (أحمد الادغم) لقتاله فلقيه بالصحراء بموضع يعرف بوادي « وان » وحملوا عليه ، وقتل غومه وتفرقت جموعه . وذلك في عاشر رجب سنة (١٢٧٤) أربع وسبعين ومائتين وألف وتمهد الهناء والراحة وأمن الساحة .

ولاية الوزير الحاج أحمد عزت باشا

وفيها عزل الوالي (عثمان باشا) ووجهت هذه الأيالة لعهدة الوزير الحاج أحمد عزت باشا ، وقدمها في احد عشر صفر الخير من هـــذه السنة وقام بأعباء الولاية أتم قيام .

وكان عالماً نبيهاً صافي السريرة متوشحاً بالصبر ، والحلم ، والبأس ،

له الرأي الثاقب الذي تخفى مكائده ، وتظهر فوائده ويرى العواقب في مرآة عقله ، وبصيرة ذكائه وفضله كأنه ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق ، ويطالعه بعين السداد والتوفيق .

وفي خلال مدته انتقضت أهالي سرت وأجلبوا على بعض « كور السودان » ونهبوا أموالهم ، وسبوا أولادهم . ولما اتصل خبرهم بالوالي المشار اليه وجه عنايته لتأديبهم والايقاع بهم وترهيبهم ، وسرح لهم العساكر واحتازهم حتى استقاموا على الطاعة ، واستوفى مـــا تراكم لديهم من الجباية وعم الأمن في انحاء الأيالة . وألزم كل طبقة أن لا تتعدى أطوارها ، أو تخالف دورها ، أو تجاوز بأمر طاعته فورها ، ونامت الاجفان ، وتكيف الامان ، وصارت الالسن عليه بالثناء ناطقة ، والقلوب على موته متطابقة ، والشهادات له بالفضل متناسقة ، وهو أول من أسس المكاتب الرشدية واعتنى بأمر البوسته ، فابتاع باخرة وسماها « المولودية » وأعدها للسفر بالمحررات الرسمية وأوراق المخابرات التجارية .

العارف بالله السيد محمد بن السيد علي السنوسي

قال العلامة الفاضل الاستاذ (فالح) بن (محمد) بن (عبد الله) بن (فالح) الظاهري ، المهنوي : وشيخنا هـــو شيخ الاسلام ، بشهادة جهابذة مشايخه الاعلام ، شريف النسب والحسب (السيد محمد بن السيد علي بن السنوس الخطابي الادريس الحسني) .

ولادته بالمغرب الاوسط بمنزل أسلافه الكرام على ضفتي « وادي شلف » و « مينا » من ضواحي مدينة « مستغانم » عام (١٢٠٢) اثنين ومائتين وألف في الثاني عشر من ربيع الأول . ولذا سمي (محمداً) .

ومات والده وهو صغير ، ونشأ في حجر عمته وكانت من الصالحات رحمها الله تعالى ، كما هو المألوف في رجـــال أهل البيت الشريف ونسائهم . واشغلته بعلم العقائـــد ، والتوحيد صغيراً ، بعد أن جمع القرآن فأتقن الفن على أكابر علماء بلده . وكان ذلك الزمن كثير العلماء المحققين في كل قطر من اقطار العريضة ، حتى قال له بعض مشايخه « إن هذا القدر الذي معك من علم أصول الدين على صغر سنك لا يوجد عند اكابر علماء بلدك » .

ومن مشاهير بلاده الذين اخذ عنهم ، واستصفى ما لديهم ، الشيخ الصالح (ابو طالـب المازوني) ، كسيدي (أبي المهل) و (ابن القندوز المستغانمي) و (أبو رأس المعسكري) كابن (عجيبة) صاحب التفسير العجيب وسيدي (محمد بن عبد القادر) ابن ابي روينه ذي السند العالي .

ومن مشاهير فاس الامام العلامة المحقق في المعقول ، الغيث الثجاج ؛ والبحر المتلاطم الأمواج ، سيدي (حمدون بن الحاج) كالعلامة المحقق سيدي (الطيب الكيراني) والفهامة الجامع بين الرواية والدراية ، العلامة (البدر محمد بن عامر المعواني) وسيدي (ابي بكر الأدريسي) الشهير في النجامة . وسيدي (العربي بن احمد الدرقاوي) الشريف الحسني من اهل الاستقامة . وبمصر عن الشيخ (علي الميلي التونسي)

و (الشيخ ثعيلب) و (الشيخ الصاوي) من المالكية و (العطار) و (القويسني) و (النجار) من الشافعية . وبالحرمين الشريفين عن (أبي سليمان العجيمي) حفيد أبي البقاء وعن (أبي حفص) بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار ، وعن الامام الاكبر والعلم الأشهر ، الامام العالم العامل ، والانسان الكامل ، مولانا ، شيخ الاسلام (أبو العباس أحمد ابن عبد الله بن ادريس) الشريف الحسني العرايشي المغربي ثم اليمني دفين بلد (صبيا) المشهورة بصبيا ، فقد اخذ عنه جميع علوم القرآن الكريم من قرا آت وتفاسير واحكام ولغات وآداب على اسلم طريق واوفق نظام ، كالكتب العشرة في الحديث ، والمسانيد ، والمجاميع ، والمعاجم ذات الثمر النضيد . وأخذ عنه الطريق الشاذلية بجميع فروعها . ومنها الناصرية عن سيدي (عبد الوهاب التازي) عن سيدي (محمد بن أبي زيان القندوسي) عن سيدي (مبارك بن عزى) عن سيدي (محمد بن ناصر) وطريقته الى الشاذلي الى سيدي (أبي مدين) الى سيدي (عبد القادر) معروفة . وكذا الى (الفقير) الى (الشيخ نور الدين) عن (الشيخ تاج الدين) الخ السند الى (الحسن) السبط . وهل هو أول الاقطاب أو اول الأقطاب أمه (البتول رضي الله عنها) ثم منها الى (ابي بكر رضي الله عنه) إلى بقية الخلفاء الى (الحسن) الأرجح الثاني .

ومن فوائد الامام ابن ناصر ما نقله عنه اخوه وهو في (الدرر المرصعة بأخبار علماء أدرعه) ونصه : « ينبغي لكل عاقل ان يفدي نفسه ومن أحبه من الناس وهي من (لا إله الا الله محمد رسول الله) سبعون الفاً بشرط الجمع بين اللفظتين فلو ترك (محمد رسول

الله) ولو مرة واحدة لم يحصل الفداء . وذلك في يوم أو يومين أو شهر أو شهرين ، ويقول في الابتداء (صلى الله عليه وسلم) مرة أو مرتين ليخرج من وعيد « من لم يصل عليه عند ذكره .. » ومن « بسم الله الرحمن الرحيم » اثنا عشر الف . ومن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الف مرة . ومن « قل هو الله أحد » مائة اه .

قلت : وأفادنا شيخنا رضي الله عنه أن الفدية من الصلاة على (النبي صلى الله عليه وسلم) أن يقرأ هذه الصيغة خمسين مرة ونصها (اللهم صلّ على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد ما اتصلت عين بنظر ، وأذن بخبر ، وخطر على قلب بشر ، وتزخرفت الأرضون بالمطر ، وحج حاج واعتمر ، ولبى وحلق ونحر ، وطاف بالبيت العتيق وقبّل الحجر ، من أول الدهر ، الى آخر الدهر . اه .)

ورأيت في فتاوى الامام (ابن ناصر) رضي الله عنه سئل عن تعاطي (طابا) فقال : من تعاطاها شرباً في القصب أو مضغاً أو نشوقاً فليس له عندنا شيء اه . مع أن تلميذه الامام اليوسي نقل عنه في آخر شرح داليته الطويلة التي مدحه بهـا ان الشيخ قيل له : لو شفعت في أهل عصرك ؟ فقال : الناس معنا على ثلاثة أقسام ، منتسب الينا ، فهذا لا كلام عليه . ومحب ، فهذا لاحق بالأول ، ومبغض ، فهذا له علينا أن ننفعه في دنياه اه .

فانظر هذا الكرم ما أشمله ، واذا كان هذا التكرم كله من مخلوق له بالله تعالى اتصال من جهة صالح الأعمال فما بالك بكرم الخالق جل وعلا !... اللهم يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك آمين .

فهذه الشاذلية قادرية وسواها . وأمـا القادرية فعن (أبي العباس

العرايشي) عن (أبي المواهب التازي) الحسني عن (أبي العباس البراني) عن الشيخ (عبد القادر) مفتي مكة عن السيد (سعد الله ابن غلام الآه داد) أي عطية الله ، عن مظهر النور (السيد عبد الشكور) عن (شاه مسعود الاسفرائني) عن الشيخ (علي الحسيني) عن الشيخ (جعفر بن أحمد الحسيني) عن الشيخ (عبد الله الحسيني القاري) عن الشيخ (عبد الرزاق) عن أبيه امام الطريقة سيدي (عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني) الخ السند المار . فهذه الطرائق المشهورة عند أهل المغرب .

وأمـــا (التيجانية) فعن أبي العباس التيجاني نفسه . وبطرابلس الغرب عن الامام (أبي العباس أحمد بن أبي زيد عبد الرحمن الطبولي) الشريف الحسني . وهو عن شيوخ كثيرة منهم سيدي (محمد بن الصادق ابن أحمد الشريف) الريسوني العلمي عن (القادري) و (البناني) وسيدي (عبد الوهـــاب التازي) ومنهم شيخ الاسلام (العدوي) وتلامذتـــه والشيخ (محمد بن عبد الكريم) اليماني ومنهم أبو حفص (عمر بن محمد بن علي الحساني) عن والده . والعلامة سيدي (أحمد ابن عبد الله الغرفي الرباطي) .

قال : والوالد عن الشيخ العلامة (محمد الصالح الحضيري السبهاوي الفزاني) عن الشيخ (محمد الطهطاوي) المالكي عن الشيخ (سالم السنهوري) و (الشيخ أحمد الكلبي) و (الشيخ يوسف الزرقاني) و (السيد ابراهيم اللقاني) المالكية . و (الشيخ علي الحضيري) احد شراح المختصر و (الغرفي) عن (التاج القلعي) عن مسانيد الحجاز السبعة وكل هؤلاء الاساتـــذة كبار تلقيت عنهم معارف وأسرار . لا تذكر الا مشافهة لأهلها .

قال شيخنا : أتانا خبر وفاة الامام السند (أبي العباس الطبولي) عام نيف وخمسين . والغالب علـــى ظني أن هذا النيف أربعة . قال الفقير : واما وفاة شيخنا شيخ الاسلام السيد الشريف (محمد بن علي بن السنوسي) فكانت عام (١٢٧٦) ستة وسبعين بتقديم السين المهملة على الباء الموحدة ومائتين والف ، ودفن بزاويته الشهيرة الكائنة بوادي (الجغبوب) مـــن (اودية) سنتريه التي هي صحراء المدينة القديمة المعروفة بمدينة (لك) من مدن شرق برقه بينها وبين ذلك الوادي مهامه ومفاوز تسري الريح فيها فتتلف ، وعلى ذلك الوادي الآن من النضرة والرونق ببركات الشيخ رضي الله عنه ما هو ظاهر ، وان كان سبخ التربة غير عذب الماء .

* * *

ومما كان رعف به قلم الفقير في مديحه على أسلوب العلماء قولي :

مـــا عيب شيء عيب مطل غني
لديون صفــــر الراحتين شجي

والظلم يا ذا الظلم يخشى غيّـــه
والهجر هجر عنـــد كل حيي

وأنا وصي الراشين يا حكم الهوى
لا تمض قولهم بـــدون وصي

واذا هم نطقوا بمنـــع الجمع بي
عانـــد فما هم غير كل خـــلي

وإذا هم ابتدؤا الكلام فـــرده

ليقين ودي نسخ كل فـــري

وزن المقال يشر عليك بصرفهم

لم يظفروا مـــن حاجهم بدني

فمـــا محياها المحيـــل لناظري

والطـــرف ميـــال لكل بهي

لو لم يكن قمر الدجى مـــا غرني

عـــن منهج نحو السلو سويّ

لي نسبة فيهـــا تحرر منظري

يهدى اليهـــا فهم كل ذكي

جسمي السقيم لجفنهـــا ونحوله

لنحول خصر كالصريم مضي

أعملت بيض صوارمي في قومها

لوصالهـــا من كف كل كمي

ولدغتهم بأراقم سمر القنـــا

ولسعتهم بعقارب الحرمي

فاستأثرت مني لهم بلواحظ

وسوالف وحواجب كقسي

لم تخط عدل الحكم في أمر امرىء

عنـــد الجزاء بفعله مجزي

شدت وثاقي في الهوى من لي بأن
ترثي لحـــال أسيرهـــا العذري

السعد يا سعدى لديـــك محبب
والود ذو نفـــع اليك بكي

ماذا عليك وقـــد بخلت بزورةٍ
أن تبعثي طيف الخيـــال يحيي

اني لأمنحك المودة قـــد صفت
مـــن كل مـــذق للعتاب بغي

وأظن ظـــن محقق أن الهوى
ان شيب ليس مـــن الوهى بنجي

عطفاً عـــلى محروم نوم ذي حشا
مـــن حب ذي خفر سواك بري

كبراءة من كل لؤم حازهـــا
شيخ الشيوخ (محمد بن علي)

سامي المكان مكان كل فضيلة
ظـــل الورى بالمجتدين حفي

●

هذا ما حضرني منها الآن الى غيرها من القصائد ، وهي في أيدي

الطلبة شذر مذر كثر لي مضمناً :

يا ابن السنوسي يا زين الفضائل ان
زانت سواك فساد القوم يا ابن علي
لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله
تركتني أصحب الدنيا بلا أمــل

•

وتفصيل علومه ورواياته رضي الله عنه في ثبتنا (شيم البارق ، من ديم المهارق) وهو ثبت محرر جامــع في غاية الضبط والحمد لله وشكراً له .

ومن أمثل الأوراد عندهم نفعاً (المسبعات العشر المروية عن العبد الصالح كزر بن وبرة المذكورة في الاحياء) وكذا (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . أستغفر الله مائة مرة وكذا لا ا'له الا الله الملك الحق المبين مائة مرة . وكذا : (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة) . قال شيخنا شيخ الاسلام رحمه الله تعالى انني ولله الحمد قد صحبت تسعة وأربعين شيخاً من المشايخ الأخيار وكلهم ماتوا في حياتي وورثت أحوالهم . هكذا ذكر عــن نفسه ، وفضل الله غير محصور . وكرامات الأولياء عندنا أهل السنة والجماعــة حق ، ولا تختص بغير نحو والد بلا والد خلافاً للأستاذ (القشيري) .

قال الفقير : اما ما كان عند شيخنا من علوم الرواية والدراية

فعسى ان يكون حصل لنا منه شيء ؛ واما مـــا عنده من علوم الاستقامة وثمراتهـــا فنحن منه بملاحس البقر أولادها ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . كيف وأقل صفاتها الذميمة حب المـــال والجاه ... وقـــد قال صلى الله عليه وسلم كما في الترمذي (ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بأفسد لها من حب المال والشرف لدين المرء المسلم) ، ثم انا إذا عملنا عملاً فهو مدخول وإذا لازمنا ورداً فلا نلازمه الا لما يذكر من ثمراته العاجلة لا للقرب والوصول ؛ فأحسن احوالنا مع الله الشرك الخفي الذي هو شرك الأغراض ، واعدل الصحة لنا مع هذا الداء الذي هو أسوأ الامراض . لا ملجأ ولا منجى من الله الا اليه . اللهم اليك اللجا ، وفيك الرجـــا ، يا حي يا قيوم ، برحمتك استغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ولاية الوزير محمود نديم باشا

وفي سادس عشر محرم سنة (١٢٧٧) سبع وسبعين مائتين والف صار انفصال (الحاج أحمد عزت باشا) لسنتين وشهرين من ولايته وحصل الفضل بولاية الوزير الأعظم محمود نديم باشا ، وقدم الايالة وتولى زمام الأمر فيها . وكان ثاقب الرأي عالي الهمة ، ولم يظهر في خلال مدته ما يكدر صفو الراحة لمـــا مهد له اسلافه العظام . وقام باعباء الايالة أتم قيام ، وأخذ كل طبقة بما عليها وما لها أخذاً يحوط مالها ويحفظ عليها كمالها .

ولما كانت ثروة البلاد على قدر ما يخرج من نتائجها للغير ، كإجادة المصنوعات ، وهذه الديار متأخرة عن غيرها من سائر الممالك المحروسة في ايجاد الصنعة ، والخارج من مصنوعها قليل جداً فثروتها الحقيقية هي ما يخرج من أرضها وتربتها الطبيعية الخصبة .

فوجه الوالي المشار اليه انظاره لذلك . وجلب غرس الزيتون من منابتها ووزعه على أهالي قضاء ترهونه بواسطة مشايخهم وحملهم على غرسه في الأماكن الصالحة فغرس ونبت نباتا حسنا .

وفي سنة احدى وثمانين ومائتين والف ورد من دار الخلافة العلية فرمان عالي الشأن بتشكيل هـــذه الايالة ولاية ، واجراء نظامها المخصوص المبني أساسه على الانصاف والعدالة وعدم الانحراف ، فتلقاه الوالي بكمال التعظيم والاحترام والتكريم ، وجمع موكباً مشهوداً بالعلماء والامراء وأعيان البلاد وغيرهم وقرأ عليهم الفرمان وصرخت مدافـــع السرور ، ثم باشر بتوزيع الوظائف عـــلى مقتضى أحكامه ، ووضع مجالس الجنايات ، والحقوق ، والتجارة ، وفق نظامه .

وفي هـــذه السنة أسس مطبعـــة بقصر الحكومة لصحـــف الأخبار والوقائع ، وسميت صحيفتها (طرابلس غرب) ولا اقول إن المطابع من التحسين بل هي في درجة الحاجة ؛ ولا يخفى أنها من فوائد العمران لأنها تفيد آداب النفس وتسهيل وجود الكتب النافعة المفيدة التي كانت مقصورة على الأغنياء فخرجت بالمطابع من حيز العدم الى حيز الوجود . وغير ذلك من الفوائد التي لا تحصى .

وفي أواسط محرم سنة (٢٨٢) ثنتين وثمانين احترق مخزن البارود

ـ الجبخانه ـ الكائن بالبرج الأحمر وطارت انقاضه وصخوره الهائلة في الجو بمن كان فيه من العساكر وعددهم نحو الثلثمائة ، ووقعت بعض تلك الصخور على البيوت المجاورة اليه فهدمت منها نحو أربعين بيتاً ومات فيها نحو المائة نسمة .

وفيها فتح باب جديد للثغر من الجهة الغربية لعمران تلك الجهة وتسهيلاً للمواصلة بين سكان المدينة وأهل المنشية والقرى المجاورة .

وفيها أبطل ما كان يعمل في ليلة عاشوراء وذلك أن بعض الرعاع من العامة يحملون شبه رأس جمل ويدورون به أزقة البلد والحارات ، فأفتى بعض العلماء بأن هذا من فعل الشيعة من اهل البدع يتذكرون مصرع (سيدنا الحسين) رضي الله عنه بكربلا وقد كان ذلك في دولة (بني عبيد) .

ولاية المشير علي رضا باشا

وفي السابع والعشرين من ربيع الأول سنة (٢٨٣) ثلاث وثمانين ومائتين صار فصل (محمود نـديم باشا) لست سنين وثلاثة أشهر من ولايته ، وقدم المشير علي رضا باشا والياً وقوماندانا على الفرقة العسكرية فيها .

وقد حصل له من حميد الذكر وجميل النشر ما لا تزال الرواة تدرسه ، والتواريخ تحرسه .

وكان حريصاً على ترقي الولاية وتوسيع نطـــاق التجارة والصناعة والزراعة فيها .

ومن آثاره الحميدة تسوية الطرق والمعابر بداخل الثغر وخارجه ، وتنظيم البوستة ومد سلك التلغراف براً من نفس الولاية الى أن شارف متصرفية « لواء الخمس » مصمماً على ايصاله الى الحدود المصرية .

ولما علم ما تقاسيه سكنة الثغر من قلة الماء وشدة احتياجهم اليه لعدم وجود الانهر وندرة العيون الجارية تشبث باخراجه من أعماق الارض بواسطة القواني والادوات الجديدة الحديثة الاختراع وقتئذ ، فأخرج عيناً بخارج الثغر وجعل عليها سبيلاً . وربط الأودية وجعل لها ترعاً وسواقي وسلط مياهها على المزارع .

ووضع (صندوق المنافع العمومية) وأزاح بواسطته العلل وحمل الناس على الاجتهاد في الزراعة ، وتعاطي اسباب الثروة والعمران .

وأباح للعموم البناء بخارج الثغر وأسس « سوق العزيزية » وباتصاله الحديقة العمومية . وأنشأ « موقتخانة » وفوقها ساعة كبيرة ذات ناقوس جسيم يسمع صوته من بعد أميال مع مسجد بدائرة الحكومة .

واسس ناحيتي « البونبه » و « وطوبرق »[1] وبنى بهما قصرين للحكومة .

وفي سنة (٢٨٦) ست وثمانين ومائتين قوي الريح الشرقي وهاج

---

(١) البونبه : ميناء متسع محكم الاركان كائن شرقي بنغازي بعده عن « درنه » (٤٥) ميلا بحرياً . وطوبرق : ايضاً ميناء أعظم من الاولى اتساعاً حصينة المدخل جداً . كائنه شرقي البونبه بعدها عن (درنه) (٨٠) ميلا بحرياً ؛ وعن (بنغازي) (٢٤٠) ميلا بحرياً . وعن الاسكندرية من جهة الشرق (٣٠٠) ميل بحري .

البحر وتراكمت فيه الأمواج فألقت على ساحل الهنشير حوتاً عظيماً لم ير الراؤون، مثلـه وكان طولـــه بحسب الحـدس نحو ستين ذراعاً وعرضه نحو عشرة أذرع فهرعت اليه الناس من كل مكان وقطعوه إرباً وأخذ كل احد ما قدر عليه ومست حاجته اليه . ثم ان الوالي امر بجمع عظامـــه بتمامها فجمعت وأرسلها الى « موزه خانه » بدار السعادة العلية .

ولاية محمد حالت باشا

وفي سادس عشرة جمادى الآخرة سنة (٢٨٧) سبع وثمـانين ومائتين صار فصل (علي باشا) بحب الايجاب لسنتين وتسعـــة أشهر من ولايته وولي الوزير (محمد حالت باشا) وقدم الولاية وتسلم زمام الامر فيها .

وكان كريم العهد صحيح العقد فأبطل التلغراف الذي وضعه سلفه .

وفي خلال مدته ثار عموم الاهالي بشيخ البلد يومئذ (علي افندي القرقني) وقدموا اليه فيه شكايات متعددة ودعاوى متنوعة فصرف الوالي أوقاته في التحري في تلك النوازل .

وفي اواخر سنة (٢٨٨) ثمان وثمانين ومائتين وقع امساك في الغيث وجدب شديد ومحل عظيم ونقص في الاموال والأنفس والثمرات ، فارتفعت أسعار الحبوب وعجزت الناس عـــلى الأقوات ، وفشي فيهم المرض والموت مـــن تناولهم المأكولات الردية ، واشتد الخطب على الرعية ، وجزعت به الناس وطاشت افكارهم وباعت الاغنياء مواشيهم

وآلات حرثهم لسد رمقهم فانتدب الوالي واعـــان الفقراء بما لم يتقدم نظيره ، واتخـــذ مستشفى للمرضى واطعامية لعموم المحتاجين وسمت العرب عامهم هذا (عام الجزر) لأنه كان أكثر غذائهم منه .

ثم بانتهاء الدعاوى عـــلى الشيخ القرقني وتمام المحاكمات وصدور الأحكام فيها انتهت مدة الوالي المشار اليه .

ولاية الوزير محمد رشيد باشا

وفي اثنين وعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة عزل (حالت باشا) لسنة وستة أشهر مـــن ولايته وولي الوزير محمد رشيد باشا . وكان نافذ التدبير ناجحة مآربه منهجة أقواله غير أنه لم تطل أيامه .

ولاية المشير علي رضا باشا

وفي تاسع عشر صفر سنة (٢٨٩) تسع وثمانين عزل (محمد رشيد باشا) بحسب الايجاب لثمانية أشهر مـــن ولايته وولي المشير علي رضا باشا ولايتـــه الثانية فراجت في أيامه (تجارة الحلفة)[١] وعم نفعها فاهتم بوضع المراسي في المواقع المقتضية تسهيلاً لتناول تجارتها وجعل لها أسواقاً ووضع عيلها الضرائب .

(١) الحلفاء والحلف محركة نبت ، الواحـــدة منه حلفة كفرحة وخسبة وصحراء ووادي حلافي . انتهى قاموس .

ولاية المشير سامح باشا

وفي احـــد عشر من ربيع الآخر سنة (١٢٩١) احدى وتسعين ومائتين وألف صار عزل (علي رضا باشا) لسنة ولايته وقدم المشير سامح باشا والياً وقوماندانا على الفرقة العسكرية فيها .

ومن آثاره تنظيم « سوق الزنايدية » و « سوق الجبابرية » عـــلى الاسلوب الجديد في غاية الاستقامة والحسن .

وفي صفر الخير سنة (٦٩٢) اثنتين وتسعين ومائتين قويت الريح الشرقية وطغى البحر وهاج وتلاطمت فيه الأمواج ورعودها تسمع من نحو العشرين ميلاً وألقى سبعة مراكب متجرية على ساحل الازرار فأصبحت صرعى ونالت أيدي الأمواج في فصلها بعد وصلها .

ولاية المشير مصطفى عاصم باشا

وفي تسع وعشرين من شعبان سنة (٩٢) اثنتين وتسعين صار عزل (سامح باشا) لسنة وسبعـة أشهر من ولايتـه وولي المشير مصطفى عاصم باشا فكان النجح معقوداً في نواصي آرائه ، واليمن معتاداً في مذهب أنحائه .

ومن مآثره الحميدة فتح « قصبة غات » وقـدم على ساكنيها من أمن مكره ، وحمدت على الانصاف سيره ، والحقها بمتصرفية (لواء فزان) ومنع عموم الأهالي عما يوجب اسقاط الحقوق ويرتب العقوق .

ولاية المشير مصطفى باشا

وفي ثـــامن جمادى الآخرة سنة (٩٣) ثـــلاث وتسعين عـزل (مصطفى عاصم باشا) لثمانية أشهر من ولايته وقدم الولاية المشير مصطفى باشا والياً وقوماندانا على الفرقة العسكرية فيها .

وفي خلال مدته قدم (الفريق حسن باشا) في خمسة أساطيل حربية عثمانية وكان بهم بعض التلامذة المنتهين في المكاتب البحرية ... وبعدها أقلع الأسطول العثماني .

ولاية علي كمالي باشا

وفي تاسع ذي الحجة الحرام عام (٢٩٥) خمسة وتسعين ومائتين عزل (مصطفى باشا) عن ولاية طرابلس وولي علي كمالي باشا من باية الروم ايلي ولم تطل أيامه .

ولاية الوزير محمد صبري باشا

وفي تاسع ربيع الآخر من هذه السنة عزل (علي كمالي باشا) بحسب الايجاب لشهرين من ولايته وولي الوزير محمد صبري باشا .

ولاية الوزير محمود جلال الدين باشا

وفي خامس ذي الحجة من هذه السنة صار فصل (محمد صبري باشا) بحسب الايجاب لثمانية أشهر من ولايتـــه وولي المشير محمود جلال الدين باشا .

ولاية الوزير الحاج أحمد عزت باشا الثانية

وفي السابع من شعبان عام (٢٩٦) ستة وتسعين ومائتين عزل (محمود جلال الدين باشا) لثمانية أشهر من ولايته وولي الوزير الحاج أحمد عزت باشا ولايته الثانية وعاد اليها ، والعود أحمد . فقام بأعباء الولاية كعادته بهمة ورأي كالسهم أصاب غرة الهدف ، ودعاء كالبحر في بعد الغور وقرب المغرف ، لا يضع رأيه الا موضع الاصالة ، ولا يطرق تدبيره الا على مواقــع السداد والاحالة ، يعرف من مبادي الأقوال خواتم الأفعال ، وقــام بالأمر أتم قيام . وحمل الناس في الاجتهاد بالعمارة على أحسن المذاهب ، ومنعهم من التحاسد عـــلى المواهب . وكانت آثاره أشهر رسماً ، وأعطر نسيماً ، منها تأسيس (مكتب الصنايع) و (مستشفى للغرباء) و (اصلاح ما ثلم من القلاع والاسوار) وتأسيس (سوق الحميدية) لتقدم الصنايع وزيادة في واردات البلدية . وبالجملة فاخباره ذكية وآثاره زكية .

ولاية الوزير محمد نظيف باشا

وفي تاسع جمادى الآخرة سنة (٢٩٧) سبع وتسعين ومائتين صار فصل (الحــاج احمد عزت باشا) لسنة وعشرة أشهر من ولايته ووجهت هذه الولاية لعهدة الوزير محمد نظيف باشا . وقــدم الولاية وتسلم زمام الأمر وكان صلب الرأي قوي الشكيمة ، عالي الهمة ، شديد المراقبة والحزم . وكانت أيامه تشدخ في جبينها غرة الصباح ، وتهادي انباؤه وفود الرياح .

وقـــدم (الفريق وصفي باشا) فبادر بالغاء مكتب الصنايع وجعله مخزناً لأرزاق العساكر الشاهانية . وامر بابقاء ابواب المدينة مفتوحة في الليل وكانت تغلق بعد العشاء وتتعطل سكان خارج الولاية اذا دعتهم ضرورة لما في المدينة من طبيب ونحوه ، وكذلك اهل المدينة اذا دعتهم حاجـــة للمنشية . ويقبح هـــذا في بلد واحدة وقد زالت أسبابه .

وفيها قدم حضرة صاحب السماحة (حمزة ظافر أفندي) بمأمورية فوق العادة فكان لـه من حسن السيرة ما القلوب تحفظه ، والألسن تشكره .

وفي هذه السنة قدمت عـــدة بواخر سلطانية مشحونة بمدافـــع « كروب » والمهمات والذخائر الحربية . وصـــار الشروع في وضع الاستحكامات المتينة في الأماكن المهمة على الطرز الجديد .

وفي خلال مدة يسيرة صار اكـــمال استحكامي (برج التراب) و (سانية الباشا) ووضعت تلـــك المدافع الهائلة فيهما ثم دعي لمشاهـدة استحكام « سانية الباشا » من كل صنوف الأهالي المستظلين بظلال رضاء مولانا أمير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، فكان يوماً مشهوداً ، ومن مواسم الأعياد معدوداً ، وامتلأت العيون هيبة وحصل للقلوب السرور بعناية مولانا امير المؤمنين ، وحامي حمى الدين ، فأصبحت سكنة هذه الولاية منبت الطاعة السلطانية ، في ارغد عيش وأهناه ، واحسن حال يغبطها فيه الحبيب ويتمناه ، آخذين من العز والهناء النصيب الأوفر ، والحـــظ الأكبر ، مجتهدين في الدعاء ،

والحمد والثناء لحضرة هذا الخليفة العادل ، ظل الله الشامل ، واقفين عند أمره ، ولو ببذل الارواح ، بما اوجبته عليهم العقائـــد الدينية ، والاوامر الالهية قائلين :

اللهم أعز سرير الملك والخلافة بوجوده ، وأعد عن القريب والبعيد آثار فضله وجوده ، وانصر اللهم جيوشه على من ناواه وأمضِ في رؤوس أعدائه صوارمه وقناه ، واجعل مساعيه فيما يرضيك ناجحة ، وجواري عزائمه في بحار الاسعاد سائحة ، واجعل اللهم ألويـــة نصره منشورة الـذوائب ، مشهورة القواضب ، مشرقة كالشمس يغشى ضوؤها المشارق والمغارب ، ولا برحت أسباب سعادته تقوى ، والقلوب تتمسك في عبوديته بالسبب الأقوى ، في عز مديد ، ونصر مشيد ، وسلطنة لا تهتز ولا تبيد ، وسعادة دائمة تتضاعف وتزيد ، وأعنّا اللهم على ما وأجبت له عيناً من فرض الطاعة ، وتأدية الحق بجهد الاستطاعة ، واجعل نفوسنا الى ما يرضيك جانحة ، وتقبل دعاءنا بحرمة أسرار الفاتحـــة

م



تقريـــظ

جادت به قريحة العلامة العلامة الفاضل امام البلاغة ، وروض الفضل ونجم سماء البراعة ، الاستاذ سيدي الشيخ فالح بن محمد بن عبد الله بن فالح الظاهري المهنوي حفظه الله آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيـــده ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعـــلى آله واصحابه ذوي المساعي الحميدة والمآثر المفيدة ، واشهد ان لا إ'له الا الله وحده لا شريك له احداً صمداً ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد ، وأشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل كل والد وما ولد ، ذاتاً ، وشعباً ، وقبلةً ، وصقعاً ، وملةً ، وكتاباً بل افضل الانبياء فرادى وجمعاً . اللهم صلِّ عليه وعلى آله الاتقياء ، من كل قريب وبعيد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك عليه وعلى آله كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم . في العالمين انك حميد مجيد .

وبعد : فان الفقير المضطر لرحمة ربه ، في ازاحة خطبه ، وتفريج كربه ، فالح بن محمد بن عبد الله بن فالح الظاهري ، المهنوي ، قربه الله من كل خير حسي ومعنوي ، قد تصفح ما جمعه الابن الشاب الوجيه ، الفاضل النبيه ، الذكي الالمعي ، السميدع اللوذعي ، السيد احمد بن الشيخ الامجد ، مولانا حسين النائب الأوسي الانصاري ذي النسب الثاقب .

يا اخت آل فراس انني رجل ... من معشر لهم في المجد بنيان
إما سألتِ فإنا معشر غيب ... الازد نسبتنا والماء غسان

او كما قال :

وسطت نسبتي الذوائب منهم ... كل دار بها أب لي عظيم

في أخبار بلده ، ومنشأ أسلافه ومحتده ، مدينة طرابلس الغربية ، محتد ذوي النفوس الأبية ، من عرب صرحا ، وذوي قرب صلحا ، فوجدت المجموع كثير الفائدة ، مليأ بالعائدة ، نافعاً في بابه ، حرياً بأن يحرص على الاطلاع على ما فيه وتطلابه ، الا انه لما كان بالعبارة المألوفة الدارجة ، وهي النافعة لكل ناشر مدارجه ، خشيت عليه من طعن كل غبي متقعر في نحوه ، سكران بعقار اعجابه بنفسه ، لا يميز غيم يومه من صحوه ، والتأليف إنما صدر بنيّة الافادة ، من غير زيادة مرآة أحد وبئست تلك الزيادة ، فلا ريب ان عوذتـه بنفث القلم ، وأزلت عن حسن تراكيبه مكروه الألم ، ومسحت عليه ، وأضفت شيئاً من متين العلم اليه ، يعجبك سلسل معيفه وتسفحه ، وميّزته بقولي (قال متصفحه) . واهتممت به هذا الاهتمام ، تتميماً للمرام ، فان صقع المدينة المذكورة ، احتوى على اخبار حقها أن تجمع ، وتستوجب

أن يصغى اليها ويسمع . وقد قيض الله هذا الشاب الأنجب ، لفتح هذا المطلب ، فما كذبت أن اعتنه علـــى ذلك الصنيع ، ممتثلاً قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) الشنيع ، مع اني قد كنت اقمت بهذا الصقع مدة هي زمن الشباب ، وبلوت من اخباره وعوائد اهله القديمة والحديثة مـــا لا يطرقني فيه ارتياب ، وعرفت قبائله وعرفوني ، وألفتهم وألفوني ، وصار لي فيه من التلامذة الأنجاب والأصدقاء والأحباب ، مـــن (جبل نفوسه) الى (صفراء اسكندرية المحروسة) ، العدد الطيب الكثير واللمة الفاخرة ، المرجو نفعها إن شاء الله دنيا وآخرة ، وذلك اني رحلت الى هذا الصقع من الحرمين الشريفين ، عام احد وسبعين والف ومائتين ، مع شيخي الهمام الكامل ، والعالم العامل ، محرر العلوم ، ومحقق المنطوق منها والمفهوم ، شيخ الاسلام ، بشهادة جهابذة مشايخه الأعلام ، مولانا وشيخنا واستاذنا شريف النسب ، والحسب ، السيد محمد بن السيد عـــلي بن السنوسي الخطابي الادريسي الحسني . وكنت قد اجتمعت به في طِيبة الطيبة عام ثمانية وستين في اليوم الخامس والعشرين ، مـــن ذي القعدة الحرام ، وكنت يومئذ قد جمعت القرآن العزيز ، واستظهرت في الفقه بعض المنظوم الوجيز ، فلما قبلت يديه ورأسه وركبتيه ، مثلت قائماً فترك جليسه وأدار النظر الي وكأنـــه استغرب ، من غلام ذي وفرة من العرب ، ان صدر منه ذلك الأدب ، ومن ذلك الوقت لازمته سفراً وحضراً وحججت معه ثلاث مرات ، وألبسني الخرقة كرات ، واعجبها الي انه ذات يوم ، اخـــذ عرقية كانت على رأسه ، وألبسنيها بيده الشريفة ، وقال لي : اخرج الى الطلبة علمهم القرآن . فحصل لي من هذه الاشارة على يديه رضي الله عنه وجزاه عني بما هو أهله ما ارجو

معه من الله المزيد . وكان رضي الله عنه يحبني كأشد حب ويجهر بذلك بين اصحابه ويعلنه ، حتى أنه لما وقعت بيني وبين بعضهم وحشة وذكر كلاماً يضعف فيه امساس من حضرة الشيخ رضي الله عنه قلت له يا فلان ناشدتك الله ألم تخبرني غير ما مرة أن الشيخ قال لك عدة مرات فلان ولدي ولدي ولدي ثلاثاً ويربعها بقوله وعزيز علي ، فقال أنا لا أنكر ذلك ، والله سبحانــــه وتعالى يمن علينا بحسن الخاتمة ، من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة .

فهرست

الى هنا انتهى الجزء الأول من هذا الكتاب وسيليه

الجزء الثاني منه ان شاء الله

وأوله

ولاية الوزير أحمد راسم باشا